التَّحليق بالذَّاكرة

عادل سالم

منشورات ديوان العرب ٢٠١٧

عادل سالم في:

التحليق بالذاكرة

٢٠١٧

غلاف الكتاب للفنانة المقدسية رشا السرميطي
الكتاب نشر إلكترونيا في ملف بي دي إف
ديوان العرب ٢٠١٧

أمي والحاسوب

نيسان – إبريل ٢٠٠٧

تصر أمي أثناء استعادة ذكرياتها القديمة أن يوم مولدي الذي صادف الأول من تموز، يوليو، ١٩٥٧ كان يوم أحد، في حين يشير جهاز الحاسوب عندي أنه كان يوم اثنين.

لا أستطيع أن أكذب أمي رغم أنها أمية لم تلتحق بمدرسة قط، لكنها ولدتني وأنا بكرها لذلك لا بد أنها تذكر ذلك اليوم جيدا، ولا أستطيع أن أقول للجهاز أنت كاذب لأنه يعتمد على معلومات رياضية تمت برمجتها، وفحصها بشكل تام، وهو يتعامل معها على هذا الأساس. فإن صدقت ذكريات أمي فقد أكون ولدت في الثلاثين من حزيران، وتم تسجيلي في اليوم الذي يليه وهذا كان عرفا منتشرا آنذاك لأن الأمهات كن في الغالب يلدن في بيوتهن عن طريق القابلة (الداية).

وأيا كان يوم مولدي فالأهم أنه كان يوما من أيام الصيف شديد الحرارة، لهذا عشت طيلة حياتي أحب فصل الصيف، وأكره البرد، والرياح، والثلوج، حتى أنني كنت في صغري لا أحب تساقط المطر.

شهر تموز، يوليو أكثر الشهور حرارة في بلادنا فلسطين، حتى أن سكانها لا يزالون حتى اليوم يحفظون المثل الذي كانت جداتنا يضربنه بهذا الشهر:

في تموز بتسخن المية بالكوز

أي أن الماء في شهر تموز يسخن في الإبريق من شدة الحرارة، والكوز في بلادنا كان يقصد به إبريق الماء المصنوع عادة من الفخار بحيث كان من الصعب أن تجد في تلك الأيام بيتا، أو محلا، أو مزرعة لا تملك ولو كوزا واحدا منه، يملأ بالماء ويوضع في الظل أمام مجرى الريح، مثلا على شرفة المنزل، أو تحت شجرة، إلخ وكان سعيد الحظ من يحصل على شربة ماء من ذلك الكوز الفخاري، فقد كان مثل ثلاجة هذه الأيام.

فصل الصيف منذ مولدي كان بالنسبة لي الفصل الأحب من كل السنة، ففيه كنت أتخلص من الملابس الثقيلة، والأحذية المطاطية الكبيرة التي كنا نلبسها في فصل الشتاء، لاتقاء سيول الماء التي تخرب الأحذية الجلدية، خلال الصيف كنا نلعب في الحارات كما تعودنا، وإلا فأين نلعب؟ خصوصا نحن أبناء العائلات الفقيرة المعدمة، فقد كان الناس فقراءاً، وكانت كل عائلة في الأغلب تسكن في غرفة واحدة. كنا نقضي بقية السنة في البيوت حتى ملت أمهاتنا منا.

لكن هذا الملل لم يدم طويلا فسرعان ما خرجت لسوق العمل المأجور بشكل رسمي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ حيث كان عمري عشر سنوات، حينها ودعت الطفولة وصرت من عالم الرجال، وفي عالم الرجال المصطنع حكايات طويلة.

فصل الصيف كان فصل الفقراء بامتياز، حتى أن الآباء كانوا يستريحون فيه من مطالب الأمهات والأولاد.

لم نكن نعرف التدفئة المركزية، ولا حتى المائية، كل ما كنا نعرفه كانون النار الذي كان أحيانا غير متوفر لقلة الخشب فكنا نلبس عدة قطع من الملابس لاتقاء شدة البرد ونكثر من شرب الشاي، وفي نفس الوقت نكره الذهاب للحمام، لأنه حمام خارجي، مشترك بين عدة عائلات، واستعماله على الدور، مثل طابور الجمعيات!!

أما مياه الأمطار فكانت تبلل ثيابنا أثناء عودتنا من المدرسة، أو ذهابنا إليها، حتى من كان يحمل شمسية من الطلاب المحظوظين الأغنياء فقد كانت الرياح أحيانا تسحبها منه، لتتركه يتساوى بنا تحت المطر.

لهذا كنت مع أبناء جيلي من الأطفال لا نحب الأمطار، لأنها كانت تلاحقنا حتى في بيوتنا، فقد كانت معظم بيوت البلدة القديمة في القدس حيث ولدت، تدلف، أي أن الماء ينزل من سقفها أثناء الشتاء من بعض الثقوب الصغيرة التي لم يوفق آباؤنا في إصلاحها، وإن نجحوا بذلك في سنة ما، نجحت مياه الأمطار في ثقب غيرها في العام الذي يليه، لهذا كان البيت يمتلئ بأدوات معدنية مثل الطشت أو تنكة، أو ما شابه، لوضعها أسفل المكان الذي يتساقط الماء منه، وكان صوته أثناء الليل إن أمطرت تلك الليلة مزعجا ويسلب النوم من العيون.

حي القرمي

ولدت في حي القرمي وهو شارع فرعي صغير على شكل حرف اللام، ويشبه الزاوية القائمة ويمتد من عقبة السرايا إلى طريق الهكاري، ويتوسط المسافة ما بين المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة حيث يبعد عن كل منهما حوالي مئتي متر. (مرفق صور).
ولا يزيد طوله عن مئتي متر لكنه ممتد عبر طريق الهكارى إلى باب السلسة.
في ذلك الحي ترعرعت طفلا، وبدأت ألعب مع أبناء جيلي في الشارع. وكان مقابل البناية التي نسكنها دكان صغير (بقالة) لقريب لنا يكنى بأبو عبد (علي إسماعيل وزوز) رحمه الله.
من اليمين أمام البناية التي ولدت فيها، وفي اليسار مدخل البيت الذي ولدت فيه. كان مدخله مختلفا عن الصورة الحديثة.

وعلى بعد مئة متر منه في طريق الهكاري كان شقيق جدي عبد الرحمان (الحاج نمر) يملك محلا (ياخورا) للحمير، فقد كان الناس في تلك الأيام يعتمدون في نقل حاجياتهم على الحمير، وفي المساء يأتون بحميرهم للياخور ليبيتوا هناك بأمان وليقدم لهم العلف ليكونوا قادرين على العمل في اليوم التالي.
كان عندنا في ذلك الحي مسجد صغير، وقبر لولي الله محمد بن أحمد التركماني الشهير بالقرمي الشافعي منذ العهد الأيوبي، ولهذا سمي الحي باسمه، وهو عالم الدين الدمشقي المولود عام ١٣٢٠م الذي هاجر للقدس، وعاش فيها، ودفن فيها عام ١٣٨٦م. وكان الشائع حينها أن مدفن الولي القرمي مكانا يتقرب بواسطته الناس إلى الله، يذهبون هناك حيث يمدون أيديهم من أحد الشباكين المواجهين للشارع ليضيئوا الشموع تبركا. (اليوم يوجد شبك حديدي لوقف تلك العادات).

من اليمين مكان الولي (القرمي)، وفي اليسرى فرن أبو سعدي الجولاني فران الحارة

وبالقرب من المسجد القرمي يوجد فرن أبو سعدي الجولاني الذي كان يقع في أول الحي من جهة عقبة السرايا.
وكان فرن أبو سعدي أشهر فرن في الحارة، حيث كان سكان الحارة، والحارات المجاورة يخبزون عجينهم عنده، و يشوون مأكولاتهم، وصواني اللحمة، وأقراص السبانخ، أو المعمول إلى آخره. فلم يكن لدى الناس في خمسينيات وستينيات القرن العشرين أفران بيتية تمكنهم من تحضير مثل تلك الأكلات في البيت، لذلك كان فران الحارة يحتل حيزا هاما في الحي ومعروفا لدى كل سكانها.

وكان هناك أربعة أفران أخرى في طريق الهكاري (الهكاري نسبة لضِيَاء الدِّين الهَكَّاري (ت. 585 هـ / 1189 م) هو مستشار السلطان صلاح الدين الأيوبي.
هو عيسى بن محمد بن عيسى الحسني الطالبي، أبو محمد، ضياء الدين الهكاري، نسبته إلى الهكارية في العراق. اشتغل بالفقه في حلب، واتصل بالأمير أسد الدين شيركوه. وبعد وفاة شيركوه اتصل بصلاح الدين واعتمد عليه في الآراء والمشورات. توفي بقرب عكا، ونقل إلى القدس فدفن بظاهرها) الممتد من القرمي لباب السلسة وهو طريق فرعي صغير أيضا، وهم:
فرن الحاج حربي السلايمة وكان متخصصا في عمل (القدرة) وهي نوع من الأكلات المشهورة في فلسطين تتكون من الرز، واللحم والسمن البلدي كان يعملها في إناء دائري بيضاوي يسمى (قدرة)، وكان يتم طهيها في الفرن الذي كان يعمل على الحطب، ويعد الحاج حربي في تلك الأيام أشهر من عمل القدرة في القدس. وبعد وفاته قام أولاده بإغلاق الفرن وحولوه لبيت.
الفرن الثاني فرن أبو ارميلة، وكان يعمل مثل أبو سعدي الجولاني للعائلات التي تقيم قريبا من باب السلسة لكنه لاحقا بدأ يتحول لمخبز تجاري، ثم أغلق بعد ذلك.

وعلى بعد أمتار منه كان هناك مخبز صغير تجاري يستخدمه صاحبه لعمل الحلويات مثل الكعك، والمعمول إلى آخره. ليبيعها في السوق إضافة لمحله التجاري في نفس الحي الصغير، ولم يزل موجودا حتى اليوم (٢٠١٧).
أما الفرن الرابع فكان متخصصا بالكعك مع سمسم، وكان يقع في أول طريق الهكاري من جهة القرمي.
وهو يقع أدنى من مستوى الشارع، حيث تنزل إليه بالدرج. (أغلق اليوم)
في تلك الأيام، أيام طفولتي الأولى، كان والدي لا يزال يسكن في بيت جدي المشار إليه في حي القرمي، وكان جدي يعمل بعد الظهر في السقاية، حيث كان ينقل الماء في

تنكات للبيوت بعد عمله الرسمي مع بلدية القدس، فقد كانت معظم البيوت لم تصلها مواسير المياه الحديثة بعد. وكان لوالدي، عين ماء من بلدية القدس الأردنية اشتراها مقابل اشتراك شهري، موجودة في وسط حي القرمي ومنها يتم تعبئة التنكات ونقلها للبيوت مقابل مبالغ زهيدة للتنكة الواحدة، وكان عملا متعبا لجدي ووالدي حيث كان كل منهما يحمل حمالة خشبية على الكتف ويعلق بها من كل جانب تنكة ماء، أو سطل ويتم نقلها للبيوت في الحارة، وتأتي صعوبتها أن معظم البيوت كانت في الطوابق العلوية حيث يضطر كل منهما لصعود الدرج في مكان ضيق.

بعد أن بلغت السابعة كانت أمي تشجعني على العمل، فقد كانت أمية لم تلتحق بمدرسة قط، أما والدي فقد أنهى الرابع ابتدائي فأخرجه جدي من المدرسة ليعمل مع عمي إبراهيم، ويساعد جدي في تحمل مصاريف العائلة في أربعينيات القرن العشرين.
فكانت أمي تعد لي بعض الحلوى التي كنا نسميها (بلوظة)، مصنوعة من النشا، والحليب، والسكر، أو تعد لي حبات الحمص المغلية (بليلة)، أو الفول العريض، وتطلب مني أن أبيعها بالحارة أو قريبا منها حيث كان يشفق على حالي بعض المارة فيشترون مني.
لكن بدأت دخول معترك العمل الرسمي بعد حرب ١٩٦٧ وقبل أن أتم العاشرة بأيام، تأخر التحاقي بالمدرسة في ذلك العام بسبب الحرب. وكان أول عمل التحقت به في مخبز في حارة الشرف، حيث كانت مهمتي نقل الخبز صباحا من المخبز للمحلات التجارية بدءاً من باب العمود حتى باب المغاربة، وكان يشترك معي في تلك المهمة عمي عبد العظيم الذي كان يكبرني بأربع سنوات، وحفيد عمه عيسى (ناجي) الذي كان من جيله. وقد كنا نبدأ عملنا بشكل مبكر والناس نيام.
منذ ذلك اليوم وأنا في سوق العمل، وإن تعددت المهن، وتغيرت الأماكن، بقيت أعمل سواء كنت في المدرسة، أو التحقت بالجامعة. وكان يمتد عملي بعد المدرسة حتى منتصف الليل.

إلى ولدي الذي لم أره

صيف عام ٢٠١٠

حبيبي، ابني الذي لم أره، ولم ألمسه، ولم أسمع صوت بكائه.
أنا الملوم لأنني تركتك ترحل دون أن أراك. أعترف لك الآن بعد أكثر من ربع قرن على وفاتك أنني ارتكبت جريمة بحقك.
كلما أتذكر يوم مولدك أصاب بالاكتئاب، أشعر بعقدة الذنب تجاهك، أتمنى لو تعود كي أعتذر منك، كي أقبلك، كي ألمس جسدك الطري. كنت أعتقد أن الله سيرزقني بأخ لك يعوضني حنان الابن فحرمني من الأولاد من أمك سنوات طويلة حتى رزقت بأول أخ لك نصف شقيق بعد واحد وعشرين سنة من وفاتك، كأنه عقاب إلهي لي.

لا أدري يا صبحي (هكذا كنا سنسميك على اسم جدك الذي اشتهر به) ماذا أقول لك، كنت في بداية مرحلة الشباب، وعندما أوصلت أمك المستشفى التي أحست بألم في بطنها قبل الموعد الطبيعي لتشريفك الرسمي، لم يكن يدر بخلدي أنك ستأتي قبل الموعد المحدد، فتركتها في مستشفى «بيت جالا» في فلسطين المحتلة ليلا وعدت إلى البيت، وعندما ذهبت صباحا إلى المستشفى لأطمئن على أمك قيل لي أن زوجتك وضعت مولودا توفي بعد ساعة من ولادته لأنه كان غير مكتمل النمو، ولم يكن في المستشفى الأجهزة الطبية الحديثة، فهو شبه مستشفى.

عندما سمعت بالخبر حزنت عليك، وخفت إن رأيتك ميتا أن يزداد حزني فقررت وليتني لم أفعل أن تدفن دون أن أكحل عيني برؤيتك، كانت مشاعر الأبوة فاترة لدي، لم أهجم عليك لأحتضنك كما يفعل الآباء، وعندما عرض علي الطبيب المناوب أن أتبرع بجسدك لإحدى جامعاتنا للتدريب المهني، وخدمة للعِلم وافقت بعد أن أقنعت أمك لأنني رأيت في ذلك خدمة لأبنائنا الطلاب.

لا تسألني لماذا لم آت ساعدة ولادتك، فلم أعرف متى ستشرفنا، ولم يكن لدينا جهاز تلفون، ولم تكن الهواتف المحمولة معروفة بعد. هل هو عذر أقدمه لك لتصفح عني؟ كلا فأنا لا أنكر أنني أخطأت بحقك، ماذا أقول لك كنت شابا لم يقدر معنى الأبوة، لهذا فأنا أتألم كل يوم لأنني لم أعرف لك قبرا، ولا مكانا دفنت فيه، لقد دفنتك في قلبي، وغطيتك بدموعي، ومنذ تلك اللحظة وأنا أشعر بالذنب، وأذرف الدموع بصمت عليك كلما تذكرتك، هل أعاقب نفسي؟ أم أنك تعاقبني عندما تطل كل حين على ذاكرتي؟

كلما أرى شبحك أتمنى أن تقترب مني أكثر لأراك وأتمتع برؤيتك ولو لثوان، لأسمع صوتك تناديني أو تعاتبني، لألمس أصابعك، أو رأسك الوردي.

في كل مرة أبحث عن جواب لسؤالك المعهود:
- لماذا تركتني يا أبي دون أن تراني؟؟
لماذا لم تنتظرني مع أمي طوال الليل، وساعات النهار؟ كما فعلت مع أخي عمر بعد واحد وعشرين سنة، أو أخي قيس بعده بعامين؟
لماذا ...؟
كفى يا ولدي فلا جواب لدي، عندما عرفت معنى الأبوة أحسست بذنبي تجاهك، فهل تسامحني؟ هل ستستقبلني بالجنة إن دخلتها ماشيا؟ أم ستهرب مني طائرا لأظل أبحث عنك؟ هل ستطلب لي الرحمة والغفران؟ كيف لي أن أعرفك، وأنا لم أرك من قبل؟ لم أسمع صوتك، لم أشم رائحتك العطرة، هل تشبهني أم تشبه أمك أم أنك خليط منا؟

أخاف أن أسأل أمك هذه الأسئلة حتى لا أثير مواجعها، فبعد موتك لم ترزق بغيرك، وفشلت كل محاولاتنا بأن نخلفك بشقيق يحمل ذكراك، كأنه عقاب لنا لما أذنبته بحقك.

كيف أعرفك يوم البعث، وأنا لم أرك من قبل؟ وعندما أجدك هل ستحتضنني وأنا المذنب في حقك؟
عشتَ ساعة واحدة كانت بعمري كله، تلك الساعة كانت كافية كي أضمك لصدري، كي أحتضنك، كي أشم كل قطعة في جسمك، كي أنقلك لمستشفى آخر أكثر تطورا ولديه إمكانيات لمعالجتك لأنك ولدت قبل موعدك غير مكتمل النمو؟
أنا الملوم يا ولدي، أنا الجاني عليك.

حبيبي، أأنت طائر من طيور الجنة الآن؟ تنتقل من وردة إلى أخرى.

آه يا صبحي كأن موتك قد فتح الباب لأخيك عمر وقيس ليريا النور، فلولا أنك غادرتنا لم أحتفل بمولدهما، كأن الموت هو الطريق إلى حياة جديدة، أليس الموت هو الطريق إلى العالم الآخر؟

بعد ٢١ سنة أصبح لك أخوان لم يعوضاني عنك لكن جاءا ليذكراني بك كل لحظة.
لو بقيتَ حيا حتى اليوم ٢٠١٠ لكنت اليوم في سنتك الثامنة والعشرين، شابا يافعا وربما أصبحتَ أبا، وصرتُ أنا جدا.

ليتك بقيت معنا، لتقف معي في محنتي وتسند ظهري عندما قوسته السنون، وترد عني الذئاب المنتشرة في غابة هذا الزمان.

نعم أنت موجود معي، لم تغب عن بالي رغم أنني لم أرك من قبل، لكنني رسمتك في خيالي كما رأيتك في أحلامي، هل تذكر كم مرة جئتني زائرا وأنا أغط في نوم عميق؟؟ صورتك لا تشبه وجه أخيك عمر، ولا أخيك قيس، كنت مختلفا بعض الشيء.

أيها الصبح، أيها الابن، الذي طل في الصباح وغاب عنا، كان صبحا جميلا، كنت صبحي المفضل، غاب الجسد وبقيت روحك تحلق حولي أينما رحلت، حبيبي الغالي، أستودعك الله وإلى لقاء قريب في جولة أخرى من نبش الذاكرة.

المدرسة العمرية في القدس
ذكريات الطفولة، وأحلامها

تموز – ٢٠٠٣

تقع المدرسة العمرية الابتدائية في القدس، في البلدة القديمة، في وسط الشارع الممتد من باب الأسباط، وشارع الواد والذي يطلق عليه طريق الآلام من موقع المدرسة حتى شارع الواد. ويعد موقعها الأعلى في ذلك الشارع حيث يبدأ الشارع بعدها بالانحدار بالاتجاهين، فقد بنيت المدرسة على قمة جبل يقول المسيحيون أنها رحلة الانطلاق للسيد المسيح عليه السلام بعد أن حكم عليه الرومان بالإعدام حسب طلب اليهود من حاكم القدس آنذاك. ففي ساحة المدرسة الأساسية كان يوجد حجر كبير يقول المدرسون والمترجمون أنه عذب عليه، ومن هناك انطلقت رحلة السيد المسيح نحو طريق الآلام.
ويقع في الطرف المقابل للمدرسة كنيسة هي المرحلة الثانية التي حمل فيها المسيح الصليب وقادوه إلى حيث صلبوه، كما جاء في كتبهم المقدسة.

تقع المدرسة بمحاذاة المسجد الأقصى المبارك، حتى أن بعض صفوفها تطل على باحة المسجد نفسه، وكانت المدرسة العمرية حتى عام ١٩٦٧ وربما بعدها بسنوات المدرسة الابتدائية الأولى في القدس. وتأتي بعدها المدرسة البكرية التي تبعد عنها ٢٠٠ متر تقريبا، لكنها أغلقت أبوابها بعد الحرب بسنوات وتحولت لمدرسة لأصحاب الحاجات الخاصة.

موقع المدرسة العمرية الحالي كان قبل النكبة تابعا لكلية روضة المعارف في القدس التي أغلقتها الحكومة البريطانية قبل النكبة (عام ١٩٣٨) لأنها سمحت لقادة النشاط الوطني الاجتماع فيها. وكان موقع المدرسة العمرية الأصلي قبل النكبة في منطقة حديقة الجرس في القدس الغربية قريبا من حي الطالبية وحي القطمون. وفي سنة ١٩٤٨م ذهبت هذه المدرسة ضمن احتلال القدس الغربية، وبعد الاحتلال بعام قامت مجموعة من أساتذتها باتخاذ المدرسة الأميرية للبنات والتي كان قد بناها الإنكليز أيام الانتداب شبيهة بالمدرسة العمرية والتي ذهبت في النكبة. فاتخذوا منها مدرسة باسم العمرية وافتتحوها للبنين. ولضيق استيعابها للطلاب ولحاجة البنات لها انتقلوا منها إلى مدرسة روضة المعارف الاسلامية للشيخ محمد الصالح. فأقاموا هناك باسم المدرسة العمرية وهي إلى اليوم قائمة باسم المدرسة العمرية.

ومن تحتها حفرت الحكومة الإسرائيلية نفقا يربط شارع الآلام إلى حائط البراق، أو المبكى الذي يتخذه اليهود كمعبد للصلاة، ولا يزال هذا النفق قائما حتى اليوم، رغم الاحتجاجات الدولية، والعربية سابقا، والفلسطينية، فلم تذعن إسرائيل ورفضت إغلاقه، ولم تستطع الدول الإسلامية حتى التي تقيم علاقة رسمية مع إسرائيل التأثير على الحكومة الإسرائيلية لوقف الحفريات، وربما لم تكلف نفسها عناء طرح الموضوع مع حكومة إسرائيل.

في هذه المدرسة بدأت مرحلة تعليمي المبكرة، حيث التحقت بها عام ١٩٦٤ وكان عمري آنذاك سبع سنوات، ولا أزال أذكر اليوم الأول من العام الدراسي (الثلاثاء الأول من أيلول سبتمبر ١٩٦٤) كأنه حصل يوم أمس.

كنت أجلس في زاوية بعيدة من زوايا ساحة المدرسة خجلا، ولم أعرف أحدا من التلاميذ، فكنت مثل غريب ضائع لا يعرف ماذا يفعل.

كنت أحمل حقيبة فيها بعض الدفاتر وقلم رصاص، وممحاة، وساندويش نسيت ماذا كان.

بعد قرع الجرس اصطف الطلاب الجدد في طوابير وبدأ الأستاذ ينادي أسماءنا ليوزعنا على الصفوف. وعندما جاء دوري نودي علي أكثر من مرة إذ كنت أرد بصوت خافت يكاد يسمعه الطالب الذي يقف بجواري فيضطر الأستاذ لتكرار ندائه.

أنهيت في هذه المدرسة خمس سنوات كاملة، وفي الصف السادس وهو الذي يشكل المرحلة النهائية في الابتدائية فقد انتقلت إلى مدرسة أخرى تدعى دار الأيتام الإسلامية في البلدة القديمة أيضا، ليس لأن تلامذتها أيتام بل لأن فيها فرعا صناعيا للأيتام فقط.

في هذه المدرسة بدأت رحلة العلم، ومن هناك انطلقت نحو العالم.
كان أول مدرس يدرسني اسمه الاستاذ وديع خميس، مسيحيا يسكن في سلوان (وادي حلوة) في تلك الفترة، وكان كبيرا في السن، ولكنه كان بشوشا وطويل البال معنا، ومنه بدأت أفك أول الحروف وإليه أدين بالشكر، والعرفان. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. لا أزال أذكر صفنا الأول الابتدائي، كان يقع في الجهة اليمنى من نهاية الساحة العلوية حيث يطل على شارع باب الغوانمة المؤدي للحرم الشريف.

كانت الساحة العلوية ملاصقة لمئذنة باب الغوانمة التي سمعنا كطلاب أن أحد المقاومين المقدسيين كان من أعلاها يطلق رصاصه على المحتلين أثناء الحرب عام ١٩٦٧ حتى قصفته إحدى الطائرات الإسرائيلية فانضم لقافلة الشهداء.
من الصعب نسيان مدرسي المرحلة الابتدائية، فمن وديع خميس بالصف الأول الابتدائي، مرورا بالأستاذ سعيد الحسيني في الصف الثاني، ثم الأستاذ كمال الركن، وعدلي النشاشيبي، في الثالث الابتدائي، والأساتذ فهمي الأنصاري، كامل الأرناؤوط، فوزي البكري، مراد هندو في الصفوف اللاحقة.

حرب عام ١٩٦٧ كان أسوأ مرحلة مرت على المدرسة حيث استلمت إدارتها بعد الهزيمة التي منيت بها الدول العربية، واحتلال ما تبقى من فلسطين، وزارة المعارف الإسرائيلية، وأمام رفض معظم المعلمين القدامى العمل مع الاحتلال الإسرائيلي عينت الأستاذ عبد الله نصار مديرا، لكن أحد المعلمين استغل وضع القدس والاحتلال، وركب رأسه وبدأ بالاحتجاج والتحرك لجمع العرائض الرافضة لتعيين عبد الله نصار مديرا بحجة أن مدير المدرسة مسيحي، مع أن الهدف كان أن يشغل هو ذلك المنصب.

محمد حسنين فهمي هو الذي قاد تلك الحملة، وظل يطارد ويراجع المعارف الإسرائيلية جامعا توقيعات بعض المدرسين الجدد الذين كان معظمهم من خريجي التوجيهي الذين قبلوا أن يحلوا محل المدرسين المضربين حتى قبلت الوزارة طلبه فهذا مناها، فقسمت المدرسة قسمين، الصفوف الموجودة في القسم العلوي من المدرسة (من الأول حتى الثالث) كان مديرهم الأستاذ عبد الله نصار أما بقية الصفوف الموجودة في الساحة السفلية فكان مديرها الأستاذ محمد حسنين فهمي، وهو أسوأ مدير (ناظر) مدرسة عرفته في حياتي. إذ لا يكفي أن أول عمل قام به تقسيم المدرسة إلى قسمين، فقد كان مديرا سيء الطباع ويستخدم العنف مع الطلاب لأتفه الأسباب، رغم أن طلابه من الأطفال الذين يحتاجون لرعاية، وتربية.

افتعل مشاكل مع الكثير من الأهالي، بسبب استخدامه العصا والعنف الجسدي ضد الطلاب الصغار لأي جرم ارتكبوه، فلو تأخر طالب عن المدرسة يتم ضربه، ولو تكلم الطالب مع زميل له أثناء الدرس وأرسله الأستاذ للمدير يتعرض الطالب إلى ضرب عنيف، وكأنه أراد أن يكون مديرا ليمارس ساديته على الأطفال الأبرياء.

كان هذا المدير يجمع الطلاب المشاغبين كما يسميهم وكلهم أعمارهم تتراوح بين العاشرة والثانية عشرة، فيدخلهم إلى أحد القاعات العلوية المطلة على الحرم الشريف، ويأتي بموظفيه، فيأمرهم بالإمساك بالطالب حيث يتم وضع جسمه على الأرض ليستلقي على ظهره ثم يتم رفع قدميه بعد خلع الجرابين (الكلسات)، ويقوم المدير محمد حسنين فهمي بضربه على قدميه بعنف حتى يفقد وعيه، وبعد ذلك يتركه يصرخ غير قادر على المشي. مرفق جانب من المدرسة العمرية من الداخل.

في هذه المدرسة بدأت أبني أصدقائي بدءاً من شعبان أبو خلف، وسهيل الخطيب، ورأفت الشهابي، وشرف البرقاوي، وانتهاء بنور السلايمة، وحجازي الرشق وغيرهم.

وكان الصديق شعبان أبو خلف يدعونا إلى بيت أهله الواسع نسبيا في وادي حلوة خارج سور القدس من باب المغاربة، فنذهب معه، وهناك يقدم لنا أهله الحلويات والشراب، لم يكن بمقدورنا أن ندعوه لبيوتنا، فأوضاع أهلنا المالية والبيتية لم تسمح بذلك، فكيف أدعوه وكنت في تلك الأيام أعيش مع الوالدين، وثلاثة من الإخوة والأخوات كانوا يتزايدون كل عامين في غرفة واحدة؟!!!
بقينا معا حتى فرقتنا الأيام فلا أدري في أي مكان يعيش. بحثت عنه، وعن آخرين لعلي أجد أحدهم خلال الشبكة لكنني عجزت فلم أعثر لهم على أثر.

صورة ساحة المدرسة العمرية السفلية حيث كنا نلعب

وبعد خمسين سنة من البحث وعندما وصلت إلى خيط يوصلني إليه، اتضح لي أنني كنت أبحث عن سراب.

في هذه المدرسة تفتحت على الحياة، والتحقت بسوق العمل المأجور خلال دراستي فيها حيث كنت أعمل ليس فقط في العطلة الصيفية، ولكن في ساعات ما بعد الظهر.

كان مصروفي اليومي خلال السنوات الأولى في المدرسة العمرية عبارة عن تعريفة أردنية لونها أحمر، وهي عبارة عن نصف قرش، وكل مائة قرش تساوي دينارا واحدا.

كنت أشتري في التعريفة ربع ساندويش فقط، وهو عبارة عن ربع رغيف صغير كنا نسميه كماج، وفي داخله قرص فلافل صغير لا غير، وعلى الفلافل بعض الزعتر والملح.

أحيانا إذا كانت الأوضاع ميسورة كنا نخرج من المدرسة في فرصة الغذاء لنشتري بعض الفلافل، والبطاطا المقلية من بائع يقف باب المدرسة يغلفها لنا بصفحة من جريدة فتمتزج البطاطا مع حبر الجريدة فتضيف للأكل طعما جديدا لم يعرفه غير طلبة جيلنا القديم.

كنت من الطلبة المتفوقين في المدرسة في كل شيء إلا الرياضة، وكان يدرسنا إياها الأستاذ عدلي النشاشيبي من القدس.

بعد الاحتلال الإسرائيلي بسنة أي في عام ١٩٦٨ تم افتتاح مكتبة عامة لطلبة المدرسة، وقد سدت تلك المكتبة فراغا كبيرا، وكانت مكتبة منوعة أدبية ثقافية، وفيها بدأت أطالع عشرات الكتب خارج المنهاج الدراسي، وعندما زاد عدد المترددين على المكتبة الصغيرة، فقد اضطرت إدارة المكتبة السماح للمشتركين فقط بالجلوس فيها، ورغم أنني لم أكن مشتركا فيها في البداية، لأنني لم أملك قيمة الاشتراك إلا أن المشرف عليها وأعتقد أن اسمه محمد ياسين صب لبن كان يسمح لي من بين كل الطلاب غير المشتركين في الدخول إلى المكتبة في أي وقت لأنني ربما الأكثر تواجدا ومطالعة، فلم أترك قصة للأطفال الصغار لم أقرأها، وأذكر أنني أيضا قرأت قصص عنترة بن شداد، والزير سالم، وقصة بني هلال، وحمزة البهلوان، وسيف بن ذي يزن، ودون كيشوت، ووو.. الخ.

المدرسة العمرية صرح علمي خرجت الكثير من الطلاب، ومن أقدم المدارس في البلدة القديمة، وسميت بالعمرية نسبة للخليفة العادل عمر بن الخطاب.

في الصورة اليمنى مدخل المدرسة العمرية، وفي اليسرى، أول صف تعلمت فيه في المدرسة، وكان الصف الأول وهو مطل على باب الغوانمة.

افتح الباب فالأحبة عائدون

أيلول سبتمبر ٢٠١٥

عندما تزور البلدة القديمة من القدس وأنت في نهاية العقد السادس من العمر ليس كمن يزورها معك في ريعان الشباب، فها هو يسير إلى جنبك لكنه يراها بغير عينك، وأنت ترى ما لا يراه مرافقك في شوارعها.

أنت المولود في قلبها، والذي استشهد في روايته على سورها وروى دمه بلاطها الذي كم سار عليه حافيا، والتصقت أقدامه بحجارتها فسرى في جسمه نبضها، وأصبح العاشق لها.

هي، وما أدراك ما هي، صبية لم تهرم ولم تغيرها السنون، حاولوا أن يغيروا لون عينيها، ولون شعرها، وطلاء أظافرها، وبعض ملابسها، لكنها بقيت في عينيك كما هي في جمالها الطبيعي.

أنت الوحيد الذي يراها على حقيقتها، أنت الوحيد الذي يعرف سرها.
هل تذكر عندما دخلتها من باب العمود؟
كنت تحرص ألا تضرب أحجارها بعكازك فتوقظ من ينام في جوفها، أو تجرح مشاعرها فكنت تجره جرا وأنت تجيل ببصرك يمينا وشمالا كأنك تبحث عن شيء فيسألك مرافقك:
- أتبحث عن شيء؟
فتضحك، وتطلب منه متابعة المسير، لن يصدقك إن قلت له أنك تبحث عن أجدادك الذين كانوا يمرون من هنا كل يوم، وكأنهم يسيرون الآن خلفك فوقع أقدامهم يرن في أذنيك.

ها هم يسيرون ببطء يتبادلون الحديث فيما الناس اليوم يتدافعون مسرعين لا يرون إلا أنفسهم.

هل تذكر بائع الجرائد الذي كان يبسط جرائده هناك والناس يلتهمون عناوينها مجانا؟
هل ترى بائع الخبز (هاشم) عند أول شارع الواد؟

كنت عندما تجلس في حضرة أحد أجدادك وهو يحتضر كنت تسمعه يقول أنه يرى أحبته الراحلين يتدافعون إليه لزيارته، أنسيت عندما طلب أحدهم أن تفتح باب الغرفة لأنهم يقفون في الباب كما قال؟ يريدون الدخول وينتظرون أن يفتح لهم أحد باب الغرفة.
كنت تسأله ببراءة الأطفال:
- لكني لا أرى أحدا.
فيقول لك:
- إنني أراهم مقبلين علي مبتسمين، وأنت لا تراهم.
كنت تهز رأسك متوهما أن جدك كان يهذي بسبب المرض.

هل اقتنعت اليوم أن جدك كان مصيبا؟ فها أنت مثله تماما ترى في القدس ما لا يراه الشباب من حولك.
تابع سيرك في باب خان الزيت ما الذي تبحث عنه الآن؟
والدك الذي كان بعربته ذات العجلات الثلاثة يطوي الشارع بها، يصيح بأعلى صوته:
- اوعى ظهرك
منبها المارين بعربته.

تابع سيرك فلا تكترث لوجوه المارة الحزينة، ولا لمن يدفعونك كي يسبقوك في مشيهم.

فجأة تسمرت قدماك عندما اقتربت من المرحلة التاسعة في باب خان الزيت،
حاولت أن تحبس الدمع في عينيك كي لا يسخر منك المارة، وتثير دهشة مرافقك.
دمعك خانك، ولماذا لا يخونك؟ أهذه المرة الأولى التي يخونك فيها دمعك؟ ألا تعلم أنك تعجز دوما عن حبس دموعك عندما تدخل البلدة القديمة في القدس؟
سألك بصوت خافت:
- ماذا حصل؟ هل دفعك أحد؟ هل ...؟
- هناك استشهد محمود الكرد؟
قطب جبينه، وتغير لون وجهه، فقد خشي أن يقول لك: من محمود هذا؟
- انظر إنه ملقى على الأرض، ألا ترى جدتك العجوز تخلع ملايتها،لتضمد جراحه؟؟

لكنه رحل بين يديها بعد أن أودعها سره.
يا لهذا السر الدفين الذي لا يعرفه أحد غيرها.

تابع سيرك فالشهداء لا يموتون.

أتعبك السير في سوق العطارين الذي لم يعد سوقا للعطارين لكن لتجار الملابس والألعاب.
أنت الآن قرب سوق الباشورة.
هنا كان أبو عطا بائع الخبز صاحب الرجل المقطوعة يجلس كل صباح.
هنا محل أبو عادل القواسمي وأبو ناصر أبو ليلى.
كنت كلما مررت من هنا تلقي عليهم التحية، وتتابع السير.

أتعبتك عيناك كان عليك أنت ترى الناس كما هم الآن، ألا تكف عن استحضار الماضي؟
حسنا أنت تقول أنك لا تعيش في الماضي لكن هم الذين يعودون.
إنهم يعيشون معنا لكنهم اختفوا من عيون الآخرين. أتعبك المشي ولم تعد قدماك تحملك فتوجهت إلى المسجد الأقصى لترتاح قليلا. وعندما وصلت كانت الساعة العاشرة صباحا وأمام مدخل الحرم من جهة باب السلسلة عشرات الجنود، ينظرون إليك والشرر يتطاير من أعينهم، وعندما اقتربت، طلبوا منك العودة من حيث أتيت، لأن حكومة الاحتلال في ذلك اليوم لا تسمح لأحد غير اليهود في الدخول ما بين السابعة والنصف صباحا، ولمدة أربع ساعات. فعدت أدراجك تلعن في سرك الاحتلال وأعوانه، فإذا بصوت تميم البرغوثي يرن في أذنيك:
في القدس، من في القدس إلا أنت!!

رحلة إلى الماضي مع سيجار (فوانتيه)

كان الفقر سر سعادتي

أيار ٢٠٠٦

أشعل سيجاره الذي تعود أن يدخنه كل مساء، بعود من الكبريت، وجال في بصره بعيدا، وهو ينفث الدخان من فمه بشكل يوحي لكل من رآه أنه يتلذذ في تدخين سيجاره العريض.

مع كل شفطة سيجار كان يسرح بعيداً كأنه يعود للوراء سنة، سنتين، عشر سنوات وربما جيلاً بحاله، لا يدري أين تدور به الذكريات كأنه في عربة اختراق الزمن.

- إيـــــــــه ساق الله على أيام زمان، صحيح كنا فقراء لكن كنا سعداءاً جداً، على الأقل هكذا كانت مشاعرنا، لم نكن نشكو حالنا، كما نشكوها الآن رغم أن وضعنا الاقتصادي الآن أفضل ألف مرة.

- ربما كنا نوهم أنفسنا أننا سعداء، فأين السعادة في طفولة معذبة كلها فقر مدقع؟؟ ألم تلتحق بسوق العمل المأجور قبل أن تبلغ العاشرة؟ ألم تكن تحمل على رأسك طرحة الخبز وفيها أكثر من مئة رغيف من الجهة الجنوبية لسور القدس، قرب باب القلعة إلى باب العمود في البلدة القديمة من القدس أي الجهة الشمالية من البلدة؟؟

- رغم هذا كنا سعداء، حتى عندما كنت أعمل في أحد المحلات السياحية بعد الدوام المدرسي إلى منتصف الليل فقد كنت سعيدا، كنت أشعر بالسعادة وأنا أذهب إلى المدرسة لابساً بنطلوناً مرقعاً من كل جانب، لو لبسته اليوم لقال الناس أنه موديل جديد وقلدوه، الأمور لا تحتاج لفلسفات كثيرة، فقد كنت سعيدا وكفى، ربما كان الفقر سر سعادتي.

- لا تخدع نفسك، فقد كانت قناعتك سر تقاعسك في تحسين وضعك المالي وأصبحت تؤمن بمفاهيم غريبة مثل أن المال يفسد الإنسان، فتركت الآخرين ينهشونك وبسطت يدك لمن حولك فخدعوك فيما بعد. كنت تجلس في الشوارع بعد حرب عام (١٩٦٧) تبيع الخبز للمارين وبعضهم كان من اليهود الذين كانوا يأتون بالآلاف لزيارة القدس الشرقية بعد أن احتلوها عام (١٩٦٧) كنت تبيعهم بسعر أعلى من العرب لأنهم يهود، ولديهم فلوس أكثر، وهم محتلون، وليسوا كأهل البلد في حين كان غيرك يجلس في بيته يلعب أو يطالع قصة أو كتابا يفيده في دراسته.

- رغم هذا كنت سعيداً، كنت أتقاضى يومياً عشرة قروش، كانت في حينه مبلغا مغريا لطفل في عمري، وكثيراً من الخبز، وكانت أمي تفرح لذلك وتفتح يدها تريد الفلوس، والخبز، فيما أبي يتظاهر وكأنه لا يريدني أن أعمل، مع أنه كان يأخذ الفلوس منها فيما بعد.
عملت في موقف باصات باب العمود بعد ذلك بعام بعد أن طردت من العمل بالمخبز، كنت أنقل صناديق الخضار، والفواكه للفلاحات من سطح الباص (هكذا كان ينقل الفلاحون بضاعتهم)، وأنقله لباص آخر حسب وجهتهم لبيع منتوجاتهم، مقابل قرش واحد عن كل صندوق. أتذكر أنني كنت أحصل حوالي خمسة عشر قرشا، كنت أعطي أمي عشرة كما كنت أفعل عندما كنت أجيرا في المخبز، وأصرف الباقي دون معرفتها.

كان عمري عشر سنوات أو أقل بقليل عندما احتلت إسرائيل ما تبقى من فلسطين ولم أكن أعرف حينها شيئا عن الاحتلال سوى أن اليهود يكرهوننا ويريدون قتلنا، لم يوافق والدي على الرحيل من القدس إلى عمان كما فعل كثير من المواطنين الفلسطينيين خوفا مما سيفعله اليهود بهم فبقينا في بيوتنا مثل معظم الناس ولم نخش اليهود ولا حرابهم.

توقف لحظة عن التفكير وسحب شفطة أخرى من سيجاره كأنه ينتظر فيلما جديداً، بل كأنه أمام شاشة التلفزيون ينتقل من قناة إلى أخرى لا يدري ما الذي يبحث عنه ولا ما يمتعه، ألا تمارس تلك العادة يوميا وأنت أمام شاشة التلفاز؟؟ هذا فيلم قديم، هذه أغنية بايخة، هذه أخبار بايتة، هذا مذيع تعبان صوته خشن، هذه مذيعة جميلة دعني أسمع ما تقول، ثم تغير القناة بعد دقائق لا تعلم أين النهاية، فجأة قد تتوقف عند فيلم قديم حضرته ألف مرة

وتحفظه عن ظهر قلب، وتصر أن تشاهد بعض فقراته ليس حبا في الفيلم بل لأنه يعيدك للوراء جيلا كاملا، لأنه يذكرك بحادثة معينة، ربما يذكرك بشبابك الضائع أو طفولتك، أو صداقتك وربما وربما، وقد يحدث ذلك أيضا عندما تستمع فجأة لأغنية قديمة كنت تغنيها قبل ثلاثين سنة ؟! هل جربت؟؟

- هذا الفيلم حضرته مع أصدقائي القدامى، أصدقاء المدرسة، يـــــاه كيف أخبارهم؟ ثلاثون سنة لم أرهم ومع ذلك لا يزالون يحتلون في ذاكرتي حيزا كبيرا.
- من تقصد يا ترى؟ أشوقي أبو غزالة وإبراهيم القيسي ومحمد علي عايد وخالد القيسي وموسى منى وووو ؟
- مالي أراك تغوص في أعماقي من جديد؟
- أم تقصد .....؟؟
- كلهم، كلهم دون استثناء، كانوا أصدقاء، وصديقات المدرسة لكن تركوا ببراءتهم أجمل الذكريات التي من الصعب أن تمحى من الذاكرة. أتدري رغم شوقي الشديد لهم إلا أنني أحيانا أخاف لو التقيت بأحدهم أن أصدم فأنقم على تلك الذكريات الحلوة، أخاف أن يكونوا قد تغيروا بمشاعرهم، وإنسانيتهم، أحاول أن تبقى ذكرياتي كما هي لا تتغير، فأنا لا أحب أن تتكسر ذكرياتي كما تكسرت أحلامي، فإن لم تكن أحلامي مقدسة لأن لا سيطرة لي عليها فإن ذكرياتي القديمة مقدسة عندي لأنها صورة حقيقية عني أحب دائما أن أراها كما هي دون ألوان جديدة ولا تكنيك جديد. أريدها قديمة أصلية كقطعة الآثار التي يحرص علماء الآثار على عدم المساس بها أو حتى تسليط أشعة الضوء عليها.

- ترى هل يذكرونك كما تذكرهم بالخير؟ أم ربما نسوا أنك كنت واحداً منهم؟ أتراك تخطر على بال أحدهم؟ أتشكل جزءاً من ذاكرتهم كما يشكلون جزء من ذاكرتك؟
- أعتقد ذلك ولكن مهما كان الأمر فلن يغير ذلك من الموضوع شيئا فهم جزء من حياتي ومن الصعب أن يخرجوا منها. قد تتغير أماكنهم في الذاكرة لكن من الصعب محوهم لأن ذلك يعني فقدان ذاكرتي وهذا يعني موتي النهائي.

- **أإلى هذا الحد تتذكرهم؟ أتحبهم لأنهم كانوا أصدقاءك أم لأنهم كانوا أصدقاء الدراسة بما تحمله من مشاعر محبة متدفقة؟ أم لأنك لم تعد تراهم فظلوا في ذاكرتك بتلك الهالة المقدسة التي تركتهم بها؟**
- **لا أدري قد تكون مصيبا لكنها ذكريات جميلة أتمنى لو عادت بي الأيام لأحياها من جديد .....آخ لا بد من شفطة سيجار أخرى، بل شفطتين هذه المرة :**

- **صباح الخير يا عادل.**
- **أهلا صباح الورد يا ...**
- **هل أنجزت وظيفة الأمس في الرياضيات؟**
- **نعم كلها.**
- **عظيم هل أستطيع أن أستعير دفترك؟**
- **طبعا يسعدني ذلك.**

لم أعط دفتري لأي طالب غيرها فقد كانت تحتل في نفسي احتراما كبيراً ومحبة صادقة، لم تتغير حتى بعد أن افترقنا إنه الحب الأول في حياتي، حب من القلب، لم ألمسها إلا عفوا، لم أقل لها أحبك وجها لوجه، فقد كنت أخاف أن أصرح لها بذلك، هكذا تعودنا، تلك كانت عادة أبناء جيلي، أن نخجل حتى في الإفصاح عن مشاعرنا الصادقة، لذلك كنا نصيغها في أبيات من الشعر أو أغنية نسمعها، أو كلمات جميلة نكتبها، أو الثرثرة فيها مع أحد الأصدقاء القريبين من القلب. لم تتكلم فينا إلا العيون، لكنها كانت أحيانا تحمر وتصفر، وتخجل أن تقول كل ما تريد قوله فقد كان سحرها يفقد العيون توازنها فتميل كرجل ثمل، كانت العيون تريد من الآخر أن يفهم كل شيء دون شرح.

تغير الزمن فتغيرت الأشياء والعلاقات والمعادلات الحسابية الاجتماعية، كأن الناس أنفسهم مربوطون بعامل الزمن فقد يكون أحدهم سر سعادتك يوما ما، وسر تعاستك يوما آخر.

هل الناس الذين تغيروا أم الزمن الذي تغير؟ أم أن كل شيء متغير ولا شيء ثابت إلا ذكرياتي التي أحاول ألا يعكرها أي شيء؟

- ألم يكن في حياتك أصدقاء كانوا يوما رفاق دربك وأصبحوا الآن لا يشكلون لك سوى الجانب السيء في حياتك؟

- كثيرون تغيروا للأسوأ، بعضهم أصبح انتهازياً وآخرون أصبحوا لصوصاً باسم الوطن والشعب، ومنهم من اغتنوا فصاروا عندما أتصل بهم يتهربون، لأنهم يبحثون عن أصدقاء جدد يتناسبون مع مواقعهم الجديدة. قسم منهم ماتوا قبل أن يتغيروا فحافظوا على نقاوتهم. أنور ربيع سقط من الطابق الرابع فمات تاركا زوجته في رام الله وحيدة حتى بدون أولاد .

- ترى لماذا تعود للوراء كثيرا، لم لا تعيش الحاضر كما هو، هل تعشق الحاضر بأحلام الماضي أم تحب أن تعيش الماضي بأحلام الحاضر؟
أيستطيع الإنسان أن يعيش في زمن غير زمنه وأن يعيش كل الأجيال؟

- جربت وفشلت، فجيل الطفولة ولى بأحلامه، وأوهامه، وناسه، وأصدقائه. لم يتبق منه غير ذكريات جميلة.

قارب سيجاره على الانتهاء، أوف إنها ساعة كاملة، فهذا السيجار يحتاج تدخينه لساعة كاملة. إذا لقد مر على رحلته إلى الماضي ساعة كاملة، إنه سيجار (أرتورا فوانتيه) المصنوع في أمريكا الجنوبية.

ما ألذ العودة إلى الماضي مع سيجار أرتورا فوانتيه، لكن ما أصعب العودة من الماضي إلى الحاضر لأنك تعود فارغ اليدين، تترك أصدقاءك القدامى حيث كانوا، كأنك تودعهم من جديد بالرغم منك، تترك من تحبهم في عالم آخر، تدفن بعضهم مرة أخرى كأنك تقتلهم كلما عدت لهم حتى السيجار يصبح رمادا. لكن الشيء الوحيد الجميل هو أن باستطاعتك كلما أردت أن تشعل سيجاراً جديداً أن تحييهم مرة أخرى وتعود لهم، فمتى يبعثون من جديد؟

سامحني يا ولدي

تموز، يوليو ٢٠٠٧

أولادي الأعزاء، أحبائي ...
إذا رن جرس الهاتف يوما، وكان على الخط الآخر صديق ينعى لكم أباكم في الغربة، فلا تحزنوا، ولا تبتئسوا.
لا تشغلوا أنفسكم كثيرا بقبري، وأين سأدفن فكل القبور بعد الممات أوطان متشابهة.
ولا يهم أين ترقد جثتي، لأن روحي ستحلق حولكم أينما كنتم لتدفع عنكم شرور هذا العالم المتحضر المؤمن بالحروب الحضارية، بعدما فشلتُ حيا في تأمين الحياة الكريمة لكم كما كنت أحلمها، وأراكم من خلالها.
سامحوني، فلم أكن أعلم أنه حتى الأحلام الصغيرة أحيانا لا يستطيع الإنسان أن يترجمها إلى حقيقة...
لم أكن أعلم أن الرياح تجري بعكس رغبة القوارب الصغيرة التي إن ابتعدت كثيرا عن الشاطئ ضاعت في عرض البحر، وحاصرتها أسماك القرش، وحيتان البحار.

كنت أعتقد أن من يجيد السباحة لا يخاف الماء، لكن لم أحسب حساب الأمواج العاتية، ولم أعرف من قبل أن البحر يثور بغير ميعاد، فيفتك بضيوفه، ومحبيه دون رحمة.

فسمك القرش يهاجم الشواطئ الهادئة، يفتك بالمستحمين الأبرياء ويجعل نهارهم ليلا حالك السواد.

ولدي الحبيب، نور عيني ...

ها هي آلة الأورغ جالسة وحدها فوق قاعدتها السوداء، لا تجد في البيت من يعزف عليها لأن أصابع يديك غابت عنها، لم أتوقع أن يأتي يوم لا أجد مكانا لآلة عودك في السيارة التي نقلتني من ولاية إلى أخرى، فأهبه لصديق يزين فيه بيته، بعدما كان ينتظرك لتعزف عليه لحن الوفاء لأبيك الذي بالغ في أحلامه في هذه الدنيا..

ممنوع أن نحلم في هذا العالم الذي تسيطر عليه المصالح، والعلاقات التجارية، ممنوع أن نطلق العنان لخيالنا لأن خيال الشعراء غير مرغوب فيه في عالم المال، والحروب لأن

القائمين عليها حولوا كل شيء إلى سلعة تباع وتشترى، حتى الشعر، والموسيقى، والأدب، والفن، والحب .. فماذا تركوا لنا؟

يريدون تحريم الحب، والأحلام، والأماني..

لا أريدك أن تنسى، إذا أتاك من ينعاني فلا تحمل عليه، ولا تحمله إثم نقل الخبر.
ولا تزعل علي لأنني لم أترك لك أو لأخيك أي ميراث يساعدك في هذه الحياة، المليئة بالأخطار والمفاجآت المرعبة حتى يشتد عودك.

لا تغضب لأنني لم أترك لك بيتا جميلا تسكن فيه مع أمك وأخويك، أو سيارة تنقلك إلى المدرسة.

فقد تركت بدلا من ذلك الكثير من الهموم والمشاكل، والديون.
وتركت لك بعض الأشعار لعلك إن كبرت تقرأها، وتغنيها بصوتك الجميل كما كنت تغني لي بابا فين.
هل يكفي ما طبعته على خديك من قبلات منذ ولادتك حتى يوم وداعك؟

أتتذكر عندما كنت كل صباح تستيقظ مبكرا، وتأتيني لتطبع قبلة على خدي فأعيدها لك قبلات مضاعفة؟
أرجوك لا تزعل مني، فقد جئنا بك إلى هذا العالم لنحقق فيك ما عجزتُ عن تحقيقه في حياتي، فإذا بي أكرر فشلي معك، وأتركك تصارع الدنيا طفلا صغيرا يحمل في قلبه أحلام الطفولة البريئة التي لا تتجاوز لعبة صغيرة يحاول التجار أن يحتكروها ليغتنوا بها على حساب أحلام الصغار.

إن جاءك الناعي ولم ترني، فلن أكون بعيدا عنك.
ستلاحقك روحي أينما كنت، ستسهر على راحتك، ستغني لك في أحلامك عندما تنام، أتذكر عندما كنت تنام على صدر أبيك أو أمك؟

ستبعد روحي عنك الأشباح المزعجة، ستقيك روحي حر شمس تموز عندما تلعب مع إخوتك في شوارع القدس العتيقة، ستكون روحي ظلك الذي لا يفارقك، ستصلي لك وتأخذ بيديك لعلها تساعدك في تحقيق أحلامك الصغيرة.

لن أتركك تغيب عني، سأسهر على راحتك وأنت نائم، أنسيت عندما أجريتَ العملية الجراحية كيف كان الألم يجثم فوق صدري، ويعتصر قلبي؟ لم أتركك في المستشفى وحيدا، بل كنت أسهر على راحتك وأنت شبه نائم تئن من الألم، كنت تخاطبني بصوتك الملائكي قائلا:

- بابا عندما أكبر أريد أن أكون طبيبا لأعالج الأطفال المرضى.
- إن شاء الله يا حبيبي ستكون أفضل طبيب يحرص على مرضاه.

وعندما كنت تدندن وتغني أثناء اللعب، كنت تقول لنا:

- أريد أن أصبح موسيقارا لألحن الأغاني للأطفال، كي يغنوا معك أغانيك المفضلة.

أما عندما كنت ترسم بالريشة ألوانك الزاهية على الورق كنت تقول لنا أنك ترغب أن تكون رساما كي ترسم الأنهار، والأشجار، والأطفال، وحبات المطر وهي تنزل في فم الأطفال.

كنت في أحلامك تفكر للآخرين، كنت ترى السعادة في وجوه أصدقائك، وأحبائك، فقد ورثت بعض حب أبيك للناس. فهل ستحافظ على تلك الأحلام لتكبر معك كل يوم أم سيغيرها الزمان كما غير كثيرا من الناس.

حبيبي...

لا تلمني على ما سهوت عنه، ولا على ما أخطأته، لعل حبي لك الواسع سعة هذا الكون يغفر لي، ولعلي أحظى ببعض حبك، فلن أزاحم أمك على كل الحب. ولعلك تحتفظ بخيالك الطفولي، بصورة والدك وهو يكيل لك القبلات بغير حساب.
وربما تحتفظ بصورة أبيك بشعره الأشيب معلقة على الحائط في مكتبك، أو غرفة نومك، لأطل عليك منها كلما جلست فيها.
لا تقلق بصورة أبيك أيام الشباب، فلم تكن موجودا آنذاك، كنت ترفض المجيء، وتركتني أنتظرك عشرين عاما على أحر من الجمر، وعندما شرفتنا استقبلناك بالدموع، والفرح أفلا تغفر تلك الدموع لأبيك بعض تقصيره بحقك؟

ابني عمر يمينا وابني قيس يسارا عام ٢٠١٢

كانون نار جدتي

صيف ٢٠١٢

لم يكن لدينا في تلك الأيام مدفئة غازية، أو حتى كهربائية، كانت مدفأتنا الوحيدة تتكون من كانون نار جدتي لأبي الحاجة صبرية رحمها الله، مدفأة تعتمد على الفحم المشتعل الذي كانت جدتي ترسلني، أو ترسل عمي عبد العظيم الأكبر مني بسنوات لنحضره من أحد الأفران القريبة منا وما أكثرها في تلك الأيام (ستينيات القرن العشرين) التي عشناها في البلدة القديمة من القدس. كانت الأفران في معظمها يستخدم الحطب.

فلم يكن يخلو شارع من فرن للخبز «العيش» البيتي، أو التجاري، فقد شلكت الأفران في خمسينيات وستينيات القرن العشرين ركنا أساسيا من العائلة الفلسطينية في المدينة المقدسة بعكس القرية التي كان سكانها يخبزون خبزهم بطوابينهم «الطابون، جمعها طوابين، وهو فرن بسيط يتم بناؤه من الطين والحجارة بشكل شبه كروي ويترك في أعلاه فتحة لاستخدامه للخبز، أو إعداد بعض الأكلات الشعبية. يوضع حجارة صغيرة في داخله».
في المدينة كان المواطنون يرسلون صواني اللحمة، أو المعجنات من السفيحة، أو أقراص السبانخ، السمبوسك ...إلخ إلى الأفران القريبة مقابل بعض القروش البسيطة، كحياتنا التي كانت بسيطة وغير معقدة والناس في أغلبهم راضون، وفرحون بما قسم الله لهم.

كنت أحمل الكانون فارغا لأعود به مليئا بالفحم المشتعل الذي يصلي وجهي حتى أصل البيت، فيتجمع كل سكانه من عماتي وعمي مع جدي عبد الرحمان، وجدتي حول الكانون يدفئون به أجسامهم المنتفضة من البرد، وكانت الأيدي تتسابق أيها تكون فوق الفحم ليجري الدم مجددا بها بعد أن يكون قد قارب على التجمد.

كانون نار جدتي مثل كل كوانين فلسطين لم يكن مجرد وسيلة للتدفئة بل كان أبعد من ذلك بكثير، كان تراثا وأسلوب حياة لا يعرفها إلا من عاش تلك الفترة وجلس مع أهله حول الكانون.
أبرز إيجابيات كانون النار كان تجميع كل العائلة حوله، إذ كلما ابتعد أحد عن كانون النار سيشعر بالبرد حتى لو في نفس الغرفة لذلك كان يجبر على الجلوس قريبا منه،

وبغياب التلفزيون كان الأهل يتبادلون الحديث، والنكات، ويثرثرون في كل شيء، فكان جدي يحدثنا عن زمن الاحتلال البريطاني، وزمن تركيا، كانت جدتي تقص علينا قصص الغول والعمورة، وكل ما يخيف الأطفال.

وخلال الأحاديث والقصص كانت جدتي تستغل الوضع فتحضر الشاي على الفحم، واسألوا محبي الشاي كيف أن تحضيره على الفحم له نكهة مختلفة وأكثر لذة، أو تشوي الكستنة، أو حبات بطاطا، أو أي شيء يساعد في إطالة السهر، والسمر لأنه في فصل الصيف وبغياب الكانون كانت تقل تلك الجلسات التي تضم الجميع مرغمين.

كنا نتسابق جميعا على احتساء الشاي بالنعناع من يد جدتي، ونتسامر ونستمع لأحاديث جدي الطيب رحمه الله عبد الرحمان، ونضحك عندما يختلف مع جدتي وتفرض عليه رأيها. كنا نحتسي الشاي بالكاسات الصغيرة نتلذذ أثناء رشفها كأننا أمام خمر معتق منذ عشرات السنين. في تلك الأثناء كنا نتبادل أخبار المدينة كلها صغيرها وكبيرها كنشرة أخبار هذه الأيام.

اليوم اختفى كانون النار من بيوتنا، فاختفت معه ليس فقط نكهة الشاي المغلي على الفحم، بل تفرقنا ولم نعد نجتمع إلا ما ندر وبعد اتصال مسبق وربما في المناسبات فقط، اختفى كانون النار، ورحل جدي وجدتي عن الوجود (جدي لأمي مات قبل مولدي، وجدتي لأمي ماتت قبل جدتي لأبي بزمن) فأخذا معهما جيلهما، ومحبتهما، ونكهة شايهما وخبزهما، وابتسامتهما، تلك النكهة التي يجهلها أبناؤنا ويضيقون ذرعا إن حدثناهم عنها.

اختفى كانون نار جدتي فاختفت الآذان الصاغية التي كانت تستمع لأحاديث الكبار فتتعلم منها، اليوم حل محلها ألعاب إلكترونية حولت أولادنا لآلات، ليس لديهم وقت للاستماع لنا، بل يضيقون ذرعا بنا إن حدثناهم فأشغلناهم عن ألعابهم.

بحثت في الشبكة العنكبوتية عن كانون نار يشبه كانون جدتي الدائري الواسع فلم أعثر على صورة تشبهه، فكوانين هذه الأيام تختلف كثيرا لأنها معدة لشوي اللحم، والفراخ ولا تحمل نكهة جيل مضى.

جدي، جدتي رحمكما الله، كم نحن مشتاقون لكانون نار بيت القرمي وقرميده في بيت المقدس رغم أنه كان يدلف من المطر فتتساقط نقط الماء بالبيت أثناء الليل من عدة ثقوب

في السقف. حاول جدي إصلاحها أكثر من مرة ففشل فصار يضع تحتها تنكة ماء هنا، وطنجرة هناك فتحدث أثناء تساقط الماء بها عزفا موسيقيا ننام على أنغامه، ونحفظه عن ظهر قلب، فنعرف من صوت حبات المطر المتساقطة أي الأماكن يسقط منها الماء، ونستغرب إن أمطرت بغياب ذلك العزف المطري المنفرد.

لم نكن نعلم أبدا أنه سيأتي يوم نشتاق لذلك العزف الطبيعي الذي من الله به علينا، ونتمنى أن يعود ولو لحين.

جدتي الحاجة صبرية الجالسة من اليمين، وبجانبها جدي عبد الرحمان، رحمهما الله.

لولا الشعر ما حملت القلم

نيسان ١٩٩٤

منذ نعومة أظفاري وأنا أحب الشعر والشعراء، لم أترك ديوان شعر في مكتبة الأمانة في القدس، أو مكتبة المدرسة العمرية حيث أنهيت خمس سنوات من المرحلة الابتدائية فيها، إلا وقرأته حتى حفظت آلاف الأبيات الشعرية عن ظهر قلب.

قرأت دواوين المتنبي، وأبو تمام، والبحتري، والمعلقات، وابن الرومي، وابن الفارض قبل أن أتجاوز الثالثة عشرة من عمري وعشقت لذلك سماع الشعر إنشاداً ولحناً، وحاولت في سن مبكرة أن أكتب أولى قصائدي، فكانت بدايتي مع الشعر والأدب.

عمر الخيام أول الشعراء

الفيلسوف الفارسي والشاعر عمر الخيام في رباعياته المشهورة ، كان أول ديوان شعر أقرأه، بل وأنسخه بخط يدي من الغلاف للغلاف، وقد فعلت ذلك مرغماً لا مختاراً ولذلك قصة سأرويها لكم. في نهاية العام (١٩٦٨) حصل والدي على نسخة من رباعيات الخيام التي ترجمها للعربية الشاعر أحمد رامي من صديق له كان قد اشتراها من القاهرة أثناء زيارته لها، ولأن والدي يحب قراءة الشعر فقد استعار الديوان من صديقه الأستاذ سعيد السلايمة وطلب مني أن أنسخه له من الغلاف للغلاف وهذا ما كان.

لقد كانت كلمات الفيلسوف عمر الخيام تحمل في طياتها أجمل المعاني وأرقها ولعل أول رباعية حفظتها له كانت:

سمعت في حُلمي صوتاً أهاب ما فتّق النوم كمام الشباب
أفقْ فإن النوم صنوُ الردى واشرب فمثواك فراش التراب

عمر الخيام، كان الديوان الأول الذي أقرأه، ومنذ تلك اللحظة وأنا أتنقل من ديوان شعر إلى آخر. بدأت بشعراء ما قبل الإسلام، ثم شعراء العصرين الأموي، والعباسي، وكذلك شعراء الأندلس، مثل ابن زيدون.

شعراء المقاومة في الصدارة

في مطلع السبعينات، ومع نهوض الحركة الجماهيرية في المناطق المحتلة، نزلت إلى الأسواق دواوين محمود درويش، وسميح القاسم وتوفيق زياد، وغيرهم من شعراء المقاومة حيث كانت أشعارهم تلهب حماس الطلبة في تظاهراتهم ضد الاحتلال الإسرائيلي.
فكانت قصيدة محمود درويش «سجل أنا عربي» أكثر القصائد شهرة (رغم أن صاحبها تخلى عنها لاحقا) لأنها كانت تحمل رداً على سؤال الحركة الصهيونية التي كانت تتنكر لوجود شعب فلسطيني في فلسطين المحتلة.

فمن شعر الغزل، والحب، والمديح انتقلنا إلى شعر المقاومة، شعر التصدي للاحتلال، شعر الجماهير، فكانت أيضاً دواوين ناظم حكمت، وبابلو نيرودا.
والحقيقة فقد ساهمت الأحداث في صقل تجربة الكتابة وتطورها. إذ ليس صحيحاً على الإطلاق أن الشاعر يحتاج فقط إلى موهبة، فالموهبة وحدها لا تصنع شاعراً أو كاتباً، أو فناناً تقرأه الناس في كل الأوقات، فإضافة للموهبة على الشاعر أن يمتلك أدواته الفنية ويجيد استخدامها بطلاقة، وإذا كانت الريشة والألوان هي أدوات الرسام فإن اللغة، ومفرداتها هي أدوات الشاعر، والكاتب ومن القضايا الأساسية الأخرى للشاعر، وقت الفراغ، تجربة الشاعر، دور النشر من صحف، مجلات، كتب .. الخ.

إن زحمة القرن العشرين والجري وراء لقمة العيش لا تترك الوقت لكاتب غير متفرغ لصياغة أفكاره وتجاربه على الورق تلك الأفكار والقصائد التي يحب الشاعر أن يراها منتشرة بين الناس.
ولعل أهم ما يشجع الشاعر ويدفعه لتطوير أدواته الفنية، هو نشر إنتاجه وتناوله بالنقد والتشريح الأدبي، أما الكاتب الذي يصطدم بعقبات النشر من البداية فهو لا شك سيحبط وسيساهم ذلك في تقليص إنتاجه إلى أبعد الحدود.

فهناك في الوطن المحتل كتّاب جيدون غير محسوبين على سلطة، أو حزب، منعتهم ظروفهم المعيشية، والرقابة الداخلية على الصحف الورقية القديمة من الوصول الدوري للقراء فآثروا الانعزال ولو إلى حين. وهذا على النقيض من شعراء القصر الملكي المحسوبين على سلطة رام الله، أو نظام عربي، أو حزب سياسي، أو ديني الذين يقبضون وتتوفر لهم سبل النشر في الداخل والخارج.

ممنوع قراءة (إلياذة هوميروس)

لأنني كنت من محبي القراءة فقد كنت أتردد باستمرار على مكتبة الأمانة بالقدس لأطالع الصحف، والمجلات، وما تصل إليه يدي من دواوين شعر، ونصوص أدبية قديمة، كنت أطالع كل ذلك في المكتبة. ولم يكن يُسمح لي الاشتراك بالمكتبة لأن عمري كان أقل من ستة عشر عاماً، وقد طلبت من عمتي عزية أن أستلم الكتب باسمها كونها مشتركة هناك، وكنت أعيد الكتاب بعد قراءته إلى المكتبة.

وفي أحد المرات، حملت كتاب (إلياذة هوميروس) للبستاني الذي ترجمها من اليونانية للعربية، وتوجهت لموظفة تسليم الكتب لتسجيل الكتاب، فنظرت إلي بعد أن تفحصتني عبر نظارتها من رأسي حتى قدمي وقالت لي:
- أنت لا تستطيع أن تستلم هذا الكتاب، اذهب واقرأ كتاباً آخر، أو قصة أخرى.هذا كتاب كبير عليك، ولن تفهمه. فلم أقبل وحاولت إقناعها، ولكن عبثا فصممت على موقفي ورفضت استلام أي كتاب آخر بدلا منه، وتركت الكتاب وغادرت المكتبة منفعلاً، وتوجهت على الفور إلى عمتي شاكياً، فكتبت لي رسالة لمدير المكتبة شرحت له فيها أنني طالب مجتهد يحب قراءة الكتب المذكورة ويفهمها جيداً.
فوافق مدير المكتبة على تسليمي الكتاب المذكور، وسُمح لي بعد ذلك قراءة روائع الشعر اليوناني مترجماً للغة العربية.

ألقيت القبض على السارق

بعد حضوري لأول مرة للولايات المتحدة عام (١٩٧٦)، صرت أتردد على مركز الجالية العربية، على تقاطع شارع كدزي، والواحد وخمسين جنوب مدينة شيكاغو، وأطالع هناك ما يصل من الصحف العربية، ومنها الصحف الصادرة في الضفة الغربية، وقطاع غزة المحتلين مثل (الشعب)، و(القدس).

في صيف ١٩٧٧ وخلال قراءتي لجريدة الشعب وقعت عيناي على قصيدة في الصفحة الأدبية لأحد الطلبة في الكلية الإبراهيمية (عمران الشرباتي) من سكان بيت لحم. القصيدة كانت تتحدث عن أم شهيد تودع ابنها الجريح ودماؤه تسيل على الأرض قبل لحظات من استشهاده.

أعجبت بالقصيدة وزاد إعجابي بها أنني أحفظها فكلما قرأت شطراً من البيت حتى أكملت الشطر الآخر قبل قراءته، فاستغربت كيف أحفظ قصيدة أقرأها أول مرة. استعنت بذاكرتي وبدأت أحك رأسي لأجد جواباً شافياً لما يجري، عدت إلى البيت وفتشت كتبي ودفاتري، فلم أعثر على شيء.

وفي إحدى الأمسيات بدأت بقراءة القصيدة مرة أخرى ثم أعدت قراءتها مرة ومرات وثارت عاطفتي وأنا أقرأ أبياتها الأخيرة التي تقول:

رأت الجراح بصدره فاستبشرت تختال كبرا
كانت جراح الصدر تهتف إنني وفيتُ نذرا
إني وربك لم أُدر يا أمّ للأعداء ظهرا
فدنت تقبله فقالوا ملتقاكم في الخلودِ
قالت ودمع الفرحة الكبرى تلألأ في الخدودِ
حسبي إذا ذكر الشهيد بأنني أم الشهيدِ

وما إن انتهيت من قراءتها الأخيرة حتى تذكرت أن هذه القصيدة لشاعر سوري يدعى مصطفى عكرمة، وأنه نشرها في مجلة العربي الكويتية قبل ذلك بعدة سنوات. لم يكن حينها ما يثبت كلامي المذكور وكان علي البحث عن البينات.

ومن حسن الحظ أنني سافرت عائداً إلى القدس بعد ذلك بشهر فاتصلت بالمشرف الأدبي في الجريدة وكان حينها السيد إبراهيم قراعين الذي لم يكتشف أن القصيدة مسروقة، فأعلمته بالأمر لكنه لم يصدق لأن القارئ المذكور لديه محاولات شعرية عديدة، في زاوية السيد قراعين الأدبية في جريدة الشعب، وطلب مني البينات.
توجهت بعد ذلك إلى مكتبة الأمانة في القدس، فلم أعثر على مرادي، فتوجهت إلى مكتبة المدرسة العمرية وهناك أخذت بمراجعة نُسخ مجلة العربي الصادرة في السنوات الثلاث السابقة، وساعدني بذلك مدير المكتبة السيد محمد صب لبن، حتى عثرنا على القصيدة كاملة، فأخذت العدد بإذن منه، وذهبت إلى مقر جريدة الشعب وأنا منفوخ الريش وكأنني صدت غزالاً.

قدمت العدد لإبراهيم قراعين فانتفض غاضباً، ثم فتح أحد جوارير مكتبه فأخرج جميع رسائل الطالب المذكور، ومزقها، وبعد أن استأذن مني قام بتصوير القصيدة (أم الشهيد) عن مجلة العربي، وأعادها لي بعد أن شكرني لجهودي في الكشف عن اللص.

لم أكن حقيقةً سعيداً لأن مشرف صفحة أدبية شكرني بل كنت في قمة السعادة لأنني دافعت عن شرف الشعر، والشعراء وأكدت أن للأقلام حرمتها، وللنصوص الأدبية حقوقا لأصحابها.

بعد شهور قليلة شاءت الصدف أن ألتقي الطالب المذكور الذي بادرني بالتحية، وبدأ يحلف لي الأيمان أنه لم يسرقها وأنه أرسلها للجريدة لنشرها دون الادعاء أنه من كتبها.

بعد أربعين سنة تقريبا قرأت على صفحات الفيسبوك من بعض الكتاب أن شيخا يقيم في الإمارات ينشر قصائد شعرية باسمه ويتقبل التهاني من القراء لأنه كتبها، وعندما يتم اكتشافه يدعي أنه ينشرها لأنه معجب بها (ينشرها بدون اسم كاتبها، ويتقبل التهاني باعتباره كاتبها)، وبعد الفحص تبين أنه نفسه عمران الشرباتي الذي صار شيخا يصدر فتاوى للناس، ويسرق أشعار الآخرين.

مدرسون علقوا بالذاكرة

كل المدرسين الذين كان لي شرف أن أكون أحد طلابهم، أنهل العلم منهم يحظون باحترامي وتقديري حتى الذين كنت أشاكسهم.
باستثناء مدرس واحد من عشرات المدرسين الذين علموني فكل من علمني أنحني احتراما له، وأعترف أنني مدين له ما دمت حيا.

فأنا واحد من الذين يقدرون دور المعلم في تنشئة الجيل الجديد، وكنت على الدوام أحترم الذين علموني، وأحاول أن أبني معهم علاقة تقوم على الاحترام المتبادل. وكثير منهم أصبحوا زملاء لي بعد أن أنهيت الدراسة.

كلما مرت السنون يزداد احترامي لهم، ولدورهم في تعليمنا. بعض الأساتذة بلا شك كان لهم الدور الأكبر في حياة الطالب، ربما لأن دورهم تجاوز دور المعلم، إلى المعلم، والمربي، والصديق.

برز في مرحلة الدراسة المدرسية بعض المعلمين الذين تركوا بصماتهم على حياتي ومسيرتي التعليمية فاستحقوا أن أسجل لهم تقديري وعرفاني.
أعترف أنني بذكر من سأذكرهم لا أنفي دور المعلمين الآخرين، لكني أشير إلى البارزين منهم.

- في المرحلة الابتدائية برز الأستاذ وديع خميس، أول معلم علمني فك الحرف، والقراءة، كان كبير السن، أبيض الشعر، يسكن في منطقة وادي حلوة القريب من سور القدس القديمة ومن بوابته المسماة (باب المغاربة) وقد كنت في تلك الفترة (١٩٦٥) أسكن في تلك المنطقة مع أسرتي، في بيت الحاجة حمدة القريب من مدرسة وكالة الغوث للبنات التي تطل على سلوان.
كثيرا ما صادفني الأستاذ وديع خميس في الطريق فيسلم علي، وأحيانا يدعوني إلى بيته الذي كان يقيم فيه مع زوجته دون الأولاد، فتقدم لي زوجته بعض الحلويات للأطفال، وتربت على ظهري، فأعود مسرورا نافشا ريشي، فقد كنت في ضيافة الأستاذ وديع خميس، كان أستاذنا وديع مسيحيا، عرفنا ذلك عندما كبرنا، فلم نعرف في بلادنا التحريض العنصري بين المسلمين والمسيحيين إلا عندما أصبحت فلسطين كلها تحت الاحتلال الصهيوني، وعرفناه أكثر هذه الأيام عندما طلت علينا تنظيمات الإرهاب

التي باسم الإسلام تكفر الناس، وتقتلهم، وتحرقهم أحياء.

كان يحظى بمحبة الطلاب كلهم. كان صبورا علينا يبذل جهدا كبيرا في تعليمنا ويشرح الدرس لنا بأسلوب ممتع، فيما أسمع اليوم العجب العجاب عن كثير من معلمي الابتدائي.
عندما كبرت بحثت عن الأستاذ وديع لأشكره على دوره فلم أجده، لقد توفي رحمه الله ولكن موته لم يمنع أن أسجل له عرفاني بمجهوده، ودوره في تعليمنا.

- الأستاذ فهمي الأنصاري ثاني معلم في المرحلة الابتدائية ترك بصماته علي، فرغم أنه اشتهر بعصاه البلاستيكية الموجعة والتي لم أنل منها كثيرا لأنني كنت من المجتهدين في مادته التاريخ، والجغرافيا، لكنه كان يشكل موسوعة تاريخية وجغرافية، وقدم لنا العلم بقالب جديد حبب الطلاب إليه، كان بشوشا، مرحا يلبس نظارة طبية، لونه أقرب للأسمر وليس الأسود، عرفنا لاحقا أن عائلته (الأنصاري) أصلها من الهند ورحلت إلى فلسطين قبل أكثر من مئة سنة. كل التحية له أينما كان.

علمني الأستاذ فهمي في الصفين الرابع، والخامس الابتدائيين في المدرسة العمرية بالقدس. أحببت ذلك المدرس، ولم لا فقد كان يبذل جهدا كبيرا في نقل العلم إلى أذهاننا رغم إمكانيات المدرسة المحدودة. ما زلت أحتفظ بشهاداتي التي وقعها وكتبها بخط يده لأنه كان مربي الشعبة التي كنت أحد طلابها.
كان يثور إذا قاطعه أحد من الطلاب، أو انشغل عن الدرس بأمور ثانوية مع جاره. شدته كان مردها حرصه على تعليمنا، كي ننجح بدرجة ممتازة، وكان له ما أراد.

- الأستاذ عبد الجليل النتشة

ابن القدس البار، ولد عام ١٩٣٥ وهو نفس العام الذي ولد فيه والدي رحمه الله، وقد ولد في البلدة القديمة كما ولدت بعده ب ٢٢ عاما.
لهذا المدرس أدين بالكثير، وأسجل شهادتي للتاريخ وللأجيال اللاحقة أن الأستاذ عبد الجليل النتشة كان أكثر مدرس ترك بصماته على شخصيتي فاستحق أن يحتل حيزا هاما في ذاكرتي ومقالاتي ومذكراتي.
فقد حبب لي مادة الرياضيات، حتى عشقتها، وبرعت فيها، فصار يفخر أنني أحد تلاميذه في لقاءاته مع المعلمين ومشرفي التربية، وأنا أفخر أنني أحد طلبته الذين زرع العلم في أذهانهم.

تتلمذت على يديه أربع سنوات من السادس الابتدائي حتى الثالث الإعدادي (التاسع) في مدرسة دار الأيتام الإسلامية في القدس القديمة (١٩٧٠ – ١٩٧٣). كان أستاذا مرحا يشرح مادته بأسهاب، يستمع إلى الطلاب، ويرد على أسئلتهم باهتمام. له عصا لونها مزيج من الأحمر، والأبيض يستخدمها عند الحاجة لمعاقبة الطلبة المهملين، كما كان الوضع في تلك الأيام، لكنه لم يكن شديدا في عقابه، وكثيرا ما يكتفي بتوبيخ الطلبة

الأستاذ عبد الجليل النتشة الثاني من اليسار، الأستاذ أبو عيشة، الأستاذ عبد الغفار بدر (حماي)

الذين لا يحلون وظائفهم البيتية. لم أكن أتذمر من وظائف الرياضيات لأنني في الغالب كنت أحلها حتى قبل أن ينتهي الدرس نفسه، ولعله يذكر ذلك جيدا.

حصته كان يتخللها المرح، والنكت، والأمثلة التي منها على سبيل المزاح:
لو صعد قصير إلى السماء لأفسد الملائكة.
اتق شر من قرب إلى الأرض.
لما فرقوا الذوق كنت فوق ما طلع لك نصيب.

لذلك كان الأستاذ عبد الجليل النتشة محبوبا من الطلاب، ويحترمونه كوالدهم، وكم تمنيت لو أنه استمر يعلمنا بعد الصف التاسع، لكن هيهات. التقيته آخر مرة عام ٢٠١٦ فاستعدنا بعض ذكرياتنا، وجددنا محبتنا.

- الأستاذ يوسف النجار

درسني اللغة العربية في الصفوف الثانوية من الثاني إلى الثالث الثانويين، وإليه أدين بحبي إلى العربية، لقد كان مدرسا متبحرا في العربية، وذا خبرة في مجال التدريس، ومحبا هو نفسه للغة. كان مأذونا رسميا ورجل دين بدون ملابس خاصة.

علمنا كيف نقرأ الكلام مع تشكيل أواخر الكلمات، وشرح لنا القواعد من نحو وصرف بطريقة جميلة، وكان يقدم لنا أسئلة الامتحان ويغادر القاعة منذرا الطلاب أنهم لن يستفيدوا من الغش وفتح الكتب لأن الإجابة تستغرق كل الوقت للطالب الملم بها، وكل دقيقة تضيع في الحديث الجانبي لن تفيد الطالب، وكان ما يقوله صحيحا فكل الذين كانوا يحاولون الغش ينتهي الوقت قبل أن يجيبوا على نصف الأسئلة. لهذا المدرس أدين بالكثير ليس لأنه حببني بالعربية، ولكن لأنه علمنا كيف نقرأ بشكل سليم مع تشكيل أواخر الكلمات، ونجح في مهمته. توفي المعلم يوسف النجار بعد سنوات رحمه الله، فاستحق دعوات طلابه بأن يسكنه الله فسيح جناته.

- الأستاذ طاهر النمري

أستاذ التاريخ والجغرافيا في المرحلة الثانوية، صديق العائلة. موسوعة في مادته، ومرجع في مادة التاريخ، والأهم من ذلك كله، حرصه على تعليم طلبته ليس فقط المادة المقررة رسميا بل ما هو أبعد من ذلك بكثير.

- الأستاذ عبد القادر الزماميري

المحامي القدير الذي اضطر بعد حرب ١٩٦٧ أن يتحول إلى مدرس للغة العربية لأنه كان أحد المحامين الذين رفضوا العمل في المحاكم الإسرائيلية، وظل على موقفه هذا حتى وفاته. رحمه الله رحمة واسعة.

درسني سنة واحدة في الأول الثانوي، كان معلما ضحوكا، البسمة لا تفارقه، وصاحب نكتة حيث كانت حصته محببة للطلاب.

- الشيخ فارس إدريس

مدرس التربية الدينية طيلة المرحلة الثانوية، مخلص في عطائه، ورغم أنني كنت مشاكسا في مادته، وكثير الأسئلة، إلا أنني كنت أحترمه، وأوفيه حقه.
كان يقال لنا أنه كان من قادة حزب التحرير الإسلامي، ورغم أنني لم أكن من أنصار حزب التحرير، لا سابقا ولا حاليا، إلا أنني أعترف أن هذا المدرس كان رجل مبادئ ، ورجل علم.

في عام ١٩٧٨ عندما ضربت إسرائيل جنوب لبنان، أذكر أنني كنت ألقي كلمة في طلاب المدرسة الذين تجمعوا كلهم في الساحة الداخلية أدعوهم للتظاهر تضامنا مع لبنان، والمقاومة.
كان المعلمون ومدير المدرسة نفسه الأستاذ المرحوم نهاد أبو غربية يستمعون لذلك الخطاب الطلابي المرتجل، فهمس رحمه الله لأحد الطلاب من زملائي وقال له: «هذا الطالب سيكون له دور في المستقبل».
لا أدري ماذا تنبأ لي، ليته كان حيا كي يرى أنني ليس سوى صاحب قلم يتذكر الأموات ليعطيهم حقهم، ويشهد أمام التاريخ أنهم أدوا رسالتهم على أكمل وجه.
للشيخ فارس إدريس ألف رحمة على روحه الطاهرة.

- الأستاذ أمين عديلة.

من رأس العامود في القدس درسني في السنة النهائية، مادة الرياضيات في الكلية الإبراهيمية في القدس. كان يعاملنا معاملة الأنداد، ويقدم لنا الدرس بشكل جيد رغم أنه كان حديث العهد في التدريس.
ما زالت كلماته ترن في أذني وهو يقول للطلاب:
أنتم اليوم تنتظرون بفارغ الصبر أن تنتهي السنة الدراسية، سيأتي يوم تتمنون فيه لو عدتم إلى مقاعد الدراسة.
صدق الأستاذ أمين عديلة فكم تمنيت لو عدت تلميذا في المدرسة، ألتقي كل صباح مع أصدقاء فرقتني الأيام عنهم.

كنت من أول الطلبة الذين يصلون المدرسة صباحا، وأحيانا أكون أول من يدخلها رغم أنني كنت أعمل بعد المدرسة حتى منتصف الليل.

بحثت في كل صوري عن صور تجمعني بأحد هؤلاء المعلمين فلم أجدها للأسف الشديد، فلم تكن المدرسة تهتم بتصوير الطلاب مع بعضهم، أو مع مدرسيهم كما تفعل اليوم كثير من المدارس في العالم، ولم أفكر يوما أنني أتمنى لو حظيت بذلك الشرف.

لجيل الآباء تحية

شباط ٢٠١٠

قبيل وفاته بسنوات كان والدي رحمه الله يستعين بأمي لقضاء حاجاته اليومية بعد أن أقعده المرض البيت، وكنا كلما حاولنا التقدم لمساعدته يصر أنه بخير وليس بحاجة لمساعدة أحد، في حين تخبرنا أمي لاحقا أنه كان يريد كذا وكذا، فنستغرب لماذا يخفي عنا ذلك!

عندما كبر أولادنا أمامنا وكبرت مسؤولياتنا، ومشاعرنا تجاههم أدركنا سر هذا الإباء الأبوي.

علمتنا الحياة أن العلاقة بين جيل (الآباء، والأمهات)، وبين جيل الأولاد باتجاه واحد، محبة وإخلاص من الآباء دون انتظار مكافأة من أحد.

جيل الآباء يحاول أن يحتفظ بآلامه ومشاكله وحده، فيما جيل الأبناء يشكو للآباء عن كل صعب يعترض طريقهم في الحياة حتى بعد أن أصبحوا في سن يعتمدون فيه على أنفسهم.

قبل ست سنوات مرضت أمي وأجرت عملية جراحية استمرت ٦ ساعات أصيبت خلالها بجلطة دماغية خفيفة أفقدتها القدرة على النطق حتى هذه اللحظة، كما شلت قدرتها على الحركة الطبيعية فأصبحت شبه عاجزة تحتاج لمن يرعاها على مدار الساعة. فقسمنا أنفسنا إلى ورديات، فنال كل منا حظه في رد بعض ما قدمته لنا أمنا وهي في ريعان الشباب. ولكني أعترف أن الأخوات قمن بالدور الأكبر رغم أنهن كلهن أمهات، بل إحداهن صارت جدة.

كلما زرتها في المستشفى كنت أقرأ في عينيها قصة طويلة، لعلها كانت ملحمة تاريخية، لا يستطيع أحد أن يفهمها أو يقرأ أفكارها، قد أكون الوحيد القادر على الغوص في أعماق ذكرياتها أكثر من غيري ربما لأنني الابن الأكبر الذي ما زال يحتفظ بذاكرة قوية عن طفولته، ربما أقوى من بعض الأحداث التي تكون قد حدثت قبل

أسابيع. أهو الكبر، حيث تتعب الذاكرة بعد أن تشبعت أَم لأن طفولتي ارتسمت في ذهني في المكان الأقوى من الذاكرة؟

حاولنا دائما تهدئتها، والحديث معها لنسليها خصوصا أنها عاجزة عن إخراج الأصوات بالشكل الذي نفهمه، فكنا نقضي الوقت نتحدث لها، وكان أجمل ما أحكيه لها قصص الماضي، حيث كانت تستريح لحديثي، كنت أذكرها بأحداث حدثت قبل حوالي خمسين عاما، فتبتسم، وتتعجب أنني ما زلت أتذكرها.

كنت أذكرها بوالدي الذي توفي منذ أعوام، فتسبق دمعتها ابتسامتها، لكأنها افتقدته في تلك المرحلة الحرجة. رفيق دربها غاب ولم يعد موجودا لتشكو له همها، فالأبناء لا يفهمون دائما مشاعر الآباء، والأمهات، ولا يفهمون أن الآباء لا يحبون التشكي، والتظلم أمام أبنائهم، ولكن العكس هو الصحيح.

الآباء يريدون دوما أن يكونوا الصدر الحنون الذي يستوعبنا ويخفف عنا آلامنا وليس الجهة التي تصدر لنا همومها وأحزانها.

كل ما نحتاجه نحن جيل الآباء الشباب أن نترجم مشاعرنا مع أبنائنا لنفهم كيف يفكر آباؤنا وأمهاتنا الأحياء.

نحن جيل الآباء نحب أن نحترق لننير لأبنائنا حياتهم، لكن كلا لا نريد للأبناء أن يحترقوا لأجلنا، فنحن لا نفرح إلا للبسمة المرسومة على شفاههم.

الأبناء عندما يمرضون يشكون للآباء، والأمهات، وعندما يختلفون مع أحد يطلبون نجدتهم، لكن الآباء عندما يمرضون يحاولون إخفاء آلامهم عن أبنائهم.

ما أعظم جيل الآباء، والأمهات، وما أجدرهم بالتكريم.

ماتت حنان

آذار ٢٠١٤

أبرز ما أتذكره صغيرا هو وفاة أختي الأولى والتي جاءت بعدي، لأنني البكر، وكان اسمها رحمها الله حنان وقد توفيت وعمري لم يصل الرابعة بعد، وعمرها لم يصل السنتين .

حنان كانت كل ما لي في تلك الأيام فهي التي كنت ألعب معها، لهذا ظلت صورتها محفورة في ذهني حتى اليوم، ربما لو عاشت لما كان لها هذه الحظوة في قلبي. فلدي الآن خمس أخوات وأربعة إخوة، وذكرياتها تثير في الشعور بالبكاء باستمرار.

ذهبت أمي مع أختي حنان لزيارة أهلها في مدينة الخليل التي تبعد عن القدس مسافة ٣٧ كيلو مترا حسب طريق الخليل القديمة، (٢٢) ميلا، وتركتني في القدس عند والدي، ولكنها عندما عادت بعد أسبوع لم تكن حنان معها فلما سألتها عنها قالت: ماتت حنان.

مرضت حنان في الخليل وبسبب الفقر وقلة المستشفيات الحديثة لم يستطع أحد علاجها فماتت وتم دفنها هناك في مقبرة الخليل الموجودة وسط البلد، في قبر جماعي يدفن فيه الأطفال يسمى (فستقية)، ولا أدري سبب تسميته بهذا الاسم.

لم أكن أعرف معنى الموت في تلك السن المبكرة إلا أنني كنت أبكي يوميا ربما لأنني فقدت من كنت ألعب معها وكانت تسليني في وحدتي، عندما تنشغل أمي عني.

كنت أختبأ خلف سجادة معلقة على الحائط لأذرف الدموع دون أن يراني أحد، فقد كان الأهل يضحكون علي لأنني كنت أسأل عن حنان، لم أكن أجد عندهم جوابا شافيا.

كان أحد أخوالي الذي يسكن معنا في نفس المكان يحاول أن يلاعبني أو يستفزني بقوله: (ماتت حنان، حنان مفيش، حنان بح راحت)، لم يكن يدرك أنه بذلك كان يدمي قلبي، وما زلت أذكر تلك الحادثة كأنها حدثت قبل قليل، ويرتسم في ذهني ذلك المشهد وصورة المكان، وأين كان يجلس خالي على الدرج وأنا أقف أمامه في مردوان البيت في سلوان (بئر أيوب).

كنا بسبب الفقر نسكن في بيت واحد أربع عائلات، والدي وثلاث عائلات أخرى وكل عائلة لها غرفة واحدة، أما المراحيض فهي مشتركة وكذلك المطابخ. وهذه العائلات كانت عائلات أخوالي شعبان، وعثمان، وعبد الله انتقلوا جميعا إلى رحمة الله منذ سنوات، رحمهم الله.

ماتت حنان لكن ذكرياتي معها لم تمت وكل ما تقدم بي السن تقدمت تلك الذكرى للأمام وأصبحت تعيش في الصف الأول من الذاكرة.

ولدي الحبيب عمر

١٩ أيار ٢٠٠٣

بعد انتظارٍ دام ٢٣ عاماً رزقني الله بك، ليبدأ بك عهد جديد ومشوار طال انتظاره، ولن أخفيك سراً لو قلتُ لك أن قدومك كان مبعث فرح لم أعهده من قبل.

لقد عرفت تماماً مذ وعيت هذه الدنيا حنان الآباء تجاه أبنائهم ولكني أعترف لك كتابة وأنت في الأيام الأولى من عمرك أنني لم أعرف المشاعر الحقيقية للوالدين تجاه أبنائهم إلا مذ رأيتكَ تخرج من رحم أمك وأنت تبكي إيذاناً ببدء حياة جديدة وهبها الله لنا في تمام الساعة الثانية، ودقيقة واحدة بتوقيت منيسوتا (العاشرة ودقيقة مساء بتوقيت فلسطين والقاهرة ولبنان وعمان) يوم الخميس ١٥ أيار (٢٠٠٣).

عمر بعد الولادة

بقدومك عرفت معنى حنان الآباء تجاه أبنائهم، صحيح أنني كنت أتألم لمناظر الآباء الذين يفقدون أبناءهم في فلسطين والعراق بسبب قصف قوات الاحتلال أو بسبب الجوع وقلة الأدوية، إلا أنني الآن أموت ألماً وحسرة كل يوم لأنني عرفت كم هو غالٍ الضنى.

بوجودك زرعت بي إحساساً لم أعهده من قبل، أنت أيها الصغير الذي يملأ البيت صراخاً كل يوم لا تهدأ إلا عندما يحملك أحدنا وكأنك تكره أن تكون وحيداً، لأنك تخاف الوحدة.

ولدي الحبيب عمر، أكتب لك هذه الرسالة الأولى بعد ولادتك بأقل من أسبوع لا أعلم إن كنت ستقرأها أمامي وأنا حيٌّ أم أنك ستقرأها وأنا في دار أخرى، آمل من الله أن أكون معك صغيراً وكبيراً كما كنت معك، وأنت ترى النور لأول مرة، وتستنشق هواء هذه الدنيا المليئة بالآلام والحروب، والدمار، لكنها مليئة أيضاً بالمشاعر الطيبة، والأطفال الحلوين مثلك أنت.

أكتب لك هذه الرسالة لا لأوصيك فأنت بعدُ صغير على الوصايا، ولا أريد أن أحمّلكَ ما لا طاقة لك به، ولا أريدكَ أن تكون كما أريد، بل كما تختار أنت بمحض إرادتك.

ولدي الحبيب، بعد قدومك لهذه الدنيا تغيرت حياتي كلها وأصبح لا بد من تخطيط جديد ونظرة جديدة. تغير كل شيء حتى أصبح صعبا علي النوم قبل أن أراك كل يوم، حتى أصبحت كلمة أحبكَ . . . لا تكفي للتعبير عن مشاعري تجاهك، فقد أصبحت بلا جدال رئتي التي أتنفس بها وغذائي اليومي الروحي الأبدي الذي يشحنني بالطاقة الضرورية كي أستمر بهذه الدنيا.

وإذا كان معظم الناس يريدون أبناءهم أن يكونوا أطباء، أو محامين، أو تجاراً كباراً أو مسؤولين سياسيين، فأنا أكثر ما يهمني أن تكون صاحب قلم صادق لا يعرف الكذب، لأن الكذب كما قال الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يُشين صاحبه، أريدك أن تكون صاحب قلم لا يستكين ولا يمدح سلطاناً ولا مسؤولاً، ويكشف الحقيقة للناس البسطاء. أريدك أن تدافع عن المظلومين بإخلاص لا لشهرة ما ولا كي تكون زعيماً عليهم. ولا كي ترضي حزبا أو اتجاها سياسيا.

أعلم أنني أتمنى لك الشقاء وأتمنى لك خشونة العيش وكان بإمكاني أن أتمنى لك العيش الرغيد في المنفى الأمريكي، لكن من قال لك أنك إن ولدتَ بعيدا عن وطنك ستظل فيه مدة طويلة. فأنت بعد شهرين ستبدأ عهدا جديدا لتعيش في القدس بجوار أولى القبلتين، وعلى مقربة من قبة الصخرة التي بناها الخليفة الراحل عبد الملك بن مروان. لن أتركك تعيش في بلاد الغرب لأني أريد لسانك أن يكون عربياً وأنه لأَحبَّ لي مليون مرة أن تنادينا أمي، وأبي من أن تقول لي، مامي ودادي.

وإذا كان الكثير من العرب في بلادنا العربية يتباهون فخراً بين بعضهم باستخدام كلمات إنكليزية، أو فرنسية كنوع من الارستقراطية المزيفة فأنا أحبك وأنت تختار أفضل الكلمات العربية، وأرقّها، وأحَبّها سمعاً لتخاطب بها الناس.

لن أطيل عليك وسأختم رسالتي موصياً إن قرأتها وأنا في عالم آخر أن تتذكر أمك ثم أمك ثم أبيك. إن أمك التي حملتك تسعة أشهر تعذبت بك أكثر منا وأن طلقة واحدة من أمك أثناء الولادة بك تساوي كل ما بذلته من أجلك كل حياتي.

طبت مولودا صغيرا، وطبت فتى يافعا، وطبت شيخا جليلا يا ولدي الحبيب عمر. إن الذين اتصلوا بنا مباركين مهنئين من الأهل والاصدقاء من دول عربية وغير عربية أسرونا بعطفهم وحسن أخلاقهم ونحن مدينون لهم بهذه اللفتة الكريمة داعين الله أن يوفقنا مشاركتهم أفراحهم.

عمر قبل أن يتم السنة من عمره

وسام القدس للحاج عبد العفو مسودة

أبناء القدس الذين لا يعرفون المرحوم الحاج عبد العفو مسودة لا يعرفون شيئا عن تاريخ القدس، ولا يستحقون عشقها، وسورها.

من عاش في القدس، وولد في بلدتها القديمة، ولا يعرف الحاج عبد العفو مسودة كأنه غريب عنها، وودت أن أقول فليدفن نفسه، في مقابر الجهل، والتخلف.

رحم الله الحاج عبد العفو مسودة ابن البلدة القديمة صاحب محلقة متواضعة في باب السلسلة في القدس القديمة حتى وفاته.

نسمع كثيرا عن أوسمة تقدم لشاعر ناشئ، أو كاتب صاعد، أو مشترك في برنامج أغان هنا، وهناك تقدم من السلطة الفلسطينية، أو بعض المسؤولين الفلسطينيين، ولم نسمع عن أوسمة تقدم لرموز القدس الذين صمدوا فيها، ودافعوا عنها ورفضوا التنازل عن ذرة تراب فيها، ورفضوا كل إغراءات العدو الذي احتل أرضنا فكان لزاما علينا أن نذكر إن نفعت الذكرى.

من هو الحاج عبد العفو مسودة؟ ولماذا يستحق وسام القدس؟

بعد هزيمة حرب عام ١٩٦٧ المشؤومة أعلنت الحكومة الإسرائيلية على الفور البدء بهدم كافة المنازل المحيطة بحائط البراق (المبكى) المقدس عند اليهود حسب التعاليم التوراتية، وكان أول عمل قامت به إسرائيل حتى قبل إعلان ضم القدس لها، هو إرسال الجرافات الإسرائيلية لحائط البراق في حارة المغاربة قرب المسجد الأقصى، لتهدم جميع البيوت العربية هناك بعد أن أنذرت سكانها بالرحيل فوراً وقد منحتهم مهلة ساعتين لمغادرتها بما يمكن حمله منها.
لكنها بدأت بالهدم قبل انتهاء المهلة، فهدمت البيوت على ما فيها من آثاث، ولم يمض أكثر من يومين حتى أصبحت حارة المغاربة مثل ملعب كرة القدم، واختفت وإلى الأبد حارة المغاربة، وعقبة بومدين، وشردت عائلات كثيرة لم تجد لها مأوى، وباختصار أصبح ذلك الجزء من البلدة القديمة مجرد ذكريات طفولة لكثيرين من أبناء شعبنا، وأنا واحد منهم، فلا تزال حارات وأزقة تلك المنطقة من المدينة ماثلة أمامي وخصوصا بقالة سعدي التي كنت أشتري منها الحلويات وألعب قربها مع أولاد الحارة.

لم يمض وقت طويل حتى بدأت السلطات الإسرائيلية حملة طرد للسكان المحيطين بحائط البراق وساحته، وشملت الحملة (حارة الشرف)، و(حوش الغزلان)، و(حوش الشاي) حتى باب السلسلة... وكي تعطي إسرائيل إجراءاتها القمعية صفة قانونية، فقد خيرت السكان المطرودين بعد طردهم طبعا بين أمرين اثنين: إما قبول التعويض، أو تبليط البحر، ودق الرأس بالحيط!!.. ولأن شعبنا، آنذاك كان من الجهل ما فيه الكفاية، متوهمين أن الجيش الاردني (كانت القدس تابعة للأردن)، والجيوش العربية ستحررهم بعد سنوات قليلة، ولغياب الوعي السياسي الموجود حالياً، فقد قبل معظم الناس مكرهين فكرة التعويض، لأنهم فقدوا المنازل التي كانت تأويهم مع آثاثهم، وقبضوا جزء من أثمأن بيوتهم ليبنوا بها بيوتاً جديدة في مشارف القدس وهو ما يعرف اليوم بـ (ضاحية البريد)، و(الرام).

شخصان اثنان فقط من سكان حارة المغاربة، والمنطقة المحاذية لها لم يقبلا التعويض، وظلا على رفضهما له إلى يومنا هذا..
اثنان فقط رفضا التعويض، طُردا مع أسرتيهما من بيوتهما بالقوة، وحل اليهود بدلاً منهما.. لم تنفع كل إغراءات مسؤول التعويض الإسرائيلي (عزرا) في إقناعهما، ويقال أنه عرض عليهما أخيراً شيكاً مفتوحاً، إلا أنه فشل في الحصول على أي جواب.
أحدهما انتقل للسكن مع أهله خارج المدينة القديمة (الحاج أحمد زغير، المكنى بأبي هاشم) والثاني ظل يسكن في المسجد حتى وجد له أهل الخير مكانا يؤويه مع عائلته، وهو الحاج المرحوم عبد العفو مسودة.

(أبو هاشم) انتخبه المواطنون عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني السابق، وحسناً فعلوا لأنهم اختاروا من يمثلهم بصدق. وكرمته السلطة الفلسطينية قبل فترة وجيزة.
أما الحاج عبد العفو مسودة صاحب محلقة قديمة في باب السلسلة بالقدس، فقد نسيه الجميع ولم يفكر به مسؤول واحد في سلطة أو جبهة، أو حركة، لم يكن صاحب جاه، لكنه كان أكثر حبا للقدس، وعشقا لترابها، سكن في أحد المساجد بعد أن طرد من بيته حتى تذمر المصلون منه، عاش فقيرا صابرا صامدا رافضا كل الإغراءات لتعويضه عن بيته وكأنه ترك ميراثا كبيرا لأحفاده يتفاخرون به بعد مماته، وهل بعد ذلك فخر؟
إن نسيك الجميع فلن أنساك، ما زلت أذكر مقصك، وأصابعك فوق رأسي وأنت تقص شعري طفلا يلعب في شوارع القدس القديمة. كنت أحد زبائنك الأطفال في محلقتك في باب السلسلة عندما كنت أسكن مع أهلي في حوش الغزلان.

القراء الأعزاء .. لست زعيماً في حزب، أو سلطة، ولست من المحسوبين على اليمين أو اليسار او الوسط أو التيار الاسلامي، فهل تسمحون لي باسمكم أن نعلن معاً تقليد وسام القدس للحاج عبد العفو مسودة. ألا نعيد لهذا الرجل اعتباره؟.. أليس تكريمه تكريماً للقدس وتأكيداً لعروبتها؟!

لا تؤاخذوني إن عدت لأقول: من لا يعرف الحاج عبد العفو مسودة فليس من أبناء القدس ولا من عشاقها.

المرحوم الحاج عبد العفو مسودة

معالم من القدس القديمة

كانون ثاني ٢٠٠٩

تعرضت البلدة القديمة من القدس إلى تغيير واسع في معالمها، أكثر من أية بقعة أخرى فيها، فلم يكتف الصهاينة الإسرائيليون باحتلالها عام ١٩٦٧، كما احتلوا قسمها الغربي عام ١٩٤٨ وشردوا سكانها منها، ولكنهم يحاولون اليوم بشكل يومي طرد أحد سكانها لإحلال اليهود بدلا منهم، ويقومون بحملة منظمة لتغيير معالم القدس من شوارع ولافتات، وواجهات البنايات لتبدو أمام زائريها أنها مدينة يهودية بامتياز.

القدس القديمة حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، وغيرها من المعالم الوطنية التي تشكل تراثا دينيا وحضاريا وثقافيا لشعب فلسطين، ما زالت حاضرة بقوة في أبنائها المقدسيين خصوصا الجيل الذي ولد في العهد الأردني، وما قبله، وعرف حاراتها وأزقتها، وما زال يحمل في ذاكرته معالمها القديمة ليس ببناياتها فقط، ولكن في ناسها، وشخصياتها الاجتماعية.

وحتى لا تضيع معالم القدس القديمة مع الجيل القديم فعلى كتابنا أن يدونوا ما يحفظونه أو سمعوه من أجدادهم، لينتقل ذلك التراث إلى الأبناء، ثم الأحفاد، وإلى كل الأجيال القادمة.

معالم القدس ليست فقط أماكن وشوارع، ولكن أيضا شخصيات أثروا حياتنا، وشكلوا يوما نسيجها الاجتماعي، وتراثا لن يمحى من ذاكرة المقدسيين.

في النص التالي الذي استعدته من بقايا ذاكرتي أحاول أن ألقي الضوء على بعض تلك المعالم لعلي أفلح في تدوين ما لم تسجله الكتب الرسمية عن القدس القديمة.

الدكتور أمين الخطيب

ابن القدس البار، وأحد أشهر أطبائها في ستينات القرن العشرين، وصلت شهرته كل بيت حتى أقصى القدس. كان طبيبا عاما، لم يكن جراحا، أو متخصصا في أمراض القلب، أو الدماغ لكنه اكتسب شهرته في صفوف الطبقات الشعبية (كانوا يشكلون

غالبية السكان) بسبب مساعدته لهم، فلم يكن يحرم أحدا من العلاج حتى لو كان لا يملك ثمن الكشفية الطبية، كان رحيما بمرضاه، وطالما أعاد الفلوس للمرضى عندما يشعر أنهم غير قادرين على الدفع، بل كان يقدم بعض الأدوية للمرضى على حسابه.
كان يشبه في ذلك الدكتور صبحي غوشة الذي اضطرته حرب ١٩٦٧ للنزوح إلى الأردن والالتحاق في العمل الفدائي.
عيادته كانت في طريق الآلام الممتدة من شارع الواد حتى باب الأسباط، وكانت تقع بجانب إحدى الكنائس وعلى بعد أمتار من المرحلة الثالثة، ويبعد حوالي خمسين مترا عن المكان الذي يقول المسيحيون إن المسيح سجن فيه.
كان إنسانا بكل معنى الكلمة، بشوشا مع الجميع حتى أنه كان في الطريق إلى العيادة من البيت أو العكس يرد السلام على كل الناس بمختلف طبقاتهم، ويسلم حتى على الأطفال الذين كانوا مرضاه، فيتذكرهم ليطمئن عليهم.

الدكتور المرحوم أمين الخطيب

لا يوجد عائلة سكنت البلدة القديمة من القدس في خمسينيات، وستينيات القرن العشرين إلا وتعرف الطبيب أمين الخطيب، كان يشارك في المناسبات الاجتماعية ويقدم التبرعات للمحتاجين، وفي الحالات الطارئة كان يترك بيته في أي وقت ليقدم ما يمليه عليه واجبه الإنساني تجاه مرضاه، ليس بسبب الفلوس فكم مرة عاد من زيارة طارئة دون أن يحصل على فلس واحد.

كنت أحد مرضاه وأنا طفل حيث كانت تصحبني أمي إليه عندما يصيبني المرض، كان يمزح معي ويقدم لي بعض الحلوى، ويقدم لأمي الدواء مجانا.
الناس في عيادته كانوا أكثر من المشاة في الشارع، رغم وجود أطباء كثيرين ربما أمهر منه، لكنْ لأمين الخطيب حضور في ذاكرة المقدسيين لا يمكن أن ينسوها.
ولد في البلدة القديمة من القدس في باب الحديد على بعد خطوات من المسجد الأقصى. كان عضوا بارزا في حركة القوميين العرب، وأحد المؤسسين لها مع الزعيم جورج حبش واعتقلته السلطات الأردنية في سجونها عندما كانت تلاحق الوطنيين المعارضين لنظام الحكم الأردني. وفي أحد المرات حكمت عليه بالإعدام مع مجموعة الضباط الأحرار الأردنيين لكن الحكم لم ينفذ لأن معظم الضباط كانوا من أبناء العشائر الأردنية.

اعتقلته السلطات الإسرائيلية عدة مرات بسبب نشاطاته الوطنية، والاجتماعية.

أمين الخطيب كان معلما من معالم القدس وحق لجيل المدينة الجديد أن يعرف عنه ويسجله في تراثها المقدس.

الزقزوق

في ستينات القرن العشرين، كنتَ إذا سألت أحد رجال القدس المقبلين على زفاف أبنائهم:
- من سيحيي حفل زفاف ابنك؟
يجيبك على الفور:
- إنه الزقزوق.
فقد كان من الصعب أن تحضر عرسا في البلدة القديمة ليس للزقزوق فيه وصلة غنائية، كان نجم الأعراس، ومطرب الأفراح، يغني لعبد الحليم حافظ، وفريد الأطرش، وشادية، وعبد الوهاب، ومحمد فوزي، ولكل الجيل القديم.
لقبه الزقزوق غلب على اسمه (أحمد سليم جابر) حتى صار الناس لا يعرفونه إلا باسم الزقزوق. كان يسكن مثلنا في البلدة القديمة، في قناطر خضير، ذلك الزقاق الفرعي

المتفرع من شارع الواد بالقرب من مستشفى (الهوس بيس) الذي أغلقته السلطات الصهيونية.

حضرت وأنا طفل عدة أعراس كان مطربها، لعل أبرزها الذي ما زلت أتذكره عرس أحد أبناء السيد يعقوب زاهدة، الأخ غير الشقيق لجدتي من والدي، وكان بيته في نهاية حوش الشاي من الجهة العليا القريبة من درج الطابون، كانت الساحة واسعة والشباب (الذين أصبحوا اليوم أجدادا) يملؤون الساحة فيما النساء يتفرجن علينا من شبابيك المنازل المجاورة القريبة من بعضها.
كان الشباب كلهم يرقصون على صوت الزقزوق الذي كان يصدح عندما دخلنا الساحة بأغنية عبد الحليم حافظ التي كانت حديثة (سواح).
صوت الموسيقى كان عاليا يصل كل بيت في البلدة القديمة، لم تكن الأعراس في تلك الأيام بدعوات خاصة، بل كانت مفتوحة للجميع، لكل الجيران، والأقارب، ومن استطاع الحضور.

في العام ٢٠٠٥ توجهت إلى تلك المنطقة لاستعادة تلك الذكريات الجميلة التي مر عليها حوالي أربعين سنة، فلم أجد أحدا من آل زاهدة، بل وجدت يهودا مستوطنين يسكنون مكانهم، بعد أن أجبروا السكان على الرحيل تحت مبررات ترميم الحي اليهودي.
كنت وأنا أراقب البيت من الخارج أستعيد صوت الزقزوق وأغنية سواح، وأغني بصوت خافت:
- وإن لاقاكم حبيبي سلموا لي عليه ...
فيما كان المستوطنون ينظرون إلي والشرر يتطاير من أعينهم، سألني أحدهم بلغة عربية مكسورة:
- إيش بدك؟
قلت له:
- هذه بلدي، وهنا عشت.
فقال لي:
- روخ من هون (يلفظ اليهود الحاء خاء).
تابعت سيري، وأنا أتساءل:
- هل يتذكر جيل اليوم الزقزوق؟
أم أن لكل مرحلة زقزوقها؟

أيا كان الجواب، فقد حق لجيل الأحفاد، أن يسجلوا في تاريخ القدس اسم الزقزوق، فقد شكل يوما أحد معالمها، وتراثها الخالد.

الحاج حامد غرة

ابن القدس البار عرفه معظم سكانها، وقد غلب لقبه على اسمه الحقيقي (الحاج حامد أبو رميلة)، كان أحد وجهاء الإصلاح في القدس، بل كان في آخر مراحل حياته الوجيه الأول الذي ترأس كل لجان الإصلاح في البلد لحل النزاعات بين أبناء الوطن الواحد، وقد نجح في مسعاه، وأوقف الكثير من الصراعات، وأعاد الحق لأصحابه في وقت عجزت فيه قوى الشرطة المحلية في حلها.
قراراته كانت تستند إلى القضاء العشائري المتبع وليس وفق أهوائه، ولهذا القضاء قوانين يطول الحديث عنها ويعرفها العاملون في هذا المجال.

وكان رأيه مسموعا، لأنه رجل صقلته التجارب في ميدان حل النزاعات بين الأفراد، والعائلات، رغم أنه لم يكن خريج جامعة، ولا حتى مدرسة.
حامد غرة مات في ثمانينيات القرن العشرين، ولا يعرف جيل القدس الجديد شيئا عنه، وقبل أن تنساه الأجيال حق لنا أن نسجله كمعلم من معالم القدس القديمة.

أحمد أبو غنام

منافس الزقزوق بامتياز، ويتميز عليه أنه كان يعزف على بعض الآلات الموسيقية، وخصوصا العود الذي كان يلازمه.
أرسله أبوه للقاهرة ليدرس الشريعة فعاد له يحمل عودا وريشة، كان يغني في الاحتفالات، وبعض الأعراس، خصوصا لأبناء الطبقة المثقفة.
اشتهر بغنائه القصائد الغنائية للموسيقار محمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وفريد الأطرش، وكان يطرب الجماهير بقصيدة فلسطين للشاعر المصري علي محمود طه التي غناها ولحنها الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب، والتي مطلعها:
أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدى

أبو غنام من منطقة الطور التي تقع على جبل الطور حيث أقيم أشهر فنادق القدس القديمة (إنتر كنتنتال)، وعلى بعد حوالي ٢٠٠ متر أقيم مستشفى المقاصد الخيرية.
كان عشاق أحمد أبو غنام يقفون عندما يغني لهم أغنية فلسطين، تعلو الهتافات، والتصفير، وعندما يصل إلى الختام قائلا:

فلسطين تحميك منا الصدور
فإما الحياة، وإما الردى

ترتفع كل الأيادي للأعلى، ثم ينطلق تصفيق ينتهي بعد دقائق.

فلافل أبو علي

كان يقع في مطلع شارع حارة الشرف، على بعد أمتار من تقاطع طريق باب السلسلة، وسوق الباشورة، ويعد أشهر بائع فلافل في تلك الأيام. تشم رائحة الفلافل من محله عن بعد عشرات الأمتار، وقد اشتهر بتصنيع الفلافل المحشي بالبصل، والسماق، والبهارات.
من الصعب أن تمر من باب محله دون أن تشتري، ولو قرصا واحدا من الفلافل لتعرف سر تلك الرائحة التي تخترق أنفك، وتشعرك بالجوع، والرغبة في الأكل.
صاحب المطعم (أبو علي) كان قصير القامة، وسمينا، فرائحة فلافله كما يقول زادت من وزنه.

لم يكن في تلك الأيام أكياس النايلون التي يستخدمها الباعة اليوم في فلسطين، وكان سعر أكياس الورق غاليا لذلك كان يلف الفلافل الذي يبيعه (مثل غيره من الباعة) في ورق الجرائد تحت سمع وزارة الصحة التي لم تكن تهتم بتلك الأمور. رحل أبو علي عن هذه الدنيا، ولم يبق من فلافله إلا الذكريات، ورائحة الفلافل المحشي والمطعم بحبر الجرائد.

مطعم أبو شكري

أشهر مطعم في فلسطين في تصنيع الحمص منذ وعيت على هذه الدنيا حتى اليوم. كانت جدتي لوالدي الحاجة صبرية رحمها الله ترسلني لأشتري من مطعمه القديم صحن الحمص لفطور العائلة كلها ولم أكن أتجاوز الثامنة. كان مطعمه الأصلي القديم يقع في أول مطلع عقبة الخانقاه التي تتوسط باب خان الزيت وتقع بين المرحلتين السابعة، والثامنة، والمؤدية لحارة النصارى، كان مطعما صغيرا يكاد يتسع لأربع طاولات، لكنه كان يعتمد على الزبائن الخارجيين الذين كنت أراهم في الصباح يقفون مثل طوابير الجمعيات، كل منهم ينتظر دوره في شراء الحمص، أو الفول، أو المسبحة، أو الفتة، لكنه كان يشتهر بالحمص أكثر من أي شيء آخر، وكنت من النادر أن أسمع شخصا أكل الحمص من عنده، ولم يقل أنه ألذ، وأشهى حمص أكله في حياته.

كان يضع الحمص على الصحن بطريقة فنية ثم يرش على جانبه البهارات الحمراء، التي لم أعرف لها اسما، ثم يزوق وسط الصحن بالمخللات وبعض حبات الزيتون فيصبح مثل باقة ورد تحاول شمها كل ثانية لتستمتع بجمالها قبل أن تستمتع بأكلها.
بعد حرب ١٩٦٧ تعرف اليهود على مطعم أبو شكري واستمتعوا بالحمص فانتشر الخبر في القدس وتل أبيب، وصرنا نرى بعض المواطنين اليهود خصوصا الشرقيين يترددون على مطعمه الصغير أفواجا أفواجا لينالهم من الحب جانب.
لم يكتفوا بذلك بل بدأ بعضهم بتقليده وفتحت مطاعم للحمص والفلافل في المدن الأخرى في فلسطين المحتلة أكثر من قبل، وأعلنت إسرائيل أن الحمص من الأكلات اليهودية التقليدية.
حتى أن يهوديا من أصل جمايكي (نسبة لجمايكا) ألف أغنية بالعبرية في أواسط الثمانينات أطلق عليها (حمص) يصف فيها لذة تلك الأكلة.

عندما لم يعد مطعمه يتسع لزبائنه، افتتح له فرعين أحدهما في شار الواد في نفس البلدة القديمة، والثاني في بيت حنينا.
توفي أبو شكري، وورث أبناؤه المهنة، وفن الصنعة، وبقي طعم الحمص عنده كما هو لم يتغير ويتميز عن كل مطاعم القدس التي تصنع تلك الأكلة الشعبية.
عندما تدخل مطعم أبو شكري اليوم ستجد في صدر المطعم صورة (أبو شكري) بطربوشه الأحمر الذي كان لا يفارقه.

الشيخ ياسين البكري

أحد مناضلي القدس والمدافعين عنها أمام الزحف الصهيوني عام النكبة (١٩٤٨)، وما قبلها. كان من الثوار المخلصين، عرفه سكان القدس بلباسه الديني والعسكري، وفرسه الذي كان ينتقل به من موقع إلى موقع أثناء الحرب.
سكن في البلدة القديمة في طريق الآلام، قرب المرحلة الخامسة، وعلى مقربة من مقهى (أبو العز) المشهورة في تلك الفترة. حظي بمحبة الناس واحترامهم كرجل دين ومقاتل شجاع على جبهات القتال.

للشيخ ياسين ابن يدعى فوزي البكري، شاعر فلسطيني أصدر عدة دواوين شعرية وعمل مدرسا للغة العربية في القدس. كان واسع الاطلاع ومتبحر في مادته رغم أنه لم يتخرج من جامعة رسمية.

الشيخ المناضل الراحل ياسين البكري إمام المسجد الأقصى في أربعينيات القرن الماضي، كان أحد أبرز المناضلين والمقاومين قبل النكبة، ومن الذين دافعوا ببسالة عن مدينة القدس، ومنهم رفاق النضال: فوزي القطب، وبهجت أبو غربية، وأخوه صبحي وآخرون.
وكان من الذين قطعوا الاتصال بين العصابات الصهيونية المهاجمة وبقية اليهود في القدس القديمة الذين كانوا يخططون لفتح ثغرة في باب القلعة (باب داوود) لاحتلالها من قبل العصابات المهاجمة، لكنهم أحبطوا خطتهم، وأسروهم جميعا.
الشيخ ياسين البكري كان إماما للمسجد الأقصى ومناضلا في حين يتفنن شيوخ اليوم من قصورهم أمام الفضائيات بالتحريض على الفتنة، والقتل، دون أن يقدموا شيئا لوطنهم، وأمتهم إرضاء لمواليهم. شتان بين هذا وبين أولئك.
أتذكر عندما كنا صغارا كنا نراه على حصانه الأصيل، وكان كبارنا يشيرون إليه بأيديهم، ويقولون لنا: هذا الشيخ ياسين البكري.

وحسب موقع ابنه الشاعر فوزي البكري فإن الشيخ ياسين صادق رشيد البكري ولد في مدينة الخليل عام(١٩٠٤)م.

تلقى علومه الابتدائية في الكتَّاب، ثم التحق بمدرسة شرعية في المدينة كان الطلاب يدرسون فيها علوم الدين، واللغة العربية، ويصبح الطالب بعد تخرجه منها مؤهلاً للالتحاق بالأزهر الشريف.

بعد تخرجه من تلك المدرسة سافر إلى مصر في أوائل عشرينيات القرن العشرين، والتحق بالأزهر الشريف.

في أواخر عام (١٩٢٩م)، تخرج من الأزهر الشريف ونال شهادة (العالِميّة)، وهي الشهادة الأعلى التي كان يمنحها الأزهر للخريجين. في نفس العام عاد إلى مسقط رأسه، الخليل، ولكنه لم يلبث فيها سوى عام واحد فارتحل عام (١٩٣٠) إلى مدينة القدس.

الشيخ ياسين البكري واقفا على سور القدس يوجه مقاتليه لمواقع الأعداء

في مستهل إقامته في القدس عمل مدرساً في مدرسة ابتدائية خاصة كان اسمها (مدرسة المسجد الأقصى) الكائنة حينئذ في حي عقبة المفتي (طريق الآلام حاليا)، القريب من الحرم القدسي الشريف.

بعد إغلاق هذه المدرسة في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي انتقل للتدريس في المدرسة الإبراهيمية.
منذ إقامته في القدس وعمله في التدريس انخرط في النشاط السياسي والوطني واشترك في ثورة عام (١٩٣٦م).
ألقت سلطة الانتداب البريطاني القبض عليه في أثناء الثورة وأودعته السجن الشهير بـ (سجن المزرعة) بالقرب من مدينة عكا، فلبث في ذلك السجن ثلاثين شهراً.
عندما اندلعت الحرب عام (١٩٤٨) تداعى الغيورون من الرجال الأحرار فشكلوا حركة (الجهاد المقدس)، وكان الشيخ ياسين من ضمنهم.
كلَّفته حركة الجهاد المقدس بقيادة فريق من المجاهدين كانت مهمتهم الدفاع عن البلدة القديمة من القدس.
في خضم الدفاع عن المدينة خاض عدة معارك على أسوارها وحول الأسوار، فضلاً عن المعارك الهجومية التي خاضها مع المجاهدين في مواجهة العصابات الصهيونية في الأحياء الغربية من القدس، ومن أشهرها معركة القطمون ومعركة البقعة ومعركة المونتفيوري.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها التحق بالعمل إماماً ومدرساً في المسجد الأقصى المبارك حتى وفاته.
كان الشيخ ياسين شاعراً، ولكنه في غمار انخراطه في العمل السياسي والوطني والجهادي انقطع عن نظم الشعر، ولكن بعد تجاوزه الستين من عمره فاضت قريحته الشعرية فنظم قصيدة في مدح النبي (ص) سماها (البكرية في مدح خير البرية) جاءت في أكثر من مائتين وخمسين بيتاً أثبتها في كتيب طبع منه عدة مئات من النسخ في حياته.
وتواصل نظمه الشعر فانجز ديواناً مخطوطاً كانت كل قصائده شعراً سياسياً ووطنياً، ويعمل نجله فوزي على تنقيحه وإخراجه إلى النور.
في عام ١٩٧١ أصيب الشيخ ياسين بمرض عضال عانى منه سنتين كاملتين حتى توفاه الله.

انتقل الشيخ يس إلى جوار ربه صبيحة يوم ٢٩ نيسان، إبريل عام (١٩٧٣). ودفن في مقبرة باب الرحمة المتاخمة لباب الأسباط تحت السور الشرقي للحرم القدسي الشريف. رحمه الله وأحسن مثواه.

الشيخ ياسين البكري في لباس النضال

مخبز الحشيم

يقع في شارع الواد في القسم السفلي القريب من حمام العين، وعلى بعد أمتار من باب الحديد المؤدي إلى المسجد الأقصى المبارك. مخبز صغير تحتاج للدخول إليه النزول أكثر من عشر درجات تحت مستوى الشارع.
اشتهر في ستينات وسبعينات القرن العشرين بالكعك مع سمسم الذي كانت القدس مشهورة به، وتمتاز عن كل فلسطين، ويقال إن الكعك المصنوع في القدس ليس له مثيل حتى في دول عربية أخرى تعمل على تصنيعه أو تصنيع ما يشبهه.
عمله كان يعتمد على زبائن الليل لذلك كان يعمل طوال الليل مثل مخبز (محمد علي طه) الكائن قرب باب العمود في مطلع عقبة الشيخ ريحان الذي كان يتميز على مخبز الحشيم بأقراص البيض واللحمة التي كان يعدها لزبائنه لكن مخبز الحشيم كان يمتاز عليه بالكعك الذي يعده بشكل أشهى.

كان يشرف على المخبز إخوة من عائلة الحشيم بعد أن ورثوه عن أبيهم، وقد ارتبطت بصداقة متينة معهم، فرجب كان زميلي في الدراسة، وصديقي أيضا، وكنت أحد زبائنهم الدائمين حيث كنت أعمل لسنوات حتى منتصف الليل وعند عودتي لمكان سكني في حي (القرمي) غير البعيد عن المخبز كنت أمر عنهم وأزورهم لأتناول بعض الكعك الذي كانت رائحته تشدني إلى المخبز شدا.
فنجلس في أحد أركان المخبز القديم الذي كان لسنوات طويلة يستخدم الحطب في تصنيع الكعك وشوي البيض لتعطيه نكهة مختلفة. كانت جلساتنا تطول وتمتد حتى الفجر أحيانا، نتحدث في كل شيء، ولم يكن يخلو المخبز من زبائن آخرين نتسلى معهم.

كانت أجمل القعدات عنده في الشتاء حيث الطقس البارد جدا ولا تدفئة عندنا فكنا نتزود ببعض الدفء في المخبز. وأحيانا كنا نأتي بكانون النار من البيت ليعبئه لنا بالفحم الخارج للتو من بيت النار لنتدفأ عليه، ويقينا شر البرد القارس.

عوامة القاضي

في شارع البازار في القدس القديمة، كان أشهر من نار على علم رغم أن محله صغير يكاد يتسع له، وللمعدات التي يستخدمها في تحضير عوامته التي كان يبيعها لسكان المدينة، لم تكن شهرته لأنه الوحيد الذي أذكره في طفولتي كان يصنع العوامة طازجة، ولكن لأنه كان يتقنها ويجبرك إن مررت من الشارع أن تقصده لتشتري منه، وتنتظر دورك إن كان أمامك بعض الزبائن.

يقع محله مقابل سوق اللحامين تماما حيث تفوح رائحة اللحوم والدم، لكن رائحة عوامته كانت تطغى عليها مجرد وصولك لباب محله الصغير، الذي كان لا يبعد سوى أمتار عن محل (أبو أمين العجلوني) الذي كان يبيع أشهى أنواع الخبز وعلى بعد أمتار أخرى يوجد محلان آخران لبيع الخبز الطازج والشهي هما، مخبز الصواف، وأبو عطا.
وأبو عطا هذا رجل يعرفه كل سكان القدس القديمة في زماننا لأنه كان رجلا برجل واحدة يقضي نهاره أمام كشك بيع الخبز الذي يملكه وأورثه لأولاده، فحفظ كل من يمر من سكان البلدة من ذلك الشارع.

سوق البازار

كان سوقا للخضار يضم عشرات الباعة الصغار خصوصا من الفلاحين الذين كانوا يحضرون بضاعتهم يوميا من قراهم، كانت أمي تحرص على زيارة ذلك السوق للتسوق، ففيه يجد المواطن كل ما يحتاج إليه من خضار، وفواكه، فمَن لم يشتريها لضيق ذات اليد استمتع بشمها، والتبرك برؤيتها، هذا السوق يبعد عن محل عوامة القاضي عشرة أمتار لا غير، فهكذا كانت البلدة القديمة، كلها محلات وشوارع متداخلة في نصف ساعة يمكنك شراء كل شيء والعودة إلى البيت، لا تحتاج لسيارة ولا لشمسية في فصل الشتاء لأن معظم شوارع البلدة القديمة كانت مغطاة بأقواس فتقيك من الرياح والبلل.

التسوق في سوق الخضار ليس سهلا كما تعتقد فلا يوجد أسعار للحاجيات وعليك أن تكافح للحصول على أفضل الأسعار، وتستخدم ذكاءك وخبرتك في الحصول على أقل سعر ممكن.
في المساء عندما كان السوق يغلق يترك كل صاحب بسطة بسطته كما هي فقد كان للسوق باب كبير يغلقه المشرف عن السوق، ويفتحه صبيحة اليوم التالي مبكرا ليستقبل الفلاحات القادمات من أماكن بعيدة يحملن ما أثمرته مزارعهن من ثمار.

لم يعد سوق البازار سوقا للخضار، فقد أغلقه صاحبه ثم أعاد فتحه كمتجر بعد أن تغير بعض سكان البلدة القديمة، وحل اليهود مكانهم.

مقهى كردية

اشتهرت البلدة القديمة للقدس بمقاهيها الشعبية الكثيرة، ليس فقط لانعدام النوادي الرياضية، أو الثقافية في البلدة ولكن لأن الناس في تلك الفترة كانوا يسكنون في بيوت صغيرة تتألف غالبا من غرفة بما فيها المطبخ، وأحيانا غرفتين صغيرتين، فيضطر رب الأسرة للتنفيس، والترويح عن نفسه ارتياد المقهى ليترك مهمة تربية الأطفال على الأم وحدها. هناك في المقهى كان يلتقي الرجال فمن الصعب أن يجتمعوا في بيت أحدهم ولو لزيارة عائلية.
كنا نسكن في مراحل الطفولة معظم الوقت في بيت يتكون من غرفة واحدة، وكنا نتنفس الصعداء عندما يغادر الوالد البيت إلى المقهى فقد كان وجوده فيه حائلا دون أن نلعب نحن الأولاد، فنضطر للنوم قبل الأوان.
كان يذهب إلى أحد مقاهي باب السلسلة القريبة من البيت لتدخين الشيشة (النارجيلة)، وكان أكثر تردده على مقهى (كردية) أحد أشهر المقاهي في باب السلسلة في تلك الأيام والتي كانت تقع على تقاطع طريقي باب السلسلة، وعقبة بومدين.
عقبة بومدين كانت تمتد من باب السلسلة إلى ساحة حارة المغاربة التي كان أول شيء قام به اليهود بعد احتلال القدس إخلاء سكانها وهدم كل بيوتها كي تحولها إلى ساحة للصلاة والتي سميت فيما بعد بساحة (المبكى).

موقع مقهى كردية استولت عليه قوات الاحتلال وحولوه لهم، وغيروا مدخله

أبو دان

أبو دان كان حلاقا مشهورا في البلدة القديمة في القدس في خمسينيات، وستينيات القرن العشرين، وكان محله يقع في مطلع عقبة الخالدية مقابل سوق القطانين. وسبب شهرة هذا الحلاق ليس لأنه كان حلاقا ماهرا، بل لأنه كان يقوم بدور (المطهر)، حيث

كان الأهالي يدعونه لطهور أبنائهم الذكور في بيوتهم دون أن يكون طبيبا، أو متخصصا بذلك. وكنت أحد الذين قام بطهورهم بموس الحلاقة الذي كان يستخدمه للمهمة.
كان يوم صيف، وعمري ثماني سنوات حسبما أتذكر عندما جاء أبو دان بحقيبته السوداء الصغيرة دون معرفة أبي الذي كان يؤجل طهوري كل عام للعام الذي يليه، وكان عندنا في البيت كل جارات الحارة، حيث أمسكوا بيديّ، ورجليّ ووضعوا مخدة في فمي لأعض عليها من الألم بينما قام (أبو دان) المجرم بجريمته، وأنا أصرخ، وألعن اليوم الذي ولد فيه. وكان قبل ذلك قد قام بنفس المهمة مع ابن خال لي (ماجد)، كان يسكن قريبا منا حيث اتفقت أمي مع أمه للقيام بطهور الأولاد معا.
بعد عودة والدي فوجئ بالخبر، وغضب سائلا أمي: لماذا فعلت ذلك؟ فردت عليه:
كبر الولد، وأنت تماطل.

أما مهنة أبو دان الثالثة إضافة للحلاقة، والطهور فكانت طبيب أسنان، وكان يختصر مهمته بخلع الأسنان، والأضراس التالفة، أو التي غزاها السوس، وبالنسبة له كل ألم للضرس علاجه الخلع، وخلع السن، أو الضرس كان يتم بشكل يشبه تماما خلع المسامير من الخشب.
في أحد المرات آلمني ضرس لي كان يجب خلعه حسبما قيل لي، فأخذني والدي عند أبو دان، فطلب منه بعد أن فحص ضرسي أن يمسكني جيدا، وقام هو بفتح فمي وفي الزردية (الكماشة) التي تستخدم لخلع المسامير مسك بها الضرس الذي سيخلعه، وبدأ يحرك به ويسحبه بقوته حتى شعرت أن رأسي قد انفلق.
لذلك عشت كأبناء جيلي من سكان القدس القديمة لا نحب أبو دان، ونكره أن نسمع به.

صباح الخير يا زوجتي العزيزة

عيد الحب ليس عيد الفجور لأن الفجور عندنا لا يحتاج لأعياد فهو يمارس كل يوم

يحتفل الناس في العالم الغربي بشكل خاص، ومعظم العالم بشكل عام في عيد الفالنتاين والذي يسميه المواطنون العرب بعيد الحب كونه يرمز للحب.
ويحتفل به العشاق، والأحباب، والأزواج فيما يسميه الأمريكيون، والغربيون بيوم فالنتاين. وهذا اليوم عيد شعبي وليس عيداً رسميا للدولة الأمريكية ولا يتم فيه تعطيل الدوائر الرسمية، أو البنوك بل يمارس كل مواطن عمله كالمعتاد.

وتعود شهرته أساسا في الولايات المتحدة الأمريكية ليس لما يرمز له العيد بل لما يمثله من مصلحة اقتصادية إذ يتم بهذا العيد شراء ملايين الهدايا لتبادلها بين الأحباب خصوصا الورد، وبطاقات المعايدة، وتشهد المطاعم حركة كبيرة جدا حيث يرتادها ملايين الناس، والعشاق حتى أصبحت عادة بين الناس تشبه عادة شراء الهدايا في عيد الميلاد.
وعيد الفلانتاين في الولايات المتحدة مثله مثل عيد الأم وعيد الأب وعيد صاحب العمل ... إلخ تروج له الشركات من أجل تحريك عجلة الاقتصاد الأمريكية وليس في الأمر مشكلة.

هذا العيد مشهور جداً في الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا والمكسيك، وقد بدأ حديثا في الانتشار في العالم كله بما فيها العالم العربي لكنه في الوقت نفسه يلاقي معارضة شديدة وهجوما كبيرا من قبل المعارضين المسلمين تصل حد اتهام المحتفلين به بأبشع الاتهامات واعتبارهم من الشاذين، والمتأمركين، والكفار وغير الوطنيين، وهي اتهامات جاهزة للأسف دون تفكير. وبالطبع فإن المعارضين لهذه الفكرة يختلفون في الأسباب التي يهاجمونها بسببها. وسوف نستعرض أبرز وجهات النظر المذكورة.

أولا: أبرز وجهات النظر المعارضة هي وجهة نظر دينية متطرفة تدعي أن يوم فالنتاين هو عيد للمسيحيين، والكفار، وبأن المسلمين لا يجوز لهم الاحتفال به، وأن من يحتفل به يعد من المرتكبين للبدع وكل من يعمل بها مصيره إلى النار، ليس هذا فحسب بل

ذهب بعضهم في تفسيره أن هذا اليوم هو يوم للمسيحيين الكفار ليس فقط للمسيحيين بل المسيحيين الكفار (!!) ولا يجوز للمؤمنين (المسلمين) أن يتشبهوا بالكفار، وهذه فتاوى جاهزة لدى بعض الأئمة المسلمين الذين لا هم لهم سوى تكفيرالناس. في الوقت الذي يتسابق ممولو هؤلاء الدعاة لإقامة أفضل العلاقات مع الغرب، بل ويتسابقون للهجرة إلى الغرب مع أن أفغانستان أقرب إليهم.

ثانيا: التيار الثاني ينطلق من منطلقات عدائية فقط لأن هذا اليوم أو المناسبة جاءت من الغرب ويعدون كل ما أتى من الغرب فهو مرفوض، بل يرون في المناسبة بأنها هجوم غربي علينا وعلى ثقافتنا، وتقاليدنا، وبأنها محاولة لتمييع شبابنا وشاباتنا رغم أن المناسبة نفسها منتشرة في بريطانيا، وأمريكا منذ أكثر من ثلاثمئة سنة، أي قبل أن تبدأ الفكرة بالانتشار في دول أخرى من العالم. والغرب لم يطلب منا أن نحتفل بالمناسبة.

ثالثا: تيار ثالث يعتبر أن فكرة عيد الحب تعني الانحلال وقلة الحياء وبأننا كعرب لا وقت لدينا للحب، لماذا لأننا نواجه عدوا شرسا، ولأن أرضنا محتلة، ولأن العراق محتل وووووو. هذا التيار هو معظم تيار الآباء الذين توقفوا عن استخدام كلمة أحبك لأمهاتنا منذ خمسين سنة بل وربما يستغربون لو سمعوها من زوجاتهم. أعرف صديقا لي قال مرة لزوجته عندما قالت له يا حبيبي: (بلاش سئاعة) أي كفى سخافة!!

رابعا: هناك فريق رابع من بعض الشخصيات الوطنية يرون في هذه المناسبة بأنه خطوة نحو التغريب الثقافي، وإحلال الثقافة الغربية الاستهلاكية بدل ثقافتنا الوطنية، وأعيادنا الشعبية.

قبل الرد على هذه المزاعم لا بد أولا أن نوضح كيف وجد يوم فالانتاين، أو القديس فالنتاين، والذي يسمى في بلادنا مجازا عيد الحب ويحتفل به بعض الشباب فقط والمراهقون، ويخجل منه الكبار باعتبار أن الحب كما قلنا كلام فارغ ويعبر في الحقيقة عن أزمة داخلية.

الأمريكيون والبريطانيون أنفسهم لا يعرفون تماما كيف بدأت المناسبة ولا لماذا، وقصة القديس فالنتاين غير معروفة على وجه الدقة وكل ما هو معروف تماما هو أن هذه المناسبة هي مناسبة رومانسية تعود جذورها إلى العهد الروماني والمسيحيين في القرن الثالث الميلادي.

الكنيسية الكاثوليكية الآن تعترف بثلاثة قديسين تعدهم شهداء اسمهم فالنتاين أو فالانتينوس، وتوجد ثلاثة روايات حول المناسبة نسرد أبرزها وأكثرها صحة، حيث تقول الرواية أن قديسا، أو راهبا مسيحيا اسمه فالنتاين كان يعيش في العهد الروماني، حوالي (٢٧٠) ميلادية، في عهد الامبراطور كلاوديوس الثاني وكان مسؤولا عن عقد القِران للعرسان. هذا القديس رفض قرار الامبراطور الذي حرم الزواج على الشباب لأنه (أي الامبراطور) كان يرى أن الجنود غير المتزوجين أكثر قوة وإخلاصا في القتال من الجنود الآباء والمتزوجين، وظل فالنتينوس يعقد القرآن للأزواج الشباب سراً حتى علم الامبراطور بالأمر وأصدر أمرا باعتقاله ثم أعدمه فيما بعد.

وبغض النظر عن السبب الحقيقي الذي لا يعرفه حتى الذين يحتفلون به، فإن يوم الفالنتاين أو عيد الحب كما يسميه العرب ليس سوى يوم يتبادل فيه الأزواج والعشاق الهدايا، ويلتقون في اليوم نفسه على مائدة الغذاء، أو العشاء، أو يتراسلون إن كانوا بعيدين عن بعضهم، أو يتهاتفون وقد تكون الحبيبة زوجة في الغالب أو خطيبة، أو محبوبة، أو حبيبا، وليس في الموضوع تآمرا على الدين الإسلامي أو الهندوسي أو خطة لتخريب ثقافتنا، أو عاداتنا كما يروج لذلك بعض الناس.

لست أدعو الناس للاحتفال بعيد الفالانتاين، ولا مقاطعته، فكل مواطن حر برأيه وقناعاته، وأنا أرى كل يوم عندنا هو يوم للحب.
وكل ما أردت قوله أن المناسبة أبعد ما تكون عن مؤامرة، وبدعة وكفار إلخ، والمطلوب من المعارضين أن يعترضوا بأسلوب أكثر حضارية، وأكثر عقلانية للجيل الجديد من الشباب. عليهم ألا يعملوا من الحبة قبة فما أحوجنا للحب والمحبة.

- ما أحوجنا للقلوب الطيبة.
- ما أحوجنا لأن نفتح قلوبنا لمن حولنا.
- ما أحوجنا للعطف والحنان.
- ما أحوجنا للتسامح والتخلي عن الحقد.

كم امرأة عربية تتمنى أن يدخل عليها زوجها بباقة ورد ولو مرة في السنة، ويقول لها والابتسامة تعلو وجهه:
كل عام وأنت بخير يا حبيبتي؟؟

كم امرأة عربية لم تعد تسمع كلمة يا حبيبي من زوجها بعد الزواج بعدة سنوات وبعضهن حتى قبل الزواج؟

كم امرأة عربية تحتاج ليوم تشعر فيه بحبيبها، وهو يقلدها هدية جميلة بالمناسبة يجدد فيها محبته ووفاءه؟

كم رجل يتمنى أن تستقبله زوجته بثياب الفرح مرة بالسنة على الأقل لتقول له أحبك من جديد؟

ما الجريمة بالموضوع؟؟ وأين هي المؤامرة؟؟ وكيف تتكاثر الشعوب العربية والإسلامية؟؟ ولماذا يتزوج الشبان إن لم يكن الحب هو الأساس؟ وأين الغلط في المناسبة؟؟ ألأن أساسها قديس مسيحي؟؟
إن كان هذا القديس فالنتاين قد تحدى الامبراطور واستمر بتزويج الشبان فهو بالفعل شهيد، شهيد إصراره على تطبيق الدين وشهيد دفاعه عن مبادئه في وقت يخشى علماء مسلمون من الاعتراض على قرارات حكامهم خوفا من الاعتقال وخسارة الامتيازات وحرصا على مصالحهم.

ثم ألا يحتفل العرب في عيد الأول من أيار، وعيد المرأة العالمي، وعيد الأم، وكلها أعياد بدأت بالغرب وخصوصا من أمريكا مع أن الولايات المتحدة نفسها لا تعترف بالأول من أيار عيدا للعمال، وتحتفل بخلاف كل العالم بأول يوم اثنين من شهر أيلول، سبتمبر كعيد للعمال الأمريكيين.

إن هذه المناسبة غير الرسمية أصلا لا تحتاج لهجوم رجال الدين المسلمين وكأنه لم يبق لديهم من مهمات سوى عيد الفالانتاين ليهاجموه، وكون المناسبة غير مذكورة في الدين الاسلامي فلا يعني ذلك أنها أصبحت كفرا فهي مناسبة غير ملزمة لأحد، وكيف يصبح كفرا تقديم بطاقة ورد من زوج لزوجته أو العكس؟؟

ألا تعلن الدولة أية دولة عربية الحداد على أميرها أو ملكها أو حتى وزيرها لمدة طويلة وصلت لدى بعضهم إلى أربعين يوما تعطل فيها أجهزة الدولة؟؟ فأين ذلك من الإسلام؟ من هو العالم الإسلامي الذي قرر أن الحداد أربعين يوما ولماذا لم نسمع عالما جليلاً أو مفتيا مثل مفتي الديار السعودية، أو المصرية، أو الفلسطينية، أو الأردنية، الخ يعلن أن

الحداد أكثر من يوم مثلا أو ثلاثة أيام حرام ولا مبرر له وأنه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة إلى النار؟

ألم يبق لعلماء المسلمين غير مناسبة كهذه حتى يضيعوا وقتهم بها؟؟ ألم تجد لجان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية غير منع بيع التحف التي ترمز ليوم الفلانتاين في الرياض؟؟ ألأن ذلك يتعارض مع الإسلام؟؟ وهل بث الفضائيات السعودية مثل الإي آر تي وال ام بي سي لصور الفتيات وبأشكال تغري الكبار قبل الشباب، وبث بعض الفيديو كليب المليء بالخلاعة يتماشى مع لجان الأمر بالمعروف؟ شاهدوا قناة الحريري في لبنان ستجدونها تتباكى على أهل السنة في لبنان في الوقت الذي تعرض للناس نسوان آخر طراز وبلباس أقل ما يقال عنه أنه لا يتلاءم مع كل علماء السنة التي تدعي القناة أنها تدافع عنهم.

فلماذا لا يتم محاكمة أصحابها وهم كلهم من كبار القوم في السعودية؟؟

ألم يشاهد أعضاء هذه اللجان الشباب السعوديين الذين ينتقلون أسبوعيا للبحرين وقطر، والإمارات لشرب الخمور، ومضاجعة المومسات هناك، فلماذا لم تحاكمهم على ذلك عند عودتهم؟ واذا كان الجواب إن ذلك يتم خارج السعودية فلماذا لا تراقبهم لجان الأمر بالمعروف كما يراقبون المعارضين السياسيين ويعدون عليهم خطواتهم؟ ولماذا لا يصدرون فتاواهم ضد خمارات العالم العربي التي أكثر روادها من المسؤولين والحكوميين المسلمين؟؟

أما الذين يدعون أن هذه المناسبة هي دعوة للفجور، والإباحية فهو كلام فارغ لأن الفجور يملأ العالم العربي سرا وعلنا قبل أن يغزونا الفالانتاين. وخمارات العرب ما شاء الله فأنت لست بحاجة لدليل حتى تجدها وبائعات الهوى، تملأ كل الدول ويسافر لها الأغنياء من بلد إلى بلد بذرائع مختلفة والذين يقيمون العلاقات الجنسية بطريقة غير شرعية لا يحتاجون للفالانتاين ليمارسوها.

لذلك إن تَصَرّفَ بعض شبابنا بطريقة ماجنة فليس بسبب المناسبة نفسها ولكن بسببنا نحن لا أكثر وعلينا أن نصلح أنفسنا.

الذين ينتقدون شبابنا المحتفلين بهذا اليوم ينتقدون كل دعوة لهم للاحتفال، والسعادة. نلاحظ ذلك من خلال التعليقات الكثيرة التي تكتب عند نشر فيديو لشباب

يحتفلون بأي مناسبة، حيث يسخرون منهم، ويسخفون من احتفالهم بأن ذلك حرام وضد الدين حتى مل الشباب من هذه الأفكار، وذلك الكبت، وهذا التخلف.

فالغربيون أنفسهم عندما بدأوا يحتفلون بهذا العيد لم تكن قد انتشرت بينهم أصلا الصداقة بين الإناث والذكور، أو ما يسمى ب جيرل فرند فهذه الصداقة بدأت في أواسط القرن العشرين لتغيير في مفاهيم الحياة الغربية، وليس لأن الفالانتاين تعني إقامة علاقات من وراء الأهل، وبطريقة غير شرعية. فقد أعدم القديس فالانتاين لأنه كان يعقد قرآن الأزواج لا ليبارك مجونهم.

فإن احتفلتم فاحتفلوا بهدوء وإن عارضتم فعارضوا بمنطق ولا تقيموا الدنيا ولا تعطوا الموضوع أبعادا أكبر من حجم المناسبة. واتقوا الله في فتاواكم، واسمحوا لي أن أعترض على هذه الضجة غير المبررة وأقدم نكاية بكم وردة جميلة لزوجتي وأقول لها كل صباح الخير يا زوجتي الحبيبة.

قنديل حكمت العتيلي

كلمة تأبين الشاعر الراحل حكمت العتيلي في كاليفورنيا، الولايات المتحدة
١٢ مارس آذار ٢٠٠٦

لم يبق للشعراء غير استعادة الذكريات. هذا ما أرسله لنا الشاعر الفلسطيني سعود الأسدي، صديق حكمت عندما علم أن صديقه في غرفة الإنعاش. كأنه أراد أن يقول لنا: لم يبق لهم غير الحنين إلى الماضي، لأنهم في العودة إليه، يستعيدون أجمل أيام حياتهم، يستعيدون أحبتهم، يعيشون مرة أخرى مع أصدقائهم، يستمعون، مرة أخرى بشغف لشاعرنا المتربع في ذاكرتنا للأبد، حكمت العتيلي على ضوء قنديل كان الراحل عنا بجسمه يصر أنْ لا يزال فيه زيت.

حكمت العتيلي ابن عتيل البار، ابن فلسطين، ابن العرب في كل مكان الذي حمل على أكتافه عبء جيل بكامله، هو الأكثر حضورا بيننا الآن رغم رحيله المفاجئ عن هذه الدنيا. فقد تربع بامتياز في ذاكرتنا، في المنطقة التي يصعب تفريغها لأنها تشكل كياننا وحضارتنا، وانتماءنا وتكويننا الثقافي والفكري. هذا الشاعر الذي تغرب عن وطنه بجسمه لكنه بقي يعيش فيه بقلمه ومشاعره وذكرياته، وبدل أن يمد له الوطن يده لينتشله من الغربة، فقد مد هو يده للوطن محاولا إنقاذه مما يتعرض له من محاولات لطمس كل مظاهر الإبداع، والإنسانية فيه التي كتبها أبناؤه بدمائهم وأقلامهم على ضوء قنديل لا يزال فيه زيت.

لقد صدق صديقي الكاتب الفلسطيني عبد القادر ياسين المقيم في القاهرة عندما قال: إذا كانت قد فرقتنا السياسة فقد وحدتنا الثقافة. نعم وحدتنا الكلمة المبدعة، وحدنا الأدب والفن والشعر، فكان شعر حكمت العتيلي، وقصائده كلمات يقرأها أبناؤنا من العراق إلى المغرب إلى الشتات، والغربة القسرية دون أن يختلفوا عليها. ستبقى أشعاره كما أشعار غيره من جيل المبدعين تنير للأجيال الشابة طريقهم، فلا يزال في القنديل زيت وكلما كاد القنديل يفرغ من الزيت فإن كلمات حكمت، وقصائد حكمت ووصايا حكمت، وذكريات حكمت مع إبداع رفاق جيل حكمت ستكون زيته الدائم.

ديوان العرب كان بودها أن تحتفل مع الشاعر حكمت العتيلي صيف العام الحالي، في احتفالها السنوي لتقدم له ولعدد من المبدعين درع ديوان العرب تقديرا لدورهم في خدمة وطنهم وأمتهم، وخدمة الثقافة العربية، لكنه برحيله أجبرنا أن نكرمه مرتين مرة

في حفلنا القادم، ومرة هنا معكم، مع أصدقائه ومحبيه الذي تقاطروا لاستعادة ذكرياته الجميلة من كل صوب.

تقديرا منا لشاعرنا الراحل ولإسهاماته الجليلة في حركة الشعر، ولبقايا الزيت الذي طالما كنا نتسامر على ضوئه المنبعث من قنديله عندما كنا نكتب الأشعار والقصص ونغني الميجنا، والعتابا ونحن نشرب القهوة السمراء مع حب الهال على صوت الربابة والمهباش، نقدم درع ديوان العرب تقديرا لجهوده في خدمة الثقافة، والأدب لتتسلمه نيابة عنه زوجته الفنانة المبدعة أمل العتيلي.

إننا بتكريم الشاعر الراحل حكمت العتيلي إنما نكرم الكلمة المبدعة التي رغم الغربة عن الوطن ورغم القهر الذي عاشته ما زالت تقاوم من أجل الحياة، من أجل أن تتناقلها الألسن من جيل إلى جيل، نحن نكرم بشخص حكمت العتيلي كل المبدعين العرب من جيل حكمت، والأجيال الشابة التي حملت الراية خلفاً له.

الصحفي نظام مهداوي يقدم درع الديوان لزوجة الشاعر الراحل حكمت العتيلي

لماذا يحن الآباء لأبناء جيلهم؟؟

صيف ٢٠٠٧

عندما كنت طالبا في المدرسة الابتدائية، كنت من عشاق السينما، وكنت أحرص كل أسبوع على مشاهدة فلم أو فلمين على الأقل في إحدى دور العرض الثلاثة التي كانت قائمة في القدس حتى أواخر ثمانينيات القرن العشرين، وهي (سينما القدس) أكبرها وتقع في شارع الزهراء، و(سينما الحمراء) الواقعة في شارع صلاح الدين، و(سينما النزهة) الواقعة في نهاية شارع صلاح الدين بالقرب من مدرسة دار الطفل العربي.
لم أترك فلما عربيا، أو هنديا يغيب عني سواء كان فلما استعراضيا، مثل معبودة الجماهير، أو فلما كوميديا، لثلاثي أضواء المسرح، أو فلما من أفلام فريد شوقي، ومحمود المليجي التي كانت تستهويني أنا، وأبناء جيلي أكثر من أي فلم آخر.

كنا نحب الأفلام التي تكثر فيها الأحداث، أحداث العنف، والضرب، خصوصا تلك التي ينتصر فيها البطل (فريد شوقي، أحمد رمزي إلخ) على رموز الشر مثل (توفيق الدقن، محمود المليجي، حسن حامد إلخ).

نصفق عندما يهجم فريد شوقي على حسن حامد، ونزعل عندما ينتهي الفلم بدون الضرب، وتسديد اللكمات، حتى أننا كنا نعد الأفلام التي لا يوجد ضمن أحداثها ضرب وتكسير بأنها خالية من الأبطال، فالبطل كما كنا نفهمه ليس من يقوم بالدور بل من ينتصر في العراك.

كثيرا ما كنت أعود من السينما فيسألني والدي رحمه الله:
- أين كنت؟
- في السينما.
- وماذا شاهدت؟
- شاهدت فلما لفريد شوقي.
- هذا ممثل تعبان.
- لماذا يا والدي؟
- هؤلاء ممثلو الجيل الجديد لا يتقنون التمثل.
- ومن تحب من الممثلين؟
- زكي رستم، أنور وجدي، عادل خيري، إسماعيل ياسين.

كنت أتعجب لماذا لا يحب والدي إلا الممثلين القدامى، لماذا يكره الممثلين الجدد؟ هل هو رجعي؟ أم أنه لا يفهم بالفن؟ أم...؟
وعندما كبرت واجهت نفس المشكلة وبشكل دائم، فكان يقول لي:
- من هؤلاء المطربون الذين تسمع لهم؟ كاظم الساهر؟ أم الخالع عمرو دياب؟ أم نانسي عجرم؟ ها ها ها ها عشنا والله وشفنا مطربين آخر زمن!

تعودت على تعليقاته، ولم أعد أعيرها اهتماما، إلا عندما تجاوزت الخمسين من عمري، حينها بدأت أتفهم مشاعر والدي، ولبست بعض عباءاته. وعندما أردت أن أفاتحه بالموضوع رحل عنا، ودفن دون أن يتسنى لي المشاركة في تشييع جنازته.
الآن فهمتك يا والدي، وشعرت بما تشعر به قبل أربعين سنة، ولكن كلفني ذلك جيلا بحاله حتى أستوعب ما كنت تقوله لي.

لا أنكر أنني أحيانا كثيرة أستمع لأغاني حديثة لبهاء سلطان، أو شيرين وجدي، أو كاظم الساهر إلخ لكني أعترف لكم أنني أطرب أكثر عندما أستمع لأغنية لأحد الراحلين كفريد الأطرش، وعبد الحليم حافظ، وأم كلثوم، وفهد بلان، ومحمد رشدي، وكارم محمود إلخ.

لتلك الأغاني في نفسي وقع خاص، وسحر قوي لأنني أثناء سماعها أستعيد زمنا مضى، وتعود بي الذكريات ثلاثين، أو أربعين سنة إلى الوراء.
فعندما أستمع لأغنية عبد الحليم حافظ (رسالة من تحت الماء) أتذكر أيام السبعينات من القرن العشرين عندما كنت عضوا في جمعية الشبان المسيحية التي كنا نطلق عليها اختصارا اسم «الواي» وكلما كنت أذهب للسباحة مساء كان يأتي في نفس الوقت شاب نسيت اسمه، يطلقون عليه اسم (سينما) لأنه كان يعمل في سينما القدس، فيبدأ أثناء تغيير ملابسه والاستحمام بغناء (رسالة من تحت الماء) فيطربنا معه، وأعترف لكم أن صوته كان جميلا.

كل أغنية تذكرني بمناسبة، وكل فلم يذكرني بحدث، وربما بأحداث كثيرة، فبعد حضوري لفلم (قيس وليلى) بطولة شكري سرحان، وماجدة قررت أن أكون عاشقا.
إذن هو حنين لأيام الشباب!

حنين لسنوات الطفولة، لسنوات المطاردة، والحب، والمغامرات، سنوات الفتوة، والأصدقاء الأوفياء الأبرياء من الأمراض، والأحقاد.

عالم الشباب لم يكن مجرد مرحلة انتهت في حياتنا، بل هي المرحلة الأهم في حياتنا كلها، لأنها مرحلة أحلامنا، وحبنا للاستكشاف، استكشاف الذات والاندفاع إلى الأمام.

إنها مرحلة تكثر فيها الألوان، فتمسك فيها بالريشة، وتختار ما يعجبك من الألوان، لتلطخ بها لوحتك.
أما اليوم فلم يعد أمام جيلي الكثير من الألوان لنستعين بها في رسم لوحتنا الجميلة. وأكاد أجزم أنه لم يبق لدى بعضنا سوى لون واحد.

سألت أمي ذات يوم:
- لماذا كان أبي يحب دائما أن يستمع إلى أغنية (وحياة عينيك) لفريد الأطرش؟
تنهدت، ثم ابتسمت، وقالت لي:
- كان أبوك في مطلع الستينات في ألمانيا، حيث سافر للعمل هناك، وبعد عدة أيام سمع من إذاعة (صوت العرب من القاهرة) التي كانت متاحة من دول أوروبا أغنية فريد الأطرش (وحياة عينيك) فقرر قطع هجرته والعودة فورا إلى القدس.

الآن فهمت لماذا كان يحب سماع تلك الأغنية، فهل يفهم أبنائي سر مشاعري، وحنيني لجيل لم يكونوا قد ولدوا فيه بعد؟
هل سيسألني أحدهم:
- ما سر حبك لمارسيل خليفة؟ لماذا تكثر من ترديد أغنيته المشهورة (منتصب القامة أمشي)؟
هل سيقول لي أحدهم يوما ما:
- لقد زهقتنا من أغاني جوليا بطرس، وفيروز، هذه أصوات انتهت، ونحن نريد الجديد.
ترى لماذا اللوحات الفنية القديمة أغلى من الجديدة؟
ألأن الألوان عندما تجف على اللوحة يزداد سعرها، كالخمر المعتق؟

هل علينا الانفصال عن جيل أبنائنا كما فعل والدي، أم الانسلاخ عن ماضينا، أم دمج الصور كلها في ألبوم واحد؟ إذا فتحته من اليمين تدخل إلى الماضي لتصل إلى الحاضر، فتنتقل من واحة، إلى أخرى حتى تصل شط البحر. وإن فتحته من اليسار

دخلت لعالمك الحالي، لتعود أدراجك إلى الماضي البعيد، لتطل على بوابة التاريخ، كأنك راكب سفينة العودة.

ما أجمل أن تمزج الألوان معا، إنها فن جميل رائع، هل جربت مزج الألوان باستخدام الحاسوب؟ قد تعدها مسألة سهلة مع أنها ليست كذلك أبدا، بل لعلها مهمة أكثر تعقيدا مما حلمت، لأن المهم ليس المزج العشوائي للألوان، بل المزج الفني، إنها مثل مزج الأحاسيس، والمشاعر لا يجيدها إلا العشاق وحدهم. فهل جربت أن تصبح عاشقا يوما ما كما فعلت أنا؟

أحورا، أَنـي أَمَرتِ أحورا

أواخر نيسان ٢٠٠٢

أحورا، أني أمرتِ أحورا .....
صرخ بنا الجندي الإسرائيلي من بعيد حيث كان ومجموعة من الجنود الإسرائيليين المتمترسين خلف سيارة جيب عسكرية موجهين سلاحهم تجاهنا نحن المواطنين الفلسطينيين في الطريق الممتد من مفرق أبو ديس إلى أعالي جبل الطور في شرقي القدس، حيث أقاموا نقطة تفتيش فجائية كعادتهم خلال الانتفاضة الثانية، يمنعون بواسطتها المواطنين من عبور الشارع سواء مشاة أو بالسيارات إلا بعد أن ينزلوا من سياراتهم، ويصطفوا بعيداً عن الجنود بشكل مستقيم، ثم يتقدموا واحداً واحدا حسب طلب الجنود لتفتيشهم قبل عبورهم الشارع. وعلى كل مواطن أيا كان عمره أن يتقدم رويداً رويدا، ولا يسرع الخطى ثم عليه أن ينفذ أوامرهم التي غالباً ما تكون باللغة العبرية، وإذا تلكأ في تنفيذها إما خوفاً أو لعدم إلمامه اللغة العبرية فعليه أن يتحمل النتائج وحده، لأن الجنود الإسرائيليين ينفذون الأوامر العسكرية ويبحثون عن أدنى مبررات لإطلاق النار على المواطنين.

وقفت كغيري في الطابور، فأنا رغم أنني أحمل الجنسية الأمريكية لا يغير من موقف الجنود مني شيئاً، ولطالما رموا جواز السفر الأمريكي لأمريكيين عرب على الأرض ثم داسوا عليه طالبين منهم رفعه عن الأرض، ويبدو أنهم حسناً يفعلون عندما يعاملونا جميعاً بنفس الطريقة لأنهم يوحدون كل فئات شعبنا وأماكن تجمعاته في الصراع القائم على حقوقنا الوطنية.

والوقف في الطابور للتفتيش لم يكن أمراً غريباً علي، فأنا عشت نصف عمري في القدس ولطالما اضطررت للوقوف على الحواجز العسكرية، وتعرضت للإهانات والشتائم والضرب، والاعتقال، لكن الموضوع هذه المرة أصبح مختلفاً جداً. فالجنود مستعدون لإطلاق النار فوراً على أي مواطن لا يلتزم بما يطلبونه منه. لقد أصيبوا بحالة من الخوف بعد العمليات العسكرية التي استهدفت جنوداً يعملون في نقاط تفتيش ثابتة.

كان ترتيبي وسط الطابور، وكان تفتيش كل شخص يحتاج إلى خمس دقائق، وكلما تحرك شخص تقدم الذي خلفه للأمام، وصادف أن تقدم أحدهم قليلاً بانتظار دوره فصاح الجندي بغضب:
أحورا ... أحـــورا .... أحـــــورا
فلم أتحرك من مكاني، لأنني لم افهم بالضبط ما يريده الجنود أصلا، لأن معلوماتي قليلة باللغة العبرية، وكلمة (أحورأ) أي ارجع للخلف مشابهة لكلمة (بحورا) التي تعني فتاة أو بنتا، فصرخ الجندي المهووس مرة أخرى:
أحورا، أني أمرت أحورا. فسألت من كان خلفي ماذا يقصد بما يقول؟ فقال لي أنه يقول لنا ارجعوا إلى الخلف: لقد أمرتكم ارجعوا. حينها عرفت بأني لا أجيد العبرية ولا أريد أن أفهم أكثر من ذلك. فرجعت مع غيري من المواطنين حيث أشار الجندي.

عندما جاء دوري تقدمت عدة خطوات، وتوقفت كما تجري العادة بأمر الجنود، فطلب مني أن أخلع الجاكيت، ورغم البرد والمطر فقد خلعته كما خلعه غيري ثم طلب مني أن أرفع القميص، ليتأكدوا أنه لا يوجد أحزمة ناسفة حول الوسط ثم طلب مني أن ألف حول نفسي لفة كاملة، بعد ذلك أشار إلي بالتقدم.

هويتك قالها بالعبرية (تَعودات زِهوت) فأظهرت له جواز سفري، فتفحصه ثم قال لماذا أنت هنا؟ قلت له زيارة للأهل، والوطن (رغم أنني ولدت في القدس، وأحمل بطاقة هوية مقدسية من الاحتلال)، فقال:
لماذا تزور منطقة كلها حرب؟ اذهب لبلدان أخرى.
فقلت له: تعودنا على الحرب.
فرمى الجواز على الأرض، وقال انصرف، فالتقطت جواز السفر، وانصرفت أتطلع إلى الساعة فإذا بها قد مرت ساعة كاملة على قطع مسافة عشرين متراً لا يحتاج قطعها سيراً على الأقدام أكثر من ثوانٍ فقط.

نقاط التفتيش سواء الثابتة، أو المتنقلة كثيرة بل أصبحت خلال انتفاضة الأقصى عام (٢٠٠٢) جزءاً من حياة المواطن الفلسطيني، وكثيراً ما تعرض المارون للإهانات إن لم يكن القتل. ففي ضاحية البريد القريبة من القدس، طلب الجنود من أحد الطلاب أن يفتح حقيبته المدرسية (من بعيد طبعاً)، ويقذف ما بها ليرى الجنود محتويات الحقيبة، وبينما كان الطالب يحاول فتح حقيبته صاح به الجنود موجهين سلاحهم إلى رأسه، فارتعب ولم تفتح الحقيبة حيث تعطل السحّاب فجأة، فخاف الطالب وترك الحقيبة وهرب، فأطلقوا عليه النار وأردوه شهيداً دون سبب، ثم أحضروا ماكينة فحص

المتفجرات لفحص الحقيبة التي بينت بعد فحصها أنها تحتوي على عدة كتب قديمة ودفاتر مدرسية ممزقة.
هكذا إذن، عرفوا أن الطالب بريء ولكن بعد أن فقدته أمه.

وفي مشهد آخر قرب قلندية، طلب من امرأة وضعت مولودها منذ عدة أيام تحاول اجتياز الحاجز حاملة مولودها الجديد الذي لم يبلغ من العمر أسبوعاً بعد، أن تكشف عما تحمله (من بعيد طبعاً) فقالت لهم:

- إنه طفل، فوجهوا سلاحهم تجاهها طالبين الكشف عنه، وإلا قتلوها، فاضطرت من خوفها على وليدها أن تعريه كما ولدته حتى سمحوا لها بالمرور.

وفي باب العمود بالقدس وبينما كان يسير أحد الشباب حاملاً شنطة مدرسية على كتفه، توقفت فجأة بجانبه سيارة مدنية، نزل منها على الفور أربعة أفراد من القوات الخاصة الإسرائيلية، وبحركة تشبه حركة الإنزال العسكري فوجهوا إليه سلاحهم، طالبين منه التوقف وعدم الحركة ثم طلبوا منه إلقاء الحقيبة على الأرض، وفتحها وبعد فحصها أطلقوا سراحه بعدما كاد يموت خوفاً من هول المفاجأة.

على المواطنين العرب الذين يزورون فلسطين هذه الأيام تضامناً مع أهلنا هناك أن يتعلموا معنى كلمة (أحورا) حتى لا يقتلون هكذا دون سبب وبحجة عدم الالتزام بالأوامر العسكرية.

أم كلثوم خلف القضبان

اكتوبر ٢٠٠٨

لأم كلثوم سجل حافل مع الأسرى الفلسطينين، خصوصا الجيل القديم منهم، عندما كان الأسرى محرومين من الراديو، والتلفزيون، وحتى الصحف المحلية العربية. فقد كانت منذ سبعينيات القرن العشرين تتسلل إلى غرفهم لتحيي فيهم أحلامهم، وتثير مشاعرهم، وتدغدغ عواطفهم بعد أن يكون السجان قد نغص عليهم عيشتهم، ونكل بهم تنكيله اليومي المعهود.

كان الأسرى العرب في السجون الإسرائيلية حتى أواسط الثمانينيات لا يسمح لهم بامتلاك أجهزة راديو، ولا مشاهدة التلفزيون، وكان يسمح لهم فقط الاستماع إلى الإذاعة الإسرائيلية الناطقة بالعربية التي كانت تبث من مكتب الإدارة مباشرة لعدة ساعات فقط، ساعتان ظهرا ومثلها تقريبا مساء. ولحسن الحظ كانت تبث فترة المساء (الساعة السادسة والنصف) أغنية يومية لأم كلثوم بعد موجز الأخبار مباشرة لمدة ساعة تقريبا.

في مطلع العام ١٩٨٤ كنت أحد نزلاء سجن بئر السبع وكنت في قسم يتكون من أربع غرف كبيرة، كل غرفة فيها (٣٦) سريرا مزدوجا أي (٧٢) أسيرا.
كنا نتناول وجبات الأكل على الأرض في نفس الغرفة فقد كان العاملون في المطبخ ينقلون الأكل إلينا، ويقوم المشرفون من أسرانا في كل غرفة بتوزيع الأكل على السجناء كل واحد في صحن بلاستيكي ويوضع الخبز على ما تيسر من ورق الجرائد العبرية التي كانت بحوزتنا، وكان علينا بعد كل وجبة تنظيف الغرفة بالماء مما يتناثر عليها من أكل، ونغسل الصحون على الفور، وشكلت لذلك لجان يومية، على مدار الأسبوع بحيث يشارك الجميع في التنظيف من أكبر أسير حتى أصغرنا.

فترة العشاء كانت حوالي الساعة الخامسة مساء وما أن تنتهي، حتى يتم تحضير الشاي حيث تكون الساعة قد اقتربت من السادسة والنصف. فنبدأ بالسير بشكل بيضاوي يتناسب مع المساحة الزائدة بالغرفة، لتحريك أجسامنا بعد العشاء عاملين بالمثل القائل: (تعشى وتمشى)، فقد كان لا يسمح لنا بالخروج من الغرفة إلى الساحة سوى ساعتين ونصف يوميا، ساعة صباحا، وساعة، ونصف بعد الظهر.

كنا نسير كل أسيرين معا لضيق المساحة، نتبادل أطراف الحديث، ونستمع لأم كلثوم، بعضنا كانوا يفضلون الجلوس على السرير مفضلين الاستماع لها وكل منهم مستلقيا على فراشة، سابحا في أحلامه.

كان صوتها يثير فينا ذكرياتنا، ومشاعرنا، وحنيننا إلى الحرية، أليس الأسرى بشرا لهم مشاعرهم وأحاسيسهم؟ من قال أن الأسرى من صخر؟ وقلوبهم من حديد؟
هم مواطنون كبقية أبناء شعبنا، يفكرون بزوجاتهم، بأولادهم، بأهاليهم، من لم يكن متزوجا يفكر بخطيبته، ومن لم يكن له خطيبة، يفكر بحبيبة عرفها أثناء الدراسة، أو من الحي الذي يسكن فيه، أو بحبيبة يصنعها هو بنفسه بأحلامه ويختار لها الشكل المناسب.

الوطن ليس المكان فقط، بل هو الناس كذلك الذين يعيشون فيه، هو الأهل، الأصدقاء، الأحباب. وعندما ضحى الأسرى بحياتهم من أجل وطنهم فلم يفعلوا ذلك لأن حياتهم لا تساوي شيئا، بل لأنهم الأكثر عشقا للوطن وسكانه، والأكثر حلما بغد أفضل.

يحلمون بوطن حر يبنون فيه عش الزوجية بعيدا عن حراب الاحتلال. وطن حر يعلمون فيه أطفالهم كيف يرسمون الشمس، والقمر. وطن أخضر يستطيعون من أغصان زيتونه، وحبات تينه الخضراء والحمراء إطعام أبنائهم وإهداء من يحبون بعض دره.
وطن يتسامرون بين دوالي عنبه ليلا على صوت الراحلة أم كلثوم، أو صوت الشبابة الفلسطينية في أحد ليالي تموز (يوليو)، دون أن يطاردهم المستوطنون ليصادروا زيتونهم، وتينهم، وعنبهم لأنه خطر على أمن المستوطنين.
كانت الاجتماعات الحزبية، أو الندوات السياسية، أو جلسات التعليم في السجن تتوقف في تلك الساعة، فالكل مشغول بسماع أم كلثوم، وفي الساعة الثامنة يسود الغرفة صمت مطبق، بعد أن ينشغل كل أسير بكتاب يقرأه أو اجتماع يشارك به مع بعض أعضاء فصيله السياسي.

الأول من نيسان ١٩٨٥

الأول من نيسان ١٩٨٥ يوم مميز في الذاكرة، يصعب نسيانه، أو التغاضي عنه. يوم مفرح، وحزين في نفس الوقت.
مفرح لأنه كان يوم تحرري من الأسر من سجن نفحة الصحراوي، ودعت فيه رفاق، وإخوة درب، ومناضلين سعدت بمشاركتهم صمودهم خلف القضبان، وحزين لأنه كان آخر يوم ألتقي فيه بكثيرين منهم حيث غيبهم الموت قبل أن ألتقي بهم خارج القضبان، كالشهيدين عمر القاسم، وسمير قنطار.
كنت أنتظر يوم تحرري من الأسر على أحر من الجمر لكن دون أن أشعر من حولي بذلك، فقد أمضيت (٢٨) شهرا وسط مناضلين أمضى غالبيتهم أكثر من عشر سنوات خلف القضبان من أحكام بالمؤبدات. كنت أحاول إخفاء سعادتي باقتراب يوم التحرر كي لا أجرح شعور أحد.
قبل يوم من التحرر أحضرت إدار السجن ملابسي القديمة التي سجنت بها، وكانت ملابس عريضة علي، فقد فقدت في السجن أكثر من ثلث وزني بعد أن مارست التمارين الرياضية اليومية، ونط الحبل. فأخذه مني خياط السجن من أسرانا، وقام بتصغيره قدر استطاعته ليكون لباسي الرسمي في اليوم التالي إذ يمنع أي أسير من التحرر بملابس السجن.

استيقظت مبكرا في الأول من نيسان، كانت كل الأنظار تتجه إلي، كان كل أسير يتمنى لو كان مكاني، وكنت أتمنى لو خرجوا كلهم معي، كنت متوتر الأعصاب، كيف أتركهم وحدهم؟ هل سأنساهم؟ هل سأعود محاولا زيارتهم؟ هل سأراسلهم؟
هل سأحررهم؟ هل سأظل حاملا قضيتهم؟ لكنْ كثيرون تحرروا من الأسر، ونسوا كل ذكرياتهم فيه.
تناولنا الفطور معا بالغرفة كان معي حسبما أذكر الشهيد عمر القاسم، الشهيد سمير قنطار، عبد العزيز أبو القرايا، محمد دوحان، عطا القيمري، خالد ياسين، والشيخ فضي (مروان شاهين). جلسنا معا نتبادل الحديث إلى أن جاءت ساعة التحرر.
كان مندوب الأسرى في السجن قد طلب من الإدارة السماح لكل الأسرى بوداعي قبل التحرر في ساحة السجن، وهذا أفضل من تنقلي من غرفة لغرفة بمرافقة السجان. فسمحت الإدارة بذلك.

خرج كل الأسرى من الغرف للساحة الصغيرة التي كانت تتوسط قسمين يضمان ثمانين أسيرا.
كل الأحبة، يصطفون في شكل دائري لوداعي. كان المنظر يحمل من الرهبة الكثير، ما الذي سأقوله لهؤلاء المناضلين؟ وأي عهد سأقدمه لهم؟ أيمكنني بعد هذ الحب، وحرارة العناق أن أنساهم؟
كيف سأنام ليلي الطويل بعد اليوم دون أن أفي بوعدي لهم بألا أدخر جهدا من أجل قضيتهم؟ اليوم سأودعهم، سأتركهم وحدهم، سأغادر الأسر وأغيب عنهم. اصطفوا جميعا رافعي الرأس، كنت أرى الكبرياء، والإباء، والعزة، والكرامة في وجوههم، وأقرأ في عيون كل منهم شوقا جارفا نحو الحرية.

بدأت أعانق واحدا واحدا منهم، وكنت على علاقة طيبة معهم جميعا، بنسب متفاوتة.
كان عناقا حارا، كنت أعلم أنني بعد ذلك اليوم لن أستطيع زيارتهم (حسب قوانين السجون)، وأنني لن ألتقي أحدا منهم إلا بعد تحرره.
كان عناقي الأطول مع الشهيد عمر القاسم. كان رفيق دربي، قائدي الذي أحب، عشت معه في نفس الغرفة ثمانية أشهر بعد نقلي من سجن بئر السبع لنفحة عام ١٩٨٣، كنت أحاوره معظم الوقت. وفي الليلة التي سبقت يوم التحرر كنت قد سهرت معه حتى نعسنا. لم أكن أعلم أنه سيستشهد بالأسر، وسيلحقه بعدها بأكثر من ربع قرن الشهيد سمير قنطار.
جددت لهم العهد ألا أنساهم، وأن أظل أحمل قضيتهم، قضيتنا ما دمت حيا. عانقت سمير قنطار بحرارة. كان رفيقي في سجن بئر السبع، عشنا معا في غرفة رقم ٢ التي كانت تضم ٧٢ أسيرا، ثم نقلنا معا إلى سجن نفحة أواسط عام ١٩٨٤ بعد إغلاق سجن بئر السبع أمام الأسرى الفلسطينيين.

كان سمير محبوبا من كافة الأسرى لأنه مقاوم لبناني انضم للمقاومة الفلسطينية وانطلق من لبنان نحو فلسطين ليجسد وحدة الأمة في صراعها مع عدوها الرئيسي. كان بشوشا، مرحا، يقيم علاقات جيدة مع الجميع. كنت أتوقع أنه سيكون ضمن الأسرى المحررين مع صفقة أحمد جبريل عام ١٩٨٥ لكني صدمت عندما عرفت فيما بعد أنه وعمر القاسم لم يكونا ضمن الصفقة، وأن أحمد جبريل قد استثناهما لأسباب شخصية بحتة. وقد ارتكب جريمة في ذلك.

عانقت محمد عليان الذي كان أكثر الأسرى اهتماما في الأدب آنذاك، كان يكتب القصة القصيرة، وكنت حينها أهتم بكتابة الشعر فقط، كنا نتبادل الحديث الأدبي وجها لوجه، أو عبر مجلة نفحة الشهرية المنسوخة بخط اليد (نفحة الثورة، والعطاء)، والتي كنا من المساهمين في الكتابة بها. كان يقيم في القسم الثاني، في حين أقيم أنا في القسم الأول، لكن الزيارات في عهدي كانت مسموحة بخلاف المرحلة التي سبقت، فقد كانت الزيارات بين الأسرى من المحرمات من قبل إدارة السجون. زرته عدة مرات في غرفته، وتحدثنا كثيرا في عالم الأدب، ودور الأسرى فيه.

ودعت علي جدة، ممثل المعتقل في سجن بئر السبع عندما كنا هناك، والذي انتقل معنا لسجن نفحة، ودعت رأفت النجار مشرف مكتبة الأسرى في السجن، ودعت يعقوب عودة، سليم الزريعي، سليم نسيبة.

ودعت زملائي في الغرفة الشيخ فضي، عبد العزيز أبو القرايا، عطا القيمري، خالد ياسين .... لم أترك أحدا إلا وعانقته، وشددت على يديه.....

كانت دموعي وأنا أعانقهم واحدا، واحدا تتساقط من عيوني قرأت في عيون كثيرين منهم قصص الصمود، وشاهدت دموع بعضهم وهم يعانقونني، أهي دموع الفرح لتحرري؟ أم دموع الحزن لوداعي؟ كنت في موقف لا أحسد عليه. مل السجان من الانتظار، وطالبنا أن نسرع كي ينهي مهمته.

الذي أنقذني من هذا التوتر أن مفاوضات مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) كانت جارية منذ سنوات، وأن الأخبار تشير بقرب عملية تبادل الأسرى.

حملت كيسا فيه أغراضي الخاصة، وبعض الدفاتر المنسوخة بخط اليد من الشهيد عمر القاسم لأهله، والتي كان فيها مقالاته، وكل كتاباته حتى تلك الفترة.

قادني السجان لمدير السجن، الذي استقبلني بجفاء، وصرامة كعادته، وطلب من سجانه تفتيش كل ما في الكيس، وعندما وجد الدفاتر المنسوخة بخط اليد صادرها، ولم تنفع كل وسائل الإقناع بالإفراج عنها. مع أنه لم يكن مكتوبا عليها اسم أحد، وادعيت أنها لي، لكن ذهبت أقوالي أدراج الرياح، وظلت كتابات عمر القاسم أسيرة مثله حتى بعد استشهاده. من يدري ربما أعدموها كي لا ترى النور.

خرجت من سجن نفحة لأجد بانتظاري عمي المهندس عبد العظيم، وزوجتي زهيرة، وأختي جميلة، وابن عمي فيصل فانطلقوا بي بالسيارة نحو القدس، وأنا شارد الذهن أفكر فيمن تركت بعدي ينتظرون ساعة تحررهم.

الأديب عادل سالم في رحاب حيفا يتألّق!

بقلم الشاعرة الفلسطينية: آمال عوّاد رضوان

احتفاء بأديبنا الفلسطينيّ عادل سالم (رئيس موقع ديوان العرب في أميركا)، أقام المجلس المليّ الأرثوذكسيّ الوطنيّ في حيفا، ومنتدى حيفا الثقافيّ أمسيةً ثقافيّة، بتاريخ ٢٠ أيلول سبتمبر ٢٠١٥، في قاعة كنيسة مار يوحنا الأرثوذكسية شارع الفرس 3، وسط حضور من نخبة المثقفي،ن والأدباء، وقد تولّت عرافة الأمسية الكاتبة عدلة شدّاد خشيبون، وعن

الشاعرة أمال عواد

الأصناف الأدبيّة للمحتفى به عادل سالم قدّم كلٌّ من:

- المحامي فؤاد نقارة (رئيس منتدى حيفا الثقافي) كلمة ترحيبيّة، ونبذة عن نشاطات منتدى حيفا الثقافيّ.
- وتحدّث د.محمد عدنان بركات عن شموليّة المجموعة القصصيّة (يحكون في بلادنا) للأديب عادل سالم.
- وقدّم الأديب د. صالح عبود قراءةً واقعيّةً في (الرّصاصةِ الأخيرةِ) للقاصِّ والأديبِ عادل سالم، وقدّمت الكاتبة هيام أبو الزلف قراءةً في رواية (عناق الأصابع) للأديب عادل سالم.
- وتحدّث الأديب فهيم أبو ركن عن الشمولية في شعر عادل سالم.
- وتحدث المحامي حسن عبادي عن شموليّة الأديب عادل سالم بأصناف الأدب من شعر، وقصة ورواية ومقالة.
- وفي نهاية الأمسية ألقى الشاعر عادل سالم قصيدتين، وشكر المنظمين والمتحدثين والحضور، وبصفته مؤسس ورئيس تحرير موقع ديوان العرب في امريكا، قدّم درعَ ديوان العرب لفارسة ديوان العرب آمال عوّاد رضوان للعام ٢٠١١، تكريمًا لها وتقديرًا لمقالاتها وتقاريرها الثّقافيّة، ومن ثمّ تمّ التقاط الصور التذكاريّة!

في كلمة العريفة الكاتبة عدلة شداد خشيبون:

لا كثرة المدح والأضواء تشغلني

ولا المُدام بكأس الليل تغويني

أنا الغريب وطعم القدس في شفتي

لا خمر روما ولا عيناك ترويني

عشقتها في دمي تسري محبتها

من عهد كنعان وجالوت وحطين

تركت قلبي على أسوار قبلتها

واخترت في غفلة منفاك يأويني

أنا الملوم وبعدي عنك أتعبني

لا تقبلي عذري فأعذاري تلاويني

لكنني عاشق يأتيك في طمع

أن تسمحي لي بقبر فيك يحويني

فالموت في حضنك الوردي أمنيتي

مدي ذراعيك يا قدسي وضمّيني.

بكلمات هذه القصيدة القدسيّة للشاعر عادل سالم أفتتح اللقاءَ وأقول: مساؤكم قدسيّ بنكهة الأدب العريق الفلسطينيّ الأصيل أحبّتي، سأقتطع من ساعات اللّيل ساعتين، وأضيفهما إلى تاريخ عريق به نعلو ونسمو، من خلال تكريم لشاعر أصرّ على أن يعود بنا إلى عهد عراقة الأدب والشّعر، فقديمًا قالوا: الشّعر ديوان العرب. وها هو شاعرنا يُعيد لنا الدّيوان من خلال موقعه الجميل (ديوان العرب)، حيث عمل على تأسيسه، واليوم هو رئيس تحريره، فهنيئًا لنا وللأدب.

مساؤكم خيّر ومسائي معكم يتزاحم به شكري أوّلًا للأستاذ المحامي الأخ الصّديق فؤاد نقّارة، حيث كرّس وقته وجهوده، ليتابع مسيرة أدبائنا من خلال هذا المنتدى الرّائع، فلك منّي ألف تحية وألف باقة ورد لا تذبل يا أخَ العطاء، فبفضل رعايتك للأدب وغيرتك على الكلمة الطّيبة نحن هنا معًا، نستضيف الأديب عادل سالم، وكم لاسمه من معاني السّلام والحياة صدى في كتاباته؛ أشعارًا كانت أو قصص قصيرة، فلك أديبنا الكبير منّا تحيّات بباقات ورد لا تعرف الذّبول، وينابيع شكر لا يعرف للجفاف أصول. أهلا بك أديبنا وشاعرنا في بلدك في أرضك التي تشتاق لأمثالك. أهلا بك يا زارع الكلمة الطّيبة من خلال القوافي الرّاقية والقصص الجميلة الهادفة. اللّيلة أحبّائي الحضور، سنحلّق عاليًا، ونتخذ من قصص أديبنا محطّات ومن أشعاره استراحات. أهلا بكم، ومعًا سنحط التّرحال على شواطئ الكلمات الطّيّبات!

فؤاد نقارة، يُدافع عن الحقّ ويرفع قضاياه عاليًا لأجل الحقّ، كيف لا وهو المحامي الذي لا يكلّ ولا يتعبُ، في ترتيب وتنسيق أمسيات أدبيّة تُثرينا فكرًا وروحًا، أدعوهُ ليقولَ كلمتَهُ في هذه الأمسية الرّائعة، وليُداعبَ الرّوحَ ويُطربَ الفؤاد، وأشكر من خلاله المجلس الملّي الأرثوذكسيّ على هذه الأمسيات الرّاقيات.

جاء في كلمة المحامي فؤاد نقارة رئيس منتدى حيفا الثقافيّ: الأخوات والأخوة مساء الخير، نرحب بكم في المجلس الملي الأرثوذكسيّ الوطنيّ في حيفا، وفي نادي حيفا الثقافيّ. أهلاً وسهلاً بكم في قاعة كنيسة مار يوحنّا المعمدان الأرثوذكسيّة في حيفا. يشرّفنا أن نستضيف هذه الأمسية الأديب المقدسيّ عادل سالم، ونعلن تضامننا مع

المدارس الأهليّة، في صراعها مع التقليص في حصّتها من ميزانيّة التعليم والتمييز الواقع عليها، لأهمّيّة هذه المدارس، ولِما لها من فضل على أجيال وأجيال من شعبنا. كذلك نعلن تضامننا مع أسرى الحرّيّة وإضراب الأمعاء الخاوية الذي يخوضونه في السجون الصهيونيّة، وندين أيضًا الاعتداء على المسجد الأقصى، ونهيبُ بالعرب والمسلمين الشرفاء والمخلصين القيام بواجبهم، للدفاع عن حرمة الأقصى وجميع أماكن العبادة لكافة الديانات أينما وُجدت.

نادي حيفا الثقافي يعمل على نشر الثقافة في مجتمعنا، وتشجيعه للمشاركة بالقراءة والندوات، وتعريفه على مثقفينا ومبدعينا الذين هُم واجهة وعنوان مجتمعنا الحضاريّ، فهؤلاء المثقفون والمبدعون نفتخر ونحتفي بهم ونُكرّمُهم. لقد أُقيم نادي حيفا الثقافي كامتداد للنادي الأرثوذكسيّ في سنوات الأربعين من القرن المنصرم. وقد بدأ نادي حيفا الثقافيّ نشاطاته قبل أربع سنوات، فأقام أكثر من مئة فعاليّة ثقافيّة عامّة، وقام أعضاء النادي بقراءة ومناقشة أكثر من خمسين رواية، من الأدب العالمي والمَحلّيَ وبمشاركة الكاتب/ الكاتبة. فنادي حيفا الثقافي في خدمة المجتمع والثقافة والمثقفين والكُتّاب والأدباء، ونشاطاته تستمرُّ من داخل هذه المؤسّسة العريقة المجلس المِليّ الأرثوذكسيّ الوطنيّ في حيفا.

أتناولُ رواية عادل سالم المؤثرة (عناق الأصابع)، والتي تتحدّث بالأساس عن ظروف سجناء الحرّيّة أبطال شعبنا المغيّبين، على خلفيّة الأوضاع العامّة التي مرّت بها قضيّة فلسطين من سيّئ إلى أسوأ، (والحمد لله). في الرواية أيضًا قصّتا حبّ مستحيلتان تنتهيان نهاية مأساوية. كذلك يُعرّفنا الراوي على التآكل الذي حصل في مواقف "المناضلين" وانزياحهم مع الأسف الشديد، من اليسار الثوريّ الأمميّ إلى اليمين الإسلاميّ، ركضًا وراء منافع ماديّة، أسّست لها ورعتها اتفاقيّات أوسلو وما تبعها من نتائجَ، كانت وما زالت، وبالًا على شعبنا. ص٢٨، ص٩٨، ص٣٠٤. ويُحدّثنا عن الغربة في الوطن نتيجة الوضع الجديد، وهو شعوري الشخصيّ أيضًا وشعور كل من أصادفهم من أبناء جيلي عن القدس ورام الله، فيقول الشاعر المتوكل طه في روايته التي صدرت مؤخّرا "نساء أويا" ص٢١٤. واقتباس أخير لوضعنا العربي من كتاب الأديب الكبير واسيني الأعرج ص٥٧ وشكرا لكم.

قدّمت العريفة عدلة شدّاد خشيبون د. محمّد عدنان بركات بقولها: هو باحث وناقد في اللغة العربيّة؛ عشق العربيّة فعانقها من خلال كتاباته النثريّة النقدية والبحثيّة. أسّس جمعيّة أنصار الضّاد التي تُعنى بقضايا اللغة العربيّة، وما يرتبط بها من عقد ندوات وأمسيات شعريّة وأدبيّة ونقديّة؛ إضافة إلى إصدار بعض الكتب في حديقة العربيّة. يعمل مدرّسًا للعربيّة في ثانويّة دار الحكمة- أمّ الفحم، ومُرشدًا للمدارس الثانويّة في لواء حيفا. هو عضو فعّال في مَجمع القاسميّ للّغة العربيّة في باقة الغربيّة.

جاء في كلمة محمد عدنان بركات: الحضورَ الكريمَ؛ مع حفظِ المناصبِ والألقابِ.

السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، سلامٌ على كلِّ مَن حملَ الأمانةَ وأمانةُ اللغةِ العربيّةِ ليستْ هيّنةً، تتراكمُ مسؤوليّاتُها مع مرورِ الأيامِ. أهلًا وسهلًا بكم في هذا اللقاءِ الذي نطقُ بأسمائِكم؛ يتحدّثُ بالبهجةِ والسرورِ؛ أهلًا وسهلًا بكم في انتمائِنا الخلّاقِ للغتِنا العربيَّةِ التي جمعتْنا في مكانٍ واحدٍ؛ تحتَ بريقِ أملٍ واعدٍ في العيونِ، بريقٍ يسمو بشخصياتٍ أصيلةٍ؛ على أكتافِها يقومُ المجتمعُ، وعلى خطاها تتشكّلُ أجيالٌ مفكّرةٌ،

ومبدعةٌ ومنتجةٌ. أحيّيكُم بحجمِ ما يحملُ قلبي مِن عشقٍ للعربيّةِ، وأرحّبُ بكُم بعباراتٍ عطرةٍ تُعانِقُ أصالةَ الضّادِ، وترتقي بكُلِّ حروفِ الهجاءِ، بكلِّ الأبجديَّةِ، وبكلِّ البحورِ والقوافي الراقيّةِ، يُشرِّفُنا أن نلتقيَ اليومَ في ندوةٍ أدبيّةٍ على شرفِ تكريمِ الأديبِ الفلسطينيِّ عادل سالم، ويسعدُني ويُشرّفُني أنْ أرحّبَ بكوكبةٍ مِنَ النجومِ اللامعةِ في سماءِ اللغةِ العربيّةِ؛ مِن الشعراءِ والأدباءِ وعشّاقِ الضّادِ، وكُلِّ مَن شرَّفَنا في هذهِ المناسبةِ الكريمةِ، وأشكر القائمِينَ على هذه الندوةِ: الأديبةَ الرائعةَ آمال عوّاد رضوان، والمسؤولِينَ في المجلسِ المِلّي الأرثوذكسيِّ الوطنيِّ في حيفا، وإدارةَ منتدى حيفا الثقافيّ، وشكرًا لكم جميعًا.

الأديب عادل سالم؛ مِن أحرفِ نورٍ كُتِبَ اسمُهُ؛ اخترقَنا بإشراقاتِ إبداعاتٍ؛ لها أن تعلِّمَنا؛ فتضيءَ في أذهانِنا وميضَ أدبٍ متجدِّدٍ! عادل سالم أديبٌ فلسطينيٌّ مناضلٌ نبض قلبُهُ بحُبِّ القدسِ؛ كيف لا! وقد عاشَ طفولتَهُ في البلدةِ القديمةِ من القدس، متنقلاً بين أزقَّتِها وشوارعِها الضيِّقَةِ، وبينَ مدارسِها العمريَّةِ الابتدائيِّةِ ومدرسةِ دارِ الأيتامِ الإسلاميّةِ الإعداديّةِ والكليّةِ الإبراهيميّةِ الثانويّةِ. اعتقلتْهُ قوّاتُ الاحتلالِ الإسرائيليّةِ مرتين بتهم سياسيّةٍ، تنقّلَ خلالها بين سجون عديدة، وساهم مع كتّابٍ آخرينَ في تطويرِ الحركةِ الثقافيّةِ في السجنِ؛ إذ شاركَ في تحريرِ بعضِ المجلّاتِ الاعتقاليّةِ المنسوخةِ باليدِ بالتعاونِ، فخلّدَ قدسَهُ وحاراتِها وزقاقَها في قصصِهِ ورواياتِهِ ودراساتِهِ وأشعارِهِ؛ إضافةً إلى قضيةِ الأسرى وما يرتبطُ بها من: قُبلةُ الوداعِ الأخيرِ، وعاشقٌ على أسوارِ القدسِ، ويَحكونَ في بلادِنا، وعِناقُ الأصابعِ، وأسرانا خلفَ القضبانِ (وهو دراسةٌ توثيقيَّةٌ عن الأسرى العربِ في سجونِ الاحتلالِ الصهيونيِّ البغيضِ)، وعاشقُ الأرضِ (ديوان شعر)، نداءٌ من وراءِ القضبانِ (ديوان شعر). هذه براعةُ التجسيدِ للواقعِ الفلسطينيِّ في العنوان والمضمون!

نماذج مختارة: (يحكونَ في بلادِنا): مجموعةٌ قصصيَّةٌ تضمُّ سبعًا وعشرينَ قِصةً قصيرةً، كُتبت ما بين عامي (٢٠٠٥ - ٢٠١٠) (ألفينِ وخمسةٍ وألفينِ وعشرةٍ). قصصٌ منْ قلبِ الأحداثِ، من واقعِ الأَسْرِ، فبعضُ الشخصيَّاتِ الرئيسيَّةِ فيها مِنَ الأسرى الذين أفْنَوْا أعمارَهُم خَلْفَ القضبانِ، أو استُشْهِدوا في مسيرةِ النضالِ الوطنيِّ الفلسطينيِّ. مِن قصصِ المجموعةِ: الطريقُ إلى القدسِ/ البطاقةُ الزرقاءُ/ الجندول/ جراحٌ لن تندملَ/ باب خان الزيت/ مطلوبٌ للتجنيدِ في إسرائيلَ/ الرسالةُ السِّريةُ/ حدث في العيزريّة /

الأمن الوقائي/ من القدس إلى بيروت/ لماذا يا رفيق؟/ المُطارَد/ الخائن/ أبو الدوح/ شهيدًا عند ربّه/ انتحار منال/ ثلاث وردات/ نادلٌ فلسطينيٌّ في مطعمٍ إسرائيليٍّ/ مترجم إلى السماء.

تبرزُ قصصُ المجموعةِ كلُّها مِنَ الداخلِ الفلسطينيِّ؛ تُجسِّدُ معاناةَ الشعبِ الفلسطينيِّ ونضالِهِ ضدَّ الاحتلالِ؛ فتناولتْ الأَسْرَ خلفَ القضبانِ، ومواجهةَ الاستيطانِ، ومقاومةَ الاحتلالِ- مقاومةَ تهجيرِ المقدسيِّينَ مِنْ مدينَتِهم المُقدَّسَةِ، *ففي قصةِ «الطريق إلى القدس» تجلّى أسلوبُ الاستفهامِ بطاقاتٍ روحيّةٍ لا يعيها إلاّ منْ عاشَ لحظتَها: "ما سرُّ هذا العشقِ لهذهِ المدينةِ المقدَّسَةِ؟ هل سورُها العظيمُ الذي بناهُ السلطانُ سليمانُ القانونيُّ؟ هل هوَ المسجدُ الأقصى الذي يتوسَّطُ مدينةَ القدسِ، أم كنيسةُ القيامةِ القريبةُ منْهُ؟ هل هي شوارعُها القديمةُ التي غنّت لها فيروزُ؟ أم جبلُ الطورِ الذي منه ترى كلَّ القدسِ كقطعةٍ فنيّةٍ رائعةٍ امتزجتْ فيها كلُّ الألوانِ بريشةِ مبدعِها؟ الحقيقةُ لا يعرفُها أحدٌ؛ ولا حتّى هو، كلُّ ما يعرفُهُ أنَّ القدسَ بالنسبةِ إليهِ روحُهُ، وإلهامُهُ، وسرُّ وجودِهِ. إنّها مصدرُ طاقتِهِ، وإصرارُهُ على الحياةِ".

لقد استطاعَ الكاتبُ عادل سالم أن يُلقيَ إشراقاتٍ مركَّزَةً حولَ أبرزِ معالمِ المسجدِ الأقصى ومدينةِ القدسِ، بطريقةٍ ذكيَّةٍ من خلالِ استفهاماتٍ تتماهى مع عشقِ الوطنِ؛ ومنها تنطلقُ لوحاتٌ فنيّةٌ تعكسُ خريطةَ الوطنِ! وهكذا الأمرُ بالنسبةِ لقصّةِ "باب خان الزيت"، على لسان الطالبة التي اعتقلها الجيشُ، وأنقذها من بين أيديهم شابٌ مقدسيٌّ أطلقوا عليه الرصاص: "كنت أتمنّى أن يكونَ هذا الشابُ فارسَ أحلامي؟/ أيّ رجلٍ سأحبُّ بعد الآن؛ إن لم يكن مثله شهامة وبطولة؟/ تركه الجنود ملقى على الأرض، وتركوا الطالبة تصرخ بجانبه: - قتلتموه يا كلاب؟!/ وانسحبوا من المنطقة./ هناك قريبًا من بيته الذي لم يبعد سوى مائةِ مترٍ سال دمُه فاستحقَّ أن يكونَ ذلك الشارعُ شارعَهُ بلا منازع مهما تغيَّرتِ الأزمانُ".

أليس من حقّ تلك الطالبة أن تتذكره كلما مرت من هناك؟ أليس من حقها أن تذرف الدموع كلما مرت من باب خان الزيت؟ مَنْ يستطيع أن يمنعها من ذلك؟ أليس من حقّ سكان ذلك الشارع أن يتذكروا محمود الكرد كلما غنّى مارسيل خليفة قصيدة سميح

القاسم: منتصب القامة أمشي/ مرفوع الهامة أمشي/ في كفّي قصفة زيتون / وعلى كتفي نعشي/ وأنا وأنا/ وأنا أمشي.

وفي "قبلة الوداع الأخير" ينتقل عادل سالم من هموم الإنسان في فلسطين إلى مدينة صيدا (لبنان) الجميلة، هي رواية العاشق الذي يُضحّي من أجل غيره دون مقابل. رواية العشّاق الذين تحوّلوا إلى أصدقاء رغم سخرية كلّ من حولهم. رواية مُعذّبين لم يستطيعوا التخلّص من تأثير جلاديهم حتّى وهم بعيدون عنهم.

أمّا رواية "عاشق على أسوار القدس" فتحكي قصّة طالب فلسطينيّ سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة، وبعد عودته عام ٢٠٠٨ يفاجأ أنه صار سائحا ولم يعد مواطنا حسب قوانين إسرائيل العنصريّة الجديدة، إذ تلغي حقّ أبناء القدس العرب من الإقامة بها إذا سافروا منها لفترة، ولو كانت لمدينة قريبة كرام الله مثلا. فتبدأ معركة العودة إلى القدس، ويطارد في ذلك من مكان إلى مكان، ويتعرّض للملاحقة والسجن، ولكنّه يرفض الهجرة الطوعيّة، ويظلّ مُطارَدًا في وطنه مثل كثيرين غيره الذين يزدادون كل يوم. هي رواية المدينة المقدسة، ومعركة أهلها اليومية مع الاحتلال الذي يتفنن في طرد مواطنيها وحرمانهم من الإقامة فيها. رواية من الواقع الفلسطيني. عذرًا إن أطلت؛ هذا غيض من فيض؛ ولا بدّ أن أشدّد على أن نعطي هذا الأديب الرائع اهتمامًا ولو على مستوى الكتابة الأكاديميّة، حول مسيرته الأدبيّة وإصداراته الأصيلة، واقبلوا الاحترام أوفره.

قدمت العريفة عدلة شداد خشيبون الأديب والإعلامي فهيم أبو ركن بقولها: هو شاعر وكاتب وإعلاميّ قدير، له عدّة إصدارات؛ بحر النّور، وشلّال شوق، وفي القدس العارية، وقصّة العبوة النّازفة. أدعوه لينزفَ لنا بكلماته الرّاقيات حول الشّموليّة في شعر أديبنا وشاعرنا عادل سالم.

مداخلة الأديب فهيم أبو ركن الشمولية في شعر عادل سالم: بداية أشكر القائمين على هذه الندوة الهامة، الشاعرة المتألقة آمال عوّاد رضون، والمحامي الأستاذ فؤاد نقارة، وعريفة الأمسية الكاتبة عدلة على التقديم الجميل. أقدّمُ مداخلة في هذه الأمسية حول نتاج الكاتب الشاعر عادل سالم، تتطرّق إلى نواحٍ متنوّعة وشاملة لا يسمح الوقت

في هذه الندوة الهامّة بتقديمها. ولهذا فقد اخترت أن ألقي الضوء على زوايا معيّنة، تعطينا فكرة موجزة عن شعر شاعرنا العزيز، فعندما قرأته، وجدتني أقرأ شعراً منوّعًا شاملاً.

أوّلًا: يتناولُ مواضيع مختلفة من غزل، ومشاعر إنسانيّة، وثورة ورفض الظلم، وتضامن مع الفقراء، والأحرار. وثانيا: يوظف الشاعر أساليب منوّعة من حيث الشكل، إذ نجد القصيدة التقليديّة الموزونة المقفاة، ونجد قصيدة التفعيلة، والقصيدة الحرّة أو قصيدة النثر. وللقصيدة الناجحة ضلع ثالث عدا عن الشكل والموضوع، وهو اللغة، فاللغة لدى الشاعر عادل سالم سلسة متجانسة، لغة فصيحة تنساب برقّة وعذوبة، فتدخل القلب وتدغدغ المشاعر، وسأتحدث عن نماذج من القصائد التي اخترتها من ديوان (الحب والمطر)، عندما نبدأ نمخر عُباب الديوان نجد الشاعر يرتكز على عدة محاور، جاعلا المحور الرئيسي هو الشعور الإنسانيّ النبيل، فهو يتمرّد على الظلم ويتضامن مع الأحرار، فنسمعه يُمجّد ما قام به منتظر الزيدي فيقول: من يرفعْ في وجه الظلم حذاء / يبنِ الرب له قصرا في الجنة.

إنّه يتضامن مع الأحرار وأحيانًا يُعاتبهم، فها هو يعاتب منتظر لأنه قبل بعد عدّة شهور أن يعتذر، ففي قصيدة تقليديّة موزونة مقفاة اعتمد فيها على بحر المتدارك، أو الذي يسمى عندما يصيبه الخبن الخبب يقول: لو كنت مكانك منتظرُ/ ما كنت لأقبل أعتذرُ/ فحذاؤك أصبح قنبلةً/ في وجه الظلم ستنفجرُ/ علَمٌ مرفوعٌ للأعلى/ في كل مكان ينتشرُ/ وستصبح في الدنيا مثلاً/ وشعوب الأرض ستعتبرُ.

إنّها نبوءة الشاعر، فحقا أصبح منتظر مثلاً وقدوة، حذا حذوها العديد ممّن أرادوا التعبير عن سخطهم وغضبهم واحتقارهم لمسؤول معيّن، كما إنّ الشاعر يتألم للوضع الذي وصل إليه الفلسطينيّون من تشرذم وانشقاق ويكتب في قائلاً: إلى الإخوة الأعداء في فتح وحماس/ السبت ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٧: يتصارعون كأنهم أعداء/ ما عاد ينفع دعوة ونداء/ دم الأخوة يستباح بلحظة/ وعلى الحدود تكاثر الأعداء/ لكم استباحوا غزة في عِرضها/ فحماس عندهم وفتح سواءُ/ وشقيقها بالخزي غطى وجهه/ ما عاد يسري في العروق دماء/ صبرا على الآلام غزة هاشم/ فعقوق اخوتك الكبار بلاء.

لقد عانى الشاعر من السجن وما زال يعاني من الغربة وفراق الأحباب وهي أقسى المشاعرِ الإنسانية التي تجعل العيون تدمع، وهذا يظهر في شعره في قصائد كاملة وفي أبيات من قصائد، وفي كلمات تتكرر؛ مثل البعد، الفراق، الذكرى، التساؤل عن الأحبة، والزمن الذي يمر ولا يعود، الهجران وغيرها من العبارات التي تنشر جوا من اللوعة ومسحة من الحزن والحنين إلى الوطن والتي يشعر بها القارئ دون عناء:

إن الفراق عن الأحبة موجع

ولذكر من أهوى عيوني تدمعُ

الذكريات تثيرني وتهزني

يا موطن الأحباب إنك أروعُ

ما لي أرى الأيامَ بعدك مرة

وبطيئة في مشيها تتمنعُ

وأرى السنين قصيرة في حيكم

والعام في حضن الحبايب يسرع

عام كثانيةٍ يمُرُّ بخفة

ما عاد يرويني ثوانٍ تهرعُ

زمن مضى في غفلة من حبنا

يا ليت للماضي زماني يرجعُ

لكنه باب وحبِّك مقفلُ

مهما نحاول فتحه فسنُردعُ

تلك الحياة فلا أمان بظلها

يوم يفَرّحُنا وآخر يفجعُ

واعلم إذا حلت بروحك أنَّةُ

بعد المصائب فرحة تتجمعُ (آذار ٢٠٠٦)

ميزة أخرى في شعر الأستاذ عادل سالم وهي النَّفَس المَلحميّ: ما عاد الحُبُّ خيارًا في وطني/ عام (٢٠٠٨): نُبئتُ صباح اليوم/ بأن أفاعي البرّ/ وأسماك القرش البحري/ حصدت بعض النسوة/ قد كنّ إذا جاء الليل/ يَبحَثن ببعض أزقّة غزة/ عن حبة قمح/ سقطت عفوًا/ من منقار الطير الهارب/ من صياد/ يُطعمْن بها/ أطفالًا من جوع البطن يئنّون/ يا ربّ الكون أعنّي/ فأنا مقهور/ ألهمني الصبر وسامحني/ فأنا نسرٌ بجناح مكسور/ لا أعرف إن كنت المهزوم/ أم أني المنصور/ لا أدري إن كنت الظالم أم أني المغدور/ فأنا وطن مسلوب/ بين الإخوة مشطور!

ليس بغريب هذا النفس الملحميّ، فشاعرنا روائيّ ناجح، وهذا يدلّ على أنّه مبدع حقيقيّ شامل، وككلّ شاعر لا بدّ للغزل والحبّ من أن يحتلّ مساحة من شعره، غير أنّ الشاعر عادل في شعره الغزليّ هو ذاك المحبُّ الولهان الذي تخرج كلماته منسابة رقراقة، ففي ديوان الحب والمطر الذي صدرَ قريبًا يقول عام (٢٠٠٧): أنسيت فاتنتي الجميلة؟/ أو تسأليني من أنا؟!/ وكأن قصة حبنا/ كانت سرابا/ أنسيت أول قبلة/ في غفلة؟/ ضحكت شفاهك خلسة/ وعيونك السمراء تقتلني عتابا/ أنسيت فاتنتي الجميلة؟/ في غرفة التدريس حين عيوننا/ رسمت على حيطانها/ قصصا نبيلةْ/ أنسيت أستاذ الأدبْ؟/ وشعاره الحب أغلى من ذهبْ/ ضحك الجميع حبيبتي/ إلا أنا/ قلبي من الفرح انطرب/ أنسيت أستاذ العلوم؟/ وكل شيء لا يدوم/ فكتبتِ لي/ إلا الهوى/ هبة السماء ونعمة الرب العظيم/ أنسيتِ ألف رسالةٍ/ في الحبْ؟/ عيناي قد بعثت بها/ والقلبْ/ والحاسدون بنارهم/ يجنون ما حسدوا/ ما أعدلكْ/ يا ربْ.

ومسك الختام أسجّل إعجابي بهذه المشاعر الإنسانيّة الجيّاشة التي عبر عنها أجمل تعبير، في قصيدة رائعة تنبذ التعصّب باسم الدين، وتدعو إلى المحبّة التي لا تعرف حدودًا طائفيّة، عرقيّة، دينيّة أو قوميّة، واقتبس:

فالكل ينادي باسمك يا ربْ!

باسمك يصدر كل الناس فتاواهم

باسمك تشتعل الأحقاد

باسمك نقرأ أشعار الحب!

باسمك يعتصم الخائف

باسمك يمطرنا الأعداء قذائف

باسمك نعلن وحدتنا بالطائف!

باسمك يا ربّي

نتفرّق أحزابًا وجماعات وطوائف

سنيّ، شيعيّ، وهّابيّ، إخوانيّ

أميركيّ، سوريّ، إيرانيّ إسلاميّ، علمانيّ

نصرانيّ، شرقيّ، غربيّ

كرديّ، قبطيّ، عربيّ

باسمك يقتتل الإخوة!

باسمك نصبح أبطالًا ورجالًا

وغدًا قد نصبح نسوة

باسمك نغتال الأحلام!

باسمك نأكل أموال الأيتام!

باسمك نشرب كأس هزيمتنا

باسمك ننحر رأس عروبتنا

ما عدنا يا ربّ نميز

بين عقارب ساعتنا

وعقارب هذي الأرض!

لا نعرف أين مدينتنا

ما بين خطوط الطول

وخطوط العرض!

صَمَت الشعراء وما عادوا

في الشّعر يجيدون القَرضَ

سكتت في الحرب مدافعنا

وحناجرنا

لكن لم يتوقف

قلب الناس عن النبض

فليشرع كل الناس محبتهم

في وجه الحقد ووجه البغض

لا يملك سلطان فينا حق الأمر وحق النقض

فلنخلع كل ملابسنا السوداء

والحقد الجاثم فينا

من يرفض هذا العرْض؟

ما عاد الحبّ خيارًا في وطني

بل صار الفرض.

كنتُ أودّ لو سمح لي الوقت أن ألقي الضوء على زوايا أخرى، ولكنّي ألتزم بالوقت وأكتفي ببعض هذه الإضاءات السريعة، متمنيًا لشاعرنا التوفيق والسعادة، شاكرًا حُسن الإصغاء، والسلام وعليكم ورحمة الله.

قدمت العريفة عدلة شدّاد خشيبون الكاتبة هيام أبو الزلف بقولها: تعشق اللغة العربيّة، ولها باعٌ طويل في تدريسها، عرفتها من خلال موقع ورقستان الأدبيّ، عشقت كتابتها ولغتها وإنسانيّتها التي تشمّها في كلّ نبرة حرف، فللحرف عندها صورة أخرى، ولها مجموعة قصائد ترقد على سرير الانتظار لغلاف يحتويها لتثرينا، فأشدّ على يدها أن تخطو تلك الخطوة، بمحبّة وصداقة غنية بالمحبّة أدعو الكاتبة الشّاعرة الأديبة الكرمليّة هيام أبو الزّلف لتقول كلمتها في أديبنا عادل سالم.

قراءة هيام أبو الزلف في رواية (عناق الأصابع):

أعزائي الحضور مع حفظ الألقاب والمقامات، والمحتفى به الأستاذ عادل سالم. بداية أودّ أن أوجّه شكري للشاعرة آمال عوّاد رضوان، من أوكلت إليّ مهمّة القيام بمداخلة، وبالتّالي كانت لي فرصَة قراءة رواية هذا الأديب الْفذّ (عناق الأصابع)، وقد غششت يا آمال، وقرأت أيضًا المجموعة القصصيّة (الرّصاصة الأخيرة). أكملت قراءة الرّواية بصيغتها الإلكترونيّة خلال يومين، وسارعت بعدها إلى إغلاق صفحاتها، حتى لا أقرأ ملحق المقالات حولها، فقد أردت أن أكتب مداخلتي دون التأثّر بسواي، وقبل الشّروع في القراءة، كان لا بدّ من الوقوف على عتبة الرّواية، ألا وهي العنوان الّذي أثار دهشتي وفضولي (عناق الأصابع). ماذا يكون عناق الأصابع غيرَ لقاءٍ قصير مسروق من زمن، يضنّ حتّى على الأكفّ أن تهجع في حضنِ الأكف؟ ماذا يكون غير عناق يمنح بعض العزاء.. لكنه يزيد الحرمان وطأة؟

ها هو يؤكّد تخميني ص٢٦ بقوله على لسان والدة المعتقل علي النجار: (قبّل إصبعي من شبَك القُضبان، وشدّ على أصابع والدِه، لم أستطعْ عناقَه. أصابعنا فقط هي الّتي تعانقت. قبّلها مراتٍ لا أعرفُ عددَها).

وفي ص٣١: (ما أروع أن تتعانق الأصابع بعد غيابٍ طويل. خارج القضبان ليس لها معنًى. ولكن للّذين تفصل القضبانُ بينهم، فللأصابعِ إحساسٌ غريب. من خلالها يتصل الأسير بمن هم خلف القُضبان ومن خلالها يرتبط بالعالم الخارجيّ).

وهنالك أمثلة أخرى رائعة الوصف حول عناق الأصابع، خاصّة ما باحت به خولة الصحفيّة الّتي وجدت قلبها مشغولا بعليّ، الّذي بادلها الحبَّ هو الآخر. بعد العنوان كان هنالك أمر آخر لافتٌ وهو الإهداء، فقد اختار الكاتب معلّميه ليهديهم روايتَه الأولى، وذكر أسماء الكثيرين منهم معتذرًا ممّن لم تسعفْه الذّاكرة في تذكّر أسمائهم. إنّه وفاء ندر مثله، يجعل من مصاعب التعليم والتربية أمرًا محمولًا وحتّى مقدورًا عليه. ثمّ قدّم المؤلف للرواية بتنويه قصير قائلا: إنّها ملحمة تاريخيّة تصوّر حياة الأسرى الفلسطينيين والعرب، في سجون الاحتلال الصّهيوني الْبغيض. غالبيّة أحداثِها وشخصيّاتِها حقيقيّة، عانت من السجن وقيد السّجّان، لكن بعض الشخصيّات الأساسيّة في النصّ من خيال المؤلّف، اقتضتها ظروف العمل الفنيّ، فإن تطابقت مع أسماء موجودة على الأرض، فهي مجرّد صدفة. عناق الأصابع ترصدُ بطولاتِ الأسرى ولحظاتِ ضعفهم، وتكشف ما يجول بأفكارهم، وأحلامهم وقلوبهم، وقصصَ عشقهم بقالب أدبيّ بعيد عن الخطاب السّياسيّ.

إنّ الرواية ترصد أحوال العائلات من آباء وأمّهات وإخوة وأخوات، وتصف معاناة الانتظار وإذلال منظومة الاحتلال المتعمّد لهم، كلّما همّوا بزيارة أعزائهم، فتصف التنسيق بين الأسرى والأهالي ليتم الحراك الجماهيريّ، وتتطرّق إلى دور المرأة الفلسطينيّة المقدّس كأمّ، وأخت، وحبيبة، ومناضلة في سبيل الحياة، فالمرأة تصنع الحياة، وهي الأشرس في الدّفاع عنها، تنقل إلى القارئ عقليّة المجتمع المحافظ والصّراع بين هذه العقلية، وبين الأفكار الجديدة الّتي لا بد منها للنهوض بالمجتمع، فلا يمكن مناهضة الاحتلال بعقليّة تقمع المرأة، ولا يمكن أن تتحرّر الأمّة دون تحرر الأمّ. ولا يمكن أن نفكّر بمعيار وننهج بآخر.

كتبت الرواية بترتيب زمنيّ متصاعد، لكن الرّاوي استخدم الحوار والفلاش باك الاسترجاع الفنيّ للعودة إلى الماضي، في سبيل توضيح الحاضر. فمثلا ص٣٠٦ عن طريق تذكّر رحاب لولادة ابنها عليّ الّذي أسمته فخرًا بأخيها المناضل المعتقل، نعرف أنها قد تزوّجت وأنجبت من فلاديمير الرّوسي الدّاعم للقضيّة الفلسطينيّة المحبّ لرموز نضالها، فالراوي كان عليمًا، إذ وصف ما يعتمل في أذهان الشّخصيات في أحايين كثيرة، كما في ص٣٨: (جلست خولة في الحافلة إلى جانب أم السّعيد -أي أم علي حبيب خولة المعتقل- وهي تتصوّر عليًا أمامها باسمًا رافعًا قبضته، ملوّحا بإشارة

النّصر. كانت تتمتم لنفسها: أسرى يرفعون شارة النّصر، وحكّام دول يوقّعون وثائق الاستسلام، كم نحن بحاجة إلى تلك الرّوح العالية! كم نحن بحاجة إلى هؤلاء). ويقول الرواي: لعله من المناسب التطرّق إلى شخصيّة رحاب الّتي ساعدتها الغربة على اختصار الفجوة بين النظريّة والتطبيق، فرحاب هذه بأفكارِها النّسويّة يغيظها أن يكيل المجتمع بمكيالين، كأن يرضى بزواج الفلسطينيّ من أجنبيّات، ويضنّ على الفلسطينيّات الزواج من أجانب حتّى لو أشهروا إسلامهم. كما يغيظها أن يتبجّحوا بإسلامهم، لكنهم في الغربة يتنكّرون في نهجهم للإسلام، فيشربون الخمر ويفطرون في رمضان. هنا يمكن التطرق إلى شخصيّة خولة الصّحفيّة الّتي ناضلت على طريقتها، وأوصلت إلى الرأي العام العالميّ صوت الأسير الّذي يناضل من أجل حقوقه الرّئيسة، وساهمت هي ورحاب التي درست الصحافة هي الأخرى في فضح أساليب القمع من الآلة العسكريّة. يمكن القول إنّ النضال من أجل القضيّة لا يمكن أن يطير بجناح واحد، خاصّة حين تكون المرأة بثقافة ومهنيّة خولة ورحاب. ماذا كنت ستقول أديبَنا في أحداث القدس الآنيّة، وفيمن يتركون المسجد الأقصى على كاهل الفلسطينيين وحدهم، وسكّان القدس بالذّات؟ ماذا كنت ستقول عن حكام المنظومات الّتي يقال لها دول عربيّة؟ بخيانتها لقضايا الشعوب، وسقوط عورتها سياسيا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا، حتى أنّها تجاهر بأن الطريق إلى أمريكا يمرّ عبر إسرائيل ورضاها؟ لماذا يجب أن نعتاد على (تمسحة) المنظومات العربيّة تجاه ما جرى في الماضي من ممارسات ضدّ أهالينا، من إحراق للمسجد الأقصى، وإعدام الفتى أبو خضير بطريقة تقشعرّ لها الأبدان ومن إحراق عائلة الدّوابشة، ومن العدوان على غزّة الّتي قدّمت آلاف الضّحايا منهم ما يزيد عن (٥٠٠) طفل؟ لماذا لا يفعلون شيئا سوى الجعجعة دون طحن، حيال ما يجري في شعفاط، والعيسويّة وعناتا وراس العامود، وأبو ديس وعقبة الخالدية؟ لماذا لم يفتحوا الحدود للمهجرين السوريين؟ إن ثروة الوليد بن طلال وحده كفيله بوضع حدّ لمعاناتهم. روايتك اديبنا ما زالت-مع الأسف- أكتواليّة وما زال الواقع يضيف إلى فصولها الخمسين فصولا تشهد على المراوحة في المكان.. لا بل على التقهقر.

أمّا عن لغة الرّواية، فقد وظّف الأستاذ عادل سلام اللغة العاميّة أحيانا خاصّة في التحايا والدعاء (الله يصبحك بالخير خالتي أم السّعيد. الله يقوّيك يا رب على أعدائك.

تمنّيت لو أنا ولا هو.) هذه اللغة العاميّة وكذلك اللغة الوسطى، تشي بذكاء الكاتب، فقد أراد لروايته أن تكون وثيقة أيضًا للمتعلقات الحضاريّة والاجتماعيّة لمجتمعنا الفلسطينيّ، وقد كان بإمكانه استخدام اللغة الفصحى هو الّذي أمتعنا بجزالة لغته ونسيجها اللغويّ المتين على امتداد الرّواية. وقد استخدم الأستاذ عادل الحوار في أكثر من موضع، وخدم ذلك القارئ بأكثر من طريقة، فالحوار يشي بهويّة قائله وثقافته، فعن طريق الحوار قدّم لنا الكاتب شخصيّة أم سعيد النّمطيّة، وأم الأسير النمطيّة، وعن طريق الحوار كانت لنا استنتاجاتُنا حول خولة الصّحفية التي ربطت مصيرها بمصير علي المحكوم عليه بالسجن المؤبد، والتي قضت سني شبابها في انتظار خروجه في صفقة تبادل الأسرى. خولة الّتي ناضلت على طريقتها، وأوصلت إلى الرأي العام العالمي صوت الأسير الّذي يناضل من أجل حقوقه الرّئيسة، وساهمت هي ورحاب التي درست الصحافة هي الأخرى في فضح أساليب القمع من الآلة العسكريّة. يمكن القول أن النضال من أجل القضيّة لا يمكن أن يطير بجناح واحد، خاصّة عندما تكون المرأة في ثقافة ومهنيّة خولة ورحاب. الحوار ساهم في سدّ فجوات في النّص وأكمل الصورة، فحين يتمّ بين والد عليّ ووالدته وأشقائه سعيد، وفريد وشقيقته رحاب، فإنه يبرز التآلف والتخالف فيما بينهم. فقسم منهم ذو تفكير تقليديّ نمطيّ، والآخر ذو أفكار تغلب عليها الحداثة. قسم له مرجعيّته الدينية والاجتماعية، وقسم مرجعيّته في تحقيق الذّات وحقوق الفرد والمساواة بين الجنسين.

وبالعودة إلى مضمون الرّواية، فقد ذكرت أنها كتبت بترتيب زمني تصاعديّ، لتوثّق أحداثًا مفصليّة عايشها أهلنا في فلسطين وفي الغربة، هذه الأحداث كانت أحيانًا نتيجة لنضال الأسرى، وأحيانًا هي السبب أيضًا في تحويل المناضلين إلى أسرى في سجون الاحتلال، فالتأثيرات متبادلة، ففي سجون الاحتلال يتقن الأسرى الالتفاف على السّجانين ومسؤولي السّجن، بطرق تنظيميّة ذكيّة لا تترك للمسؤولين المجال لدق الأسافين بين الأسرى، وبشكل يتيح التنسيق بين الأقسام والغرف المختلفة في السجن. وصف المؤلف برنامج الأسرى اليوميّ في السجون المختلفة، فسجن الرملة يتحوّل إلى مركز نقاهة بالقياس إلى سجن النفحة في النقب، كما ووصف أساليب التعذيب الجسديّة والمعنويّة التي كان ثمنها أحيانًا استشهاد بعض الأسرى، وهذا يفنّد ما تدّعيه إسرائيل، بأنّها تعامل الأسير بأكفّ من حرير. ففي ص١٣٦ يقول فريد شقيق

عليّ: ألا يكفيهم جوعهم وعذابهم حتى يضربونهم؟ أيّ بشر هؤلاء؟ لا أدري كيف يهاجمون النّازيّة وهم يمارسون ممارساتها نفسها؟

وأبدي إعجابي بوصف فترة الإضراب عن الطعام وصفا دقيقا، وكيفية إرغام الأسرى على تناول الطعام بشكل قسري، عن طريق إدخال أنبوبة إلى معدة المضرب بطريقة مهينة، ومؤلمة لا تخلو من الأخطار. كما يصف بلادة السجانين والمسؤولين وسخريتهم ومماطلتهم في علاج من يحتاج إلى إسعاف، ممّا يؤدّي إلى وفاة ذوي الأجسام الضّعيفة، هذا الإضراب الّذي نجحوا بفضله في تحسين ظروف سجن النفحة الرّهيب.

قدمت العريفة عدلة شداد خشيبون د. صالح عبود بقولها: معلّم لغة عربيّة قدير، يتناول النّصّ الأدبي من كافة نواحيه ويعطيه حقّه. هو شاعر له حسّ مرهف وجميل، ونفس رائع في الإلقاء، نتوق لنسمع كلمته في هذه النّدوة الجميلة. ادعو الدّكتور صالح عبّود ليتناول الواقعيّة في القصّة القصيرة عند أديبنا عادل سالم.

قراءة د. صالح عبود: بعنوان واقعيّةٌ في (الرّصاصةِ الأخيرةِ) للقاصِّ والأديبِ عادل سالم:

يعد أديبُنا عادل سالم صاحِبَ باعٍ وَذِراعٍ وَحصونٍ وَقِلاعٍ في الكتابةِ القصصيّةِ القصيرةِ، وإنْ كانَ مُبدعًا ثَريًّا في غيرِها، أي القصّةِ القصيرةِ، ولا سيّما في الكتابةِ الرّوائيّةِ، فَإنّهُ برزَ في مادَّتهِ النّثريّةِ الجماليّةِ أيَّمَا بروزٍ، وَتبوأَ بِنشاطهِ الإبداعيِّ في مجالِ فنِّ القصّةِ القصيرةِ مكانًا عَليًّا.

كانتْ مجموعةُ (لعيونِ الكرتِ الأخضَر) هي فاتحةُ مجموعاتهِ القصصيّةِ القصيرةِ، إذ صَدرَتْ عامَ ٢٠٠٦، والَّتي بَشَّرت بولادةِ مجموعتهِ الثّانيةِ (ليش ليش يا جارة؟) خلالَ العامِ الّذي يليهِ ٢٠٠٧. وكانَ حَريصًا على الكتابةِ في مجالِ القصّةِ القصيرةِ حِرْصَهُ علَى الحياةِ، فَكتبَ وكتبَ، ودوَّنَ وَدوَّنَ، حتَّى كانَ العامُ ألفينِ واثنيْ عَشرَ بعدَ الميلادِ،

عامًا تُغاثُ بهِ خِزانةُ عادل سالم ومكتبَتُهُ وَإرثُهُ في كتابةِ القصّةِ القصيرةِ، فقد صدرَ لهُ فيهِ ثَلاثُ مجموعاتٍ قصصيّةٍ أُولاها بعنوان: "يحكونَ فِي بِلادِنا"، ومجموعةٌ أخرَى بعنوان: "يومٌ ماطرٌ في مينيَا بُوليس"، وكانتْ ثالثةُ الأثافِي عندهُ مجموعةٌ قصصيّةٌ تضمُّ خمسةً وَثلاثينَ قصّةً قصيرةً جاءَتْ في حلَّةٍ رَشيقةٍ ممشُوقةٍ أهداها مُبدعُها: إلى حَاراتِ، وَشوارعِ، وَأزقَّةِ القدسِ القديمَةِ، إلى أولَى القِبْلَتَيْنِ، وَدُرَّةِ المَشْرِقَيْنِ، وهوَ الّذي ولدتهُ أمُّه القدسُ بينَ كنيسةِ القيامةِ والمسجدِ الأقصَى في الفاتحِ منْ تَمّوزَ/ يوليو عامَ ١٩٥٧ (سَبعةٍ وَخمسينَ وتسعمائَةٍ وألفٍ للميلاد)، وتلكَ كانت مجموعتُهُ (الرّصاصةُ الأخيرةُ).

تصبو هذه الإطلالةُ الخجولةُ في عالمِ القصّةِ القصيرةِ لدَى أديبنا الفذِّ المحتفى بهِ عادل سالم، تصبو إلى الوقوف عند بعض ملامحِ الواقعيّة في تجربتهِ مع كتابة القصّة القصيرة، وتعالجُ هذهِ الورقةُ المقتضبةُ- وسامحَ اللهُ من كانَ سببًا في قِصرِ عُمرِها وتعجيلِ أجلِها- تلك الملامحَ من خلال نصٍّ قصصيٍّ يتيمٍ فاتحٍ في مجموعتهِ الحافلةِ بالمضامينِ الاجتماعيّةِ المؤرّقةِ الحارقةِ، والمضامينِ السياسيّةِ الموجعةِ، والمضامينِ الثّقافيّةِ المقلقةِ، وكلُّها حبَّاتُ لؤلؤٍ تنعقدُ جميعًا في عِقدِ مجموعةِ الرّصاصةِ الأخيرةِ.

تتصَدَّرُ قصّةُ (ثلاثِ أمّهاتٍ وطفلٍ واحدٍ) مجموعةَ الرصاصةِ الأخيرةِ، وهيَ قصّةٌ قاسيةٌ مَا أشدَّ لِقاءَها معَ قسوةِ التّقاليدِ، والأعرافِ الاجتماعيّةِ المَقيتةِ الّتي أجهضَتْ سرَّ الحنانِ الأوحدِ، وَآيةَ الوجدانِ الأجْوَدِ، أي الأمومةَ، فالقصّةُ في فكرتها المركزيّةِ تنتهي في مستشفًى يُجري فيهِ أحمد عبد السلام قَسطرةً لِفتحِ شريانٍ قريبٍ من القلبِ، وزوجهُ ختامُ تسهرُ على حالِهِ وتنتظرُ له الشّفاءَ، وَهيَ وَزوجُهَا طريحُ الفِراشِ، يدينانِ بالفضلِ لطبيبٍ جرّاحٍ ماهرٍ لم يتركْ سَجيَّةً طَيِّبةً وَلا نَقيبةً ميمونةً إلَّا جَمعَها إليْهِ، كان الطبيبُ الشّابُّ الوسيمُ واسمهُ أيّوبُ صالح طبيبًا معروفًا بمهارتهِ وطيبتهِ ومعاملتهِ الفريدةِ مع المرضَى، وكان أحمد عبد السلامْ أحدَ مرضَاهُ الّذين تكفَّل بمتابعتهمْ شخصيًا، غَيرَ أنَّ الطّبيبَ أيّوبَ شعرَ وهوَ يقرأُ ملفَّ أحمدَ عبدِ السّلامِ أنَّ شيئًا مَا يتحرَّكُ في وجدانهِ، وَأنَّ صَوتًا عمرهُ عشراتُ السّنواتِ يُبْعَثُ فيهِ مِنْ جديدٍ.. لَقَدْ أدركَ الطّبيبُ أنّهُ يعالجُ رجلًا قدْ تبنَّاهُ حينَ كانَ طفلًا بوسنيًا وَصَل البلادَ مع ثُلّةٍ منَ الأيتامِ البُشناقِ إلى دارٍ للأيتامِ، وَلَمَّا يبلغْ حينَها إلَّا أشهُرًا ثلاثةً، فمكثَ فيها ثَلاثةً أخرَى، إلى أنْ تبنّاهُ أحمدُ وزوجُهُ ختامُ، وكانَا لا يُنجبانِ أبناءً، وعاشَ في حضانتِهما سنواتٍ أربعَ وسَمّيَاهُ وليدًا.. لكنَّ

كثرةَ القيلِ والقالْ، والجَوابِ، والسّؤالْ حولَ هذا الطّفل الأشقرِ ذِي البَشَرَةِ المضيئَةِ قدْ أحاطَ ختامَ الأمَّ المُتَبنِّيةَ بِعلاماتِ استفهامٍ، وحاصرتْهَا بِسَبَبِهِ أوهامُ النِّساءِ من جاراتِها وَمعارِفها اللّواتي لمْ يُذِقنها طعمَ الهناءِ بطفلٍ جميلٍ وسيمٍ تسطعُ البراءَةُ من جسده الناصعِ الصّغيرِ، كانتْ أُختُها تُذَكّرها أنَّ التّبنّي حرامٌ في شرعِ المسلمينَ.. هكذَا يرصدُ عادلُ سالمْ موقفًا تعيشهُ أمٌّ تبحثُ عنِ رذَاذِ أمومةٍ فَتحرمُها التّقاليدُ الاجتماعيّةُ والدّينيّةُ منهُ، وَتُحيلها بعدَ الحياةِ إلى الجمودِ.. فكيفَ تستفيقُ الحياةُ في زحمةِ الموتِ إنْ فَضَّتِ الأمُّ بَكارةَ الأمومةِ وأحرَقتْها! جاءَ علَى لسانِ الأمِّ في القصّة ما يلي: (كَانَ منظرُهُ وهوَ يشربُ الحليبَ يدغدغُ فِيَّ عَواطفَ الأمومةِ.. لعنَ اللهُ كلامَ الناسِ، قتلوني بكلامِهِم، لمْ يتركونِي بحالِيْ.. كانتْ كلُّ منْ ترانِي تَرْمُقنِي بنظراتٍ عجيبةٍ كأنَّهَا تَسألُنِي كيفَ يكونُ ابنيْ أشقرَ؟ هَلْ هذا مِن زوجٍ سابقٍ؟ أمْ أنَّني...؟ لَعَنهمُ اللهُ.. لمْ يتركُوا كلمةً نابيَةً إلَّا وَألصقُوها بِي، حَتَّى أُمِّي كانتْ تقولُ لِي: اسمعِي يا ختامْ، إذا جِئْتِ لزيارَتِنا فَلَا تُحضِري وَليدَ معَكِ، وَلكنَّه ابنيْ يَا أُمِّي، فتَزِمُّ شَفَتيْهَا وَتردُّ عَلَيَّ: مِنْ أَيْنَ ابنَكِ؟ نَحْنْ عارفِينْ البيرْ وَغطاه، وَلكنَّهُ ابنِيْ رَسْمِيًا، فَتَردُّ أُخْتِي بِعَصَبيَّةٍ: لا تَبنِّي في الإسلامِ، أمَّا زميلاتِي فِي العملِ، فقدْ كُنَّ يقُلْنَ لِي: هَلْ تعرفِينَ منْ تكونُ أمُّهُ الحقيقيةُ؟ ألا يمكنُ أنْ يكونَ ابنًا لقيطًا؟ لماذَا تُسَلِّمهُ أمُّهُ للملْجَأِ؟ وَلَكنَّه طفلٌ بريءٌ، مَا ذنبُهُ؟ قَاومْتُهُمْ، لَمْ أَرُدَّ عليهِم.. لكنَّني بعدَ سنواتٍ انهارتْ كلُّ مقاومَةٍ لِي، كمَا ينهارُ جدارٌ كبيرٌ في يومٍ عاصفٍ، أوْ كما يسقطُ جسرٌ لمْ يَعُدْ يتحمَّلِ السيّاراتِ الّتي تسيرُ فوقَهُ معَ أنَّهُ تحمَّلَ أكثرَ منْهَا فِي سنواتٍ مضتْ).

يعيشُ البطلُ الأيوبيُّ في قصّةِ (ثلاثِ أمّهاتٍ وطفلٍ واحدٍ) صراعًا مُرًّا عَلقَمًا، وَتبدو فيهِ دَماثتُهُ وأخلاقُهُ الرّفيعةُ وَحُبُّهُ للعطاءِ والإيثارِ دَواءً وَبَلسَمًا. تَذكَّر الطّبيبُ تلكَ اللّحظاتِ الخانقةِ الّتي عاشَها في طفولتِهِ، عندما كانَ اسمُهُ وليدْ، وهوَ اسمٌ يخترقُ ذاكرتَهُ المنسيَّةَ الهائِمةَ ويحترقُ بينَ دموعٍ وَرجاءٍ. كانتْ ذكرياتُهُ تضيقُ بِهِ، تُزَاوِرُهُ عنِ السّكينةِ وَتغرسُ في ذاكرَتِهِ سِكّينَ الضّغينةِ، ها هوَ يستحضرُ لحظاتِهِ المبكيةَ الّي يصفها الرّاوي حين يقول: شدَّ علَى قبضةِ يدهِ. ضربَ المكتبَ بقوّةٍ. الصورةُ بدأتْ تتّضحُ تدريجيًّا حتَّى أصبحَتْ واضحةَ المعالمِ، كمَا لوْ أنَّها حصلَتِ الآنَ.. كانَ يصرخُ باكيًا: لا تتركَانِي..لا أريدُ البقاءَ هنَا. خُذانِي معَكُمَا. أرجوكِ يا أمِّي، لَنْ أشاغِبَ بعدَ اليوم. لنْ أصرخَ. سأسْمَعُ كلامَكِ. بابا حبيبي.. أنَا أحبُّكَ يا بابا.. لا تتركْنِي. كانَ يشدُّ

ببنطلونِ أبيهِ الّذي كانَ يبكِي لبُكَائِه، وَيمزِّقُ شعرَهُ، لكنَّهُ كانَ يختلِسُ النّظَرَاتِ لِزَوجَتِه خِتامْ، كأنَّهُ يرجوهَا أنْ تعيدَ ابنَهُمَا إلى البيتِ، لكنَّها كانتْ حازمةً في مواقِفِهَا، ولمْ تذرِفْ دمعةً واحدةً علَى الرَغمِ منْ بُكائِهِ غَيْرِ المنقَطِعِ، وهيَ الّتي كانتْ تبكِي إنْ بكَى، وتسهرُ الليالِيَ الطَويلةَ على راحَتِهِ. لمْ يكنْ يعيْ لماذَا تغيَّرَتْ تُجَاهَهُ؟ أيعقلُ أنْ تتركَ الأمُّ ابنَهَا لأنَّهُ يضعُ يديهِ على كلِّ مَا يصادِفُهُ؟ كانَ مصدومًا غيرَ مصدِّقٍ أنَّ أمَّهُ بتلكَ لقسوةِ، كأنَّ كلَّ كلماتِ الحبِّ الّتي سمِعَهَا منهَا كانتْ كذِبًا وَرياءً. كانتْ ماما خِتامْ تقولُ لهُ: سنعودُ إليكَ غدًا، لكنَّها لمْ تعدْ منذُ ذلكَ اليومِ.

تكمنُ بطولةُ أيوبْ وتكتملُ ملامحُ أصالتهِ وطيبتهِ ورحمتهِ، معَ نهايةِ القصّةِ، إذْ نراهُ يفتحُ ملفَّ أبيهِ أحمدَ ليوقّعَ فيهِ أمرَ تحريرهِ منَ المشفَى، فيوقِّعَ وهوَ مغلقٌ عينيهِ مُكَلِّمًا أبَاهُ بصوتٍ خافِتٍ: سَامحتُكَ.. سَامحْتُكِ.. اللهمَّ اغفرْ لهما ما فعلاهُ معي.

ينتصرُ الحبُّ رغمَ شُقَّةِ الذّكرياتِ، وَألمِ الوَحدةِ، وظلمِ أقربِ النّاسِ لأقربِ النّاسِ إليهِمْ.. الحبُّ هوَ الرّئيس: ولستُ أرَى السّعادةَ غَيرَ حبٍّ/ وإيثارُ النّفوسِ علَى النَفيسِ/ فلاَ يُزريكَ لو عِشْتَ افْتِقَارًا/ إذَا مَا الحبُّ أسْعَدَ للبَئيسِ/ أمَا واللهِ مَا في الدّينِ خيرٌ/ إذَا خَلَتِ القُلوبُ منَ الرّئيسِ/ وَفَضْلُ الحبِّ فِي الأيّامِ يَزكُو/ كَغيثٍ جَبَّ للعامِ النَّحيسِ/ فَإنَّ الحبَّ للسُّعداءِ هَدْيٌ/ كَما الشَّنَآنَ ذُرواتُ التَّعيسِ/ فَصاحِبْ إنْ أَلِفْتَ ولَا تَغُلَّ/ وَكُنْ إلْفًا حَفيظًا للجَليسِ/ وَلَا يَنزِغْكَ شَنْءٌ أوْ عِتابٌ/ وَلَا تُبْدِلْ جَميلًا بالخَسيسِ/ لَعمرُكَ عَيشُكَ بالحبِّ مُنْدٍ/ عطاءً شَافِيًا لكَ كالقَليسِ

يتملّكُ القارئَ عندَ سياحَتهِ في مساراتِ القصِّ لدى أديبنَا العادلِ شعورٌ أنّه يسير ضمنَ تجربةٍ قصصيّةٍ، تقومُ أساسًا على رصد الواقعِ بِشَاكلةٍ، تستثمرُ المواقفَ الإنسانيّةَ الّتي يلتقيها القارئُ في وجدانهِ عميقًا، فيجدُ نفسَهُ متماهيًا معَ الآخرِ، أو مُنكِرًا ذاتَهُ وَشفيقًا، وما ذاكَ إلّا غيضٌ مِن فيوضاتِ وَحدةِ التّأثيرِ الّتي تنضويها الحَبكةُ المُحكمةُ في النّصِّ، إذْ يرافقُ ذلكَ شعورٌ قرائيٌّ يهيمنُ عليهِ، فيخضِعُهُ لقراءةٍ مغايرةٍ، تكاشفُهُ فيهَا لُغةٌ جديدةٌ وأساليبُ حديثةٌ وتِقنيّةٌ عاليةٌ في مناحِي السّردِ والانطواءِ في الواقعِ.

يمكنُ القولُ إنَّ الكاتبَ يعتمدُ التّعاملَ معَ اللّغةِ بطريقةٍ فريدةٍ تذهلُ القارئَ وتصفعُهُ مرّاتٍ بأكفِّ العِباراتِ والألفاظِ المَحشودةِ بإحكامٍ جميلٍ، فتوقِظُ فيهِ إحساسًا يُعيدُ للكلماتِ والسّياقِ أثرَهُما في نفسِ القارئِ وسلوكهِ، فتثيرُهُ رغمَ بساطتها، وَتثُورُ بِهِ رغمَ

سُكونِها على واقعٍ ينبغي تغييرُهُ، كيْ تنطلقَ الرّصاصةُ الأخيرةُ، وتعلنَ موتَ الموتِ وبعثَ الحياةِ المنشودةِ في مجتمعٍ يَموتُ الحبُّ والسّلامُ وتُغتالُ الكرامةُ والمروءةُ فيهِ مع كلِّ صُبحٍ يتنفَّسْ. أشكركمْ جَزلًا وأدينُ لصبركمْ فَضْلاً.

جاء في كلمة المحامي حسن عبادي: تسعدُني المشاركة في هذه الأمسية الثقافيّة المميّزة للأديب عادل سالم، من على منصّة نادي حيفا الثقافيّ الذي تأسّس قبل حوالي خمسة أعوام، برعاية المجلس الملّيّ الأرثوذكسيّ الوطنيّ في حيفا، وبتركيز زميلي وأخي المحامي فؤاد نقارة، وقد بدأت الفكرة لمنتدى ثقافيّ لقراءة كتاب بالشهر، بعرافة الأديب الأستاذ فتحي فوراني، فقمنا حتى اليوم بقراءة ما يقارب الخمسين كتابًا، وتطوّرت لعقد أمسيات ثقافيّة لإشهار كتاب أو تكريم أديب، وأقمنا ما يزيد على المائة أمسية ثقافيّة، ومن ثمّ قمنا بإحياء منبر فصليٍّ للشعر (سوق عكاظ الحيفاويّ)، ليكون منبرًا شعريًا ومنصّة لشعرائنا، مَن أصدرَ منهم ديوانًا أو لم يصدر، واللقاء الثاني سيعقد يوم الخميس ٢٩ تشرين الأوّل من هذا العام ٢٠٠٥.

نحن اليوم بصدد تكريم الأديب عادل سالم، وهو بيننا حيٌّ يُرزَق بأوج عطائه، ونتمنّى لك العمر المديد والعطاء المزيد، فتكريم الأحياء في حياتهم أبلغ منه بعد وفاتهم، لكن هذا هو العرف الذي جرى بيننا، حتى عبّر الشاعر الفخر الرازي عن ذلك بقوله: والمرء ما دام حيا يُستهان به/ ويعظم الرزء فيه حين يفتقد.

يأتي هذا التكريم للأحياء في حدّه الأدنى بالثناء العاطر والتوثيق، فالتوثيق هو أدنى مَراتب التكريم، وإن كان عندي أعلاها، لأنّه هو الذي يبقى، فمؤسّساتنا الثقافيّة تُكرّم مبدعينا بعد أن يكرّمهم التراب!؟ هنا احتفاليّة بذكرى رحيل فنان، وهناك تكريم لراحل ملأ الأرض والسماء شعرًا وجمالًا وبياضًا، وهي بلا شكّ لفتات جميلة، لمَن أفنَوْا حياتهم في سبيل الفن والإبداع شعرًا ونثرًا، مسرحًا وموسيقا، ولكن المؤلم أن نحتفي

بهم أمواتا بعد تهميشهم أحياء، وكما يقول المثل الجزائري: عندما كان حيًّا كان يشتاق إلى ثمرة، وعندما مات غرسوا نخلة جنب قبره .

عادل كتب ديوانين شعريين؛ عاشق الأرض، ونداء من وراء القضبان. وانتقل ليكتب الرواية؛ قبلة الوداع الأخير، وعناق الأصابع، وعاشق على أسوار القدس، ومن ثمّ القصّة القصيرة؛ يحكون في بلادنا، وليش ليش يا جارة، ويوم ماطر في منيابوليس، ولعيون الكرت الأخضر. كما كتب عادل الدّراسات؛ أسرانا خلف القضبان، والطبقة العاملة الفلسطينيّة والحركة النقابيّة في الضفّة والقطاع من عام (١٩٦٧) إلى (١٩٨٧). وكتب المقالة الحرّة؛ نظرة على واقع العمّال العرب في إسرائيل ١٩٩٦، وظاهرة العملاء العرب ١٩٩٧، التي كسرت التابوات، وأثارت الجدل على الساحة المَحلّيّة، وأسّس (ديوان العرب)؛ موقعًا أدبيًّا في الشبكة العنكبوتيّة، أحد أهمّ المواقع البارزة في ساحة الإبداع العربيّ، وهو من روّاد أدب المهجر الحديث.

تميّز أدب المهجر القديم بالحنين والشعر الوطنيّ والتأمّل الحائر: التأمّل في النفس وخباياها وحقائقها، وفي الطبيعة وما ورائها، والحياة وأسرارها، والوجود وألغازه، والفناء والخلود، والجديد في هذا الطابع عندهم هو غلبته عليهم، واستغراقه لعقولهم وأفكارهم وكثرته في أدبهم، وعرضه بشكل جديد وأسلوب وصياغة رائعين، وقد كان لاغترابهم وحنينهم واصطدام روحيّتهم الشرقيّة بمادة الغرب أثرًا كبيرًا، فيما تولّد في نفوسهم من قلق روحيّ وحيرة نفسيّة، حيث دفعهم ذلك إلى هذا التأمّل في الحياة والوجود، كما جعلهم يهربون إلى الطبيعة ويلوذون بأحضانها.

أمّا أدب المهجر الحديث فيتميّز بتصوير الواقع الجديد بتحدّياته الصعبة، ورؤية الغرب والمهجر بمنظار شرقيّ (نوستالجي): ليش احنا مش هون/ هناك والمفارقة بين الحياتين والوضعين، والتخبّطات وضياع البوصلة، كما نرى في (يوم ماطر في منيابوليس)، أو (لعيون الكرت الأخضر)، فيقول: سامحني يا ولدي/ أولادي الأعزاء، أحبائي/ إذا رن جرس الهاتف يوما، وكان على الخط الآخر صديق ينعي لكم أباكم في الغربة، فلا تحزنوا، ولا تبتئسوا. لا تشغلوا أنفسكم كثيرا بقبري، وأين سأدفن فكل القبور بعد الممات أوطان متشابهة، ولا يهم أين ترقد جثتي، لأن روحي ستلحق بكم أينما كنتم، لتدفع عنكم شرور هذا العالم المتحضر المؤمن بالحروب الحضارية، بعدما

فشلتُ حيا في تأمين الحياة الكريمة لكم كما كنت أحلمها، وأراكم من خلالها. سامحوني، فلم أكن أعلم أنه حتى الأحلام الصغيرة أحيانا لا يستطيع الإنسان أن يترجمها إلى حقيقة. لم أكن أعلم أن الرياح تجري بعكس رغبة القوارب الصغيرة التي إن ابتعدت كثيرا عن الشاطئ، وضاعت في عرض البحر. كنت أعتقد أن من يجيد السباحة لا يخاف الماء، لكن لم أحسب حساب الأمواج العاتية، ولم أعرف من قبل أن البحر يثور بغير ميعاد، فيفتك بضيوفه، ومحبيه بدون رحمة. فسمك القرش يهاجم الشواطئ الهادئة، فيفتك بالمستحمين الأبرياء ويجعل نهارهم ليلا حالك السواد.

ولدي الحبيب، نور عيني، ها هي آلة الأورغ جالسة وحدها فوق قاعدتها السوداء، لا تجد في البيت من يعزف عليها لأن أصابع يديك غابت عنها، لم أتوقع أن يأتي يوم لا أجد مكانا لآلة عودك في السيارة التي نقلتني من ولاية إلى أخرى، فأهبه لصديق يزين فيه بيته، بعدما كان ينتظرك لتعزف عليه لحن الوفاء لأبيك الذي بالغ في أحلامه في هذه الدنيا. ممنوع أن نحلم في هذا العالم الذي تسيطر عليه المصالح، والعلاقات التجارية، ممنوع أن نطلق العنان لخيالنا، لأن خيال الشعراء غير مرغوب فيه في عالم المال والحروب، لأن القائمين عليها حولوا كل شيء إلى سلعة تباع وتشترى، حتى الشعر والموسيقى والأدب، والفن والحب، فماذا تركوا لنا؟ يريدون تحريم الحب والأحلام والأماني. لا أريدك أن تنسى، إذا أتاك من ينعاني فلا تحمل عليه، ولا تحمله إثم نقل الخبر. ولا تزعل علي لأنني لم أترك لك أو لأخيك أي ميراث يساعدك في هذه الحياة، المليئة بالأخطار والمفاجآت المرعبة حتى يشتد عودك. لا تغضب لأنني لم أترك لك بيتا جميلا تسكن فيه مع أمك وأخويك، أو سيارة تنقلك إلى المدرسة. فقد تركت بدلا من ذلك الكثير من الهموم والمشاكل، والديون. وتركت لك بعض الأشعار لعلك إن كبرت تقرأها، وتغنيها بصوتك الجميل كما كنت تغني لي بابا فين. هل يكفي ما طبعته على خديك من قبلات منذ ولادتك حتى يوم وداعك؟ إن جاءك الناعي ولم ترني، فلن أكون بعيدا عنك. ستلاحقك روحي أينما كنت، ستسهر على راحتك، ستغني لك في أحلامك عندما تنام، أتذكر عندما كنت تنام على صدر أبيك أو أمك؟ ستبعد روحي عنك الأشباح المزعجة، ستقيك روحي حر شمس تموز عندما تلعب مع اخوتك في شوارع القدس العتيقة، ستكون روحي ظلك الذي لا يفارقك، ستصلي لك وتأخذ بيديك لعلها تساعدك في تحقيق أحلامك الصغيرة. لا تلمني على ما سهوت عنه، ولا على ما أخطأته، لعل

حبي لك الواسع سعة هذا الكون يغفر لي، ولعلي أحظى ببعض حبك، فلن أزاحم أمك على كل الحب. ولعلك تحتفظ بخيالك الطفولي، بصورة والدك وهو يكيل لك القبلات بغير حساب. لا تقلق بصورة أبيك أيام الشباب، فلم تكن موجودا آنذاك، كنت ترفض المجيء، وتركتني أنتظرك عشرين عاما على أحر من الجمر، وعندما شرفتنا استقبلناك بالدموع، والفرح أفلا تغفر تلك الدموع لأبيك بعض تقصيره بحقك؟

الأولى من اليمين الشاعرة ليليان بشارة، ثم زوجة الدكتور حسن عبادي، والرابعة الأستاذة سوزان نقارة، ثم عادل سالم، والشاعر حنا أبو حنا، والشاعرة آمال عواد رضوان، والكاتبة هيام أبو الزلف

الصورة الأولى مع الشاعرة آمال عواد رضوان وأنا أقدم لها درع ديوان العرب، وفي الصورة السفلى أنا مع الأديب الراحل سلمان ناطور، والشاعرة فاتن مصاروة.

عادل سالم

في الميزان

كلمات نقدية، وآراء في كتابات عادل سالم

نبض مقدسي

في رواية (عناق الأصابع) للصديق الأديب عادل سالم، لمست جدران القدس التي أعرفها

الأديب: عدنان كنفاني
كانون الأول ٢٠١٠

في معرض بحثي عن الرواية المقدسية، التي تتحدث عن القدس، تأريخاً وتوثيقاً، رائحةً وفضاء، حواري وذاكرة، أوابد وبشر.. رواية مقدسية، ليس من أجل تطلّع إقليمي ضيّق، بل لأنها القدس، المنارة التي تدلّ على فلسطين، كلّ فلسطين، ولأنها المستهدفة، كانت عبر غزوات متلاحقة من أممّ طامعة، وما زالت مستهدفة بضراوة أعنف لطمس معالمها، وشواهد انتماء الفلسطينيين إليها.

كانت المناسبة احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية في حينه، بحثت كثيراً في بطون الكتب، ودهشت عندما لم أجد غير النذر اليسير جداً في روايات تناولت القدس في أحداثها وشخوصها ومعالمها، وكي أكون منصفاً أقول، بأن هناك روايات كثيرة تحدثت، عبوراً أو ملامسةً، عن القدس دون الدخول في صلب حِراكها.

في رواية عناق الأصابع للصديق الأديب عادل سالم، لمست جدران القدس التي أعرفها، شممت روائح أسواقها، وطربت على تلك اللكنة المقدسية المحببة التي شَدَتْ من وراء السطور.

وإذا خرجنا من إطار التقويم الفني الذي أتقن الصنع والبناء، وابتعدنا عن صفاء اللغة المتماسكة المتينة، وجانبنا تراكيب الصور الأخّاذة، وقفزنا عن رشاقة الحوار، لا بد أن نقف طويلاً أمام رهافة الحسّ، وأمام نبض العشق، وتلك العلاقة، التي تكاد تتماهى مع ألَقِها الفني كرواية تنتمي إلى جنس النثر، وكاتبها العاشق حتى نخاع العظم حتى وهو يتلوّى حزناً وقهراً، وحتى وهو يلامس ألم الأسير، وبرودة القضبان، وعيون الآسرين الشامتة، ليخلق من هذه المضادات العجيبة خشبة مسرحٍ فرش عليها القدس ونساءها ورجالها وفتيانها، ورشق فوقهم ملاءات حب وفداء، فلم يتحركوا وحدهم على أرض المسرح الحيّ، بل أخذونا كي نعاني من الحراك ذاته، وندخل إلى فضاء المشاهد،

شخوصاً نتحدث دون أن نحمل بين أيدينا نصّاً مكتوباً، وكأننا نحن جميعاً مأسورين في الدائرة ذاتها.

أخي عادل سالم.. بحثتُ، فلم أجد مفردةً تعبّر عن سعادتي بروايتك، لكنني على يقين أن "عناق الأصابع" حفرت منحىً جديداً وحديثاً في مسار الرواية الفلسطينية الملتزمة والمقاومة، ودَخلت بقوّة إلى عمق معاناتنا الإنسانية، وأضاءت بشفافية على القدس وناسها الأسرى، وأرست فينا ذلك اليقين الذي لم يغبْ عن أحاسيسنا لحظة، بأن كلّ الغزاة الذين مرّوا على القدس، ذهبوا.. وبقيت القدس، وسيذهب الغزاة الجدد أيضاً.. وستبقى القدس.

قصائد الحب في (عناق الأصابع)

الرواية الأولى التي تعاملت مع الأسير الفلسطيني كإنسان أولا

المحامي الكاتب: محمد عليان
كانون ثاني ٢٠١٢

في روايته «عناق الأصابع» ينكأ الكاتب عادل سالم جروحنا التي اعتقدنا خطأ أنها اندملت ويثير فينا الأحاسيس، والمشاعر التي كانت حبيسة، ويرسم لنا بريشة فنان الحلم الوردي الذي كان يراودنا في ليلنا ونهارنا، نفرح له ونستلذ به وتختلج له شغاف قلوبنا .. الحلم بزوجة تعانقها، وأم تدفن رأسك بصدرها، ووطن يسكنك ويحميك.

في «عناق الأصابع» تكتسي التجربة طابعها الإنساني ويظهر الحب كمحفز أساسي للصمود، ومصدر ملهم للقوة، والعنفوان، وعنوان للحلم، وهدف يستحق الحياة . وكانت خولة شاهين المرأة التي ترتسم على شفتي علي النجار حتى وهو يتعرض إلى القسوة والتعذيب، والعبق الذي يفوح في أجواء الزنزانة النتة العفنة والأمل الذي لم يدع مكانا لليأس والقنوط في قلب الاسير الذي امضى عقودا من الزمان في الظلمة الحالكة.

ربما تكون «عناق الأصابع» هي الرواية الاولى التي تحطم القيود أمام الحب وتظهره باسمى تجلياته، وهي لذلك تكون الرواية الأولى التي تعاملت مع الأسير الفلسطيني كإنسان أولا وقبل كل شيء، إنسان يحب ويكره، يحزن ويفرح، يبكي ويتأوه، إنسان يحتاج إلى الحب مثلما يحتاج إلى الغذاء، ومثلما يتوق إلى الحرية، وكان الحب الذي منحه الكاتب لعلي النجار، الشخصية الرئيسة في الرواية، حبا سخيا، صادقا، لا يعرف الحدود ولا القيود، تخطى السجن، والسجان واخترق فتحات (الشبك)، وسكن الروح واستوطن في القلب، وارتفع بعلي إلى أسمى درجات الإنسانية، والرقي، وجعل منه القائد الإنسان الذي يقاتل دون هوادة، ولا يتنازل عن قضيته، وكرامته، ولم يهزمه السجن، والسجان وكلما مر الوقت كلما كبر الحب وتفولذت عزيمته.

وإذا كان حب خولة يشكل مصدرا ملهما لصمود علي في الأسر فان حب الأم، والاب، والأخ، والأخت، والصديق والقريب، والبعيد للأسير والحركة الأسيرة كان أحد أهم

مصادر صمود الاسرى وانتصاراتهم على السجن والسجان. لقد وثق الكاتب مرحلة تاريخية كان فيها التعاطف، والتضامن مع الحركة الأسيرة لا يقتصر فقط على زوجات وأمهات وأبناء الأسرى بل يشمل كافة الفئات الشعبية في الوطن، والخارج شيبة وشبانا، أطفالا ونساءا، فقد غمرت الجماهير االحركة الأسيرة بالحب، والتعاطف، والتضامن الفعلي، ونظمت الفعاليات، والمظاهرات، والاعتصامات التضامنية وشكلت بعدا رئيسا في نضال الحركة الاسيرة.

أما مصدر الحب الأهم في عناق الأصابع فهو العلاقة الإنسانية الوشيجة التي يتميز بها الأسرى فيما بينهم، لقد أبدع الكاتب في التركيز على تفاصيل دقيقة للحياة الداخلية في الأسر يظهر في الحب الصادق، والاخوة المتينة، والتفاني، والتضامن، وحب الجماعة، والتضحية من اجل الآخر. هناك في الأسر، حيث الحرمان والقهر، يفرح الأسير لفرح رفيقه، ويحزن لحزنه ويشاركه لباسه وطعامه، هويسهر على راحته ويداوي مرضه، ويقاسمه لقمة الخبز، و «حبة التين». هذا الحب لا يميز بين الأبيض والاسود، بين الغني والفقير، بين المتعلم والجاهل، بل يخترق كل الفوارق الطبقية والتنظيمية، ويضع الجميع في خندق واحد.

وربما يكون الكاتب قد أدرك أن علي النجار الذي أمضى «٣٨» عاما وهو ينعم بهذا القدر من الحب، لا يستطيع أن يتأقلم ويتكيف في واقع حياتي تغلب عليه الأنانية والسعي وراء المصالح الشخصية والزيف، والنفاق لذلك أغدق عليه بمزيد من الحب، وجعله ضحية عملية اغتيال إسرائيلية بعد أسبوع فقط من الأفراج عنه كي يسقط شهيدا ويفارق هذه الحياة قبل أن تتلوث روحه.

عناق الأصابع ليست رواية، بل قصائد حب خالدة، سنغنيها نحن، والأجيال القادمة على ألحان الوجع والالم.

إضافة نوعية للمشهد الروائي الفلسطيني

الناقد د. بوشعيب الساوري:
تموز، يوليو (٢٠١٠)

تشكل رواية «عناق الأصابع» إضافة نوعية للمشهد الروائي الفلسطيني، لعدة اعتبارات:

الأول: بتوثيقها السردي لذاكرة الأسرى، والشهداء، وتخييلها لفترة مضيئة من تاريخ النضال الفلسطيني ألا وهي الانتفاضة الأولى في الثمانينيات من القرن العشرين. وإدانتها لما تبعها من مسلسل التطبيع، وما شهده من تنازلات.

الثاني: رواية تمجد روح النضال، وتعلي من شأن قيم الحب، والإخلاص للقضية وتبخس الخيانة، والتفكك الفلسطيني الداخلي، وتبقي على أمل التحرير.

الثالث: وهو مما يحسب للرواية، أن أحداثها تدور بمدينة القدس، وبذلك تكون «عناق الأصابع» من الروايات العربية القليلة التي جعلت المدينة المقدسة مسرحًا لأحداثها. إذ تعيد الرواية ترميم المدينة تخييليًا، كشكل من أشكال المقاومة التي يطلع بها السرد الروائي، لما يحدث من تهويد للمدينة.

الرابع: الرواية تخييل تاريخي استطاع تطويع الجانب التوثيقي وصهره في السرد الروائي، إذ استطاع الروائي أن يلبسه لبوسًا إنسانيًا يلتقط أنفاس الشخصية، ومشاعرها، وما يعتمل داخلها في إطار تفاعلها مع ما يجري من أحداث وتحولات.

الخامس: ترصد رواية «عناق الأصابع» تحول القناعات والشعارات، وانهيار الإيديولوجيات، في صفوف المناضلين، وتبرز انعكاساتها على القضية الفلسطينية.

السادس: تجعل من قضية الأسرى بؤرتها السردية عبر تجسير سردي محكم بين السجون، وبيوت الأهالي، بين الأسرى، وبين ذويهم، خصوصا النساء منهم، وهو ما جعل الرواية تنشد إلى قضية المرأة الفلسطينية سواء في جانبها الإنساني العام، أو الخاص ودورها في النضال الفلسطيني.

السابع: أحسن الكاتب عادل سالم في سبك روايته في قالب سردي استطاع سبر أغوار نفوس شخصياته الروائية، على الرغم من إسناد السرد إلى راوٍ عليم، فإنه كان يسمح للشخصيات أثناء المونولوج والمشاهد الحوارية التي خلقت توازنًا مع المقاطع السردية، بالتعبير عما يعتمل داخلها، وفي كل حالاتها، في فرحها وآلامها وتعذيبها وتغير قناعاتها ومقاومتها للعدو بكل ما تملك من قوة.

(عناق الأصابع) لعادل سالم
عناق التوثيق، والخيال الأدبي

إبراهيم جوهر
كانون ثاني ٢٠١٢

يقدّم الكاتب عادل سالم في روايته (عناق الاصابع) توثيقا للحركة الفلسطينية الأسيرة معدّدا أسماء أبطالها الذين ذاقوا مرارة الاعتقال فصمدوا من أجل الاعتراف بهم كأسرى حرب وفق القانون الدولي. ويتطرق بإسهاب إلى تجربة معركة الأمعاء الخاوية وشهدائها، منتقدا في مقارنة فنية لافتة التغيّر الحاصل على القناعات الفكرية والوطنية، في شخصياته التي أنطقها مستعينا بخيال أدبي وفّر له التشويق والمتعة بعيدا عن فخ التوثيق الهادئ، رغم حرارة التجربة الاعتقالية المعبّر عنها.

زاوج الكاتب في روايته بين الوثيقة التاريخية للمرحلة الاعتقالية، وقصة حب جارف غريب بين الفتاة خولة، والأسير علي النجار. تلك التجربة التي تتكلل بالزواج في المعتقل انتظارا لإتمامه حين الخروج إلى بر الحرية. وهو يشير في أكثر من موضع في الرواية إلى الروح المعنوية العالية الواثقة بأن الثورة لن تترك مناضليها في السجون، ولن تتخلى عنهم ...ليبدأ بتوجيه الانتقاد إلى الصفقات التي استثنتهم فعلا، وصولا إلى اتفاق أوسلو. لتكون واقعة الاغتيال بصاروخ استهدف سيارة الزفاف، نهاية مأساوية لقصة عشق وانتظار فلسطينية، كان مهد لها الكاتب في ثنايا الرواية التي لم توفّر للعاشقين الغريبين(!!) فرصة اكتمال اللقاء، أو الحديث إذ كان الجندي ينهي الزيارة لتبقى الأحلام معلقة في الخيال.

(عناق الأصابع) إشارة إلى الشبك الفاصل بين المعتقل، وذويه وقت الزيارة، هذا الشبك ذاته شهد عناق أصابع المحبين، والآباء والأمهات، ولم يكن مهيّأ ليشفي الغليل بقدر تخصيصه للتنغيص وإشعار المعتقل بواقعه الصادم.

يسجّل للرواية موقفها من المرأة، فقد انتصر الكاتب للمرأة؛ أما، وعشيقة، وأختا، وزوجة، وطالبة، وأوما إلى ضرورة منحها حقها في الحياة والمساواة بلا تفريق مع الذكر.

وانتقد الكاتب التغيّر الحاصل على معتقدات اليساريين في المجتمع الذين يتخلون عن مبادئهم، ورؤاهم وأحلامهم التي بشروا بها لصالح التوجه إلى الكسب المادي، وكأنه يقارن بين المادة، والفكر لصالح الفكر، لأننا وجدناه هازئا ولائما لمن يعجبون بالنقلة الجديدة تحت ذرائع التطور والتغيّر ...

هكذا تغيّر فلاديمير الروسي، وعمران الفلسطيني، والثوار الذين كانوا يعملون في الثورة قبل العودة إلى الوطن، وهكذا انهار الاتحاد السوفييتي نفسه.

(عناق الأصابع) رواية جريئة في طرح قضاياها، وانتقادها. وهي تضيف إلى الأدب الذي يوثق لتجربة الاعتقال بعدا مهما بأشخاصه، وأحداث، ومواقف أصحابه.
إنها تعانق التاريخ بالمتخيل الواقعي، لتكون الملحمة الفلسطينية التي لم تنته بعد.

ولعل مخرجا سينمائيا يختارها لإخراجها سينمائيا.
لقد أحسن الكاتب صنعا حين استعان بلغة المونولوج العاطفية لشخصياته، وفي استخدامه لتقنية المونتاج الفني، وفي نقل قارئه من أجواء السجن إلى البيوت وشوارع القدس ومستشفياتها، وصحفها.

لقد زاوج بين الواقع الذي يوثق له، والخيال الأدبي الذي يقول فيه رسالته: هذا هو العرس الفلسطيني الذي لا يلاقي فيه الحبيب حبيبه إلا شهيدا، أو أسيرا، كما قالها من قبل (أديب نحوي) في (العرس الفلسطيني).

(عناق الأصابع) اهتمت بالمرأة

الروائية: نسب أديب حسين
كانون ثاني ٢٠١٢

يأتينا الكاتب المقدسي عادل سالم بروايته الأولى بعد إصدارات سابقة في الشعر والقصص، والدراسات (عناق الأصابع) التي صدرت عن دار شمس المصرية. هذا الكاتب الذي وُلد عام (١٩٥٧) في البلدة القديمة في القدس وقضى ٣٣ شهراً في سجون الاحتلال، وخاض تجربة السجن، وتنقل بين العديد من السجون كسجن بئر السبع، ونفحة، والرملة، وغيرها.. قرر أن ينقل تجربة السجن بقالبٍ روائي، يتناول شخصيات حقيقية كعمر القاسم الذي لُقب بمانديلا العرب واستثنته عملية تبادل الأسرى عام (١٩٨٥)، قضى في سجون الاحتلال ٢١ عامًا حتى انتقل إلى جوار ربه شهيدا عام (١٩٨٩). وليتناول شخصية خيالية هي شخصية علي النجار ابن القدس الذي سُجن لمدة ٣٨ عامًا إلى أن أفرج عنه بتبادل الأسرى. هذا البطل الخيالي كان صديقًا لسجناء حقيقيين ذكرهم الكاتب مثل عطا القيمري، ومحمد عليان، وسمير قنطار، نقل الكاتب عن طريقه الكثير عن حياة السجن والسجناء. أما الحياة خارج السجن فكانت عن طريق عائلة عليّ ووالديه، وأخواته، وإخوته، وزوجته، خولة.

لقد صدرت العديد من الكتب التي تتطرق إلى السجن، والسجناء ومرارة التعذيب، لكن أحد ما يميز هذه الرواية عن غيرها هو القالب الروائي الذي يجعل القارئ أقرب إلى مفهوم السجن. الرواية تتطرق إلى وصف السجن مثل وصف سجن نفحة ص ٥٢ (غرفة صغيرة تكاد تتسع لهم للنوم بجانب بعضهم بعضا، الباب كله من الصفيح مغلق لا ترى منه شيئًا يوجد به شباك صغير يفتحه السجان من الخارج إن أراد شيئًا، لا يوجد لتهوية الغرفة سوى شباك واحد صغير في أعلى أحد الجدران، في آخر الغرفة توجد غرفة حمام واحد بدون ماء ساخن، وحنفية ماء داخل الغرفة..) في موقع آخر يزيد الكاتب في التفصيل ليقول أنّ الشباك الذي في باب الصفيح مساحته (٢٠ سم *٢٠سم) سم فيه ثلاث قضبان حديدية سمك كل واحد منها ٢ سم. نجد الكاتب مجتهدًا محاولا ألا تغفله غافلة، يصف السجن، والتقسيمات والإدارة في داخل السجن، والبرنامج اليومي للسجناء، دراستهم وكتاباتهم وتنظيمهم، كل هذا يساعد القارئ الجاهل لهذه

التفاصيل والذي لم يقف قريباً من تجربة من هذا النوع، في فهم هذا العالم.. عالم السجن، ليرى أنّ السجين لا يتوقف دوره في الحياة أو في النضال في السجن، بل هناك عالمٌ كامل ومجتمع يحيى في إطار هذا العالم الصغير الكبير، الذي قد تنحصر مساحته عملياً بمساحة الزنزانة، أو مبنى السجن، لكن أبعاده أكبر من هذا بكثير.

يحاول الكاتب أن يعطي كل ذي حق حقه، فنجده أحياناً يذكر أسماءَ الكثير من الاشخاص، والمؤسسات، كنوع من الشكر والاشارة، لكن هذا أبعده عن المجال الأدبي وأضعف الرواية. هذه الرواية قوية بأحداثها وبطرحها، أكثر من قوة نصها الأدبي. لغة الرواية بسيطة فيها الكثير من التفاصيل والجُمل التي لو حُذفت لكان النص أقوى.

فلك الرواية الزمني الذي يمتد من عام (١٩٧٨) حتى عام (٢٠٠٨)، امتلأ أحياناً بفجوات زمنية. فيجد القارئ نفسه منسجمًا مع أحداث الرواية الآنية ليجد نفسه فجأة على بُعد خمس أو عشر سنوات من هذا الحدث، مما يشعره بالارتباك. لقد أراد الكاتب بهذا أن يؤرخ ويسلط الضوء على أحداثٍ تاريخية مهمة على مدار ثلاثين عامًا كعملية تبادل للأسرى، أو إضراب عن الطعام، أو الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧. لكنه غفل عن أحداث أخرى لنكون في ص (٣١٨) في عام ١٩٩٣، ونجد أنفسنا فجأة ص ٣٢٢ في عام ٢٠٠٨، أي عبر الكاتب بُعدًا زمنيًا هو خمسة عشرة عامًا في أربع صفحات، بينما نالت الخمسة عشرة عامًا الأولى في حياة الرواية ٣١٧ صفحة، وهذا يُضعف النص الأدبي. وفيما يبدو أن الكاتب قد نال منه التعب وأراد أن ينتهي من هذا العمل فقرر أن يختصر، لكن في اعتقادي بأنه لو تريث وتوقف عند عام ١٩٩٣ لتكون الجزء الأول من الرواية ويستمر في الكتابة ليصدر الجزء الثاني عن الحقبة الزمنية التالية لكان العمل أنجح.

نقلت الرواية حياة السُجناء ببعدها الإنساني، فالكاتب لم يُصور السجين كبطل خارق يتحدى دائمًا كل الصعوبات، بل هو يحزن أحياناً، ويُصاب بالخذلان، ويشعر أحياناً باللاجدوى، كما أنه يفرح ويحلم بحياة أجمل حتى لو كان قد حُكم بالسجن المؤبد.

المرأة في الرواية

لقد اهتمت الرواية بالمرأة وتطرقت إلى ثلاث نساء، يمكنني أن أقول أنهن من أبطال الرواية:

أم سعيد، أم الأسير: هي أم الأسير علي النجار التي تمثل أم الأسرى جميعًا ولا تنفك مدة ٣٨ عامًا في التنقل من سجن إلى آخر مع تنقل ابنها علي، في البحث عنه وزيارته، والتفكير به، والافتخار به.. والحلم بأن تراه قبل أن تموت ص ٣٢٧. ويكون لها هذا حين يُفرج عن علي في عملية تبادل للأسرى، لكنها سرعان ما تفقده إذ يستشهد بسقوط صاروخ على سيارة تُقله لإحضار عروسه خولة عند معبر قلنديا. هذه الأم التي تخوض الإضراب عن الطعام تضامنًا معه ولا تنقطع عن زيارته كل أسبوعين طيلة مدة الأسر، تظهر كنموذج للأم الفلسطينية التي تقدم أبناءها للوطن. ونرى موقفًا للأم عند محاكمة الأسير عمر القاسم بعد أن نفذ حكم الإعدام بحق أحد الجواسيس، لينال مؤبدًا آخر إضافة إلى مؤبد و٢٧ عامًا قد حكم بها من قبل، لتقف الأم وتزغرد وسط القاعة صائحة (الله أكبر على الظالمين، الله يحميكم وينصركم) ص٢٦٦. تلك الأم التي لم تر ابنها إلا من خلف القضبان، ورأته بعد نحو عقدين دون قضبان في قاعة المحكمة حاولت الاقتراب منه، لكن الشرطي منعها، حاول المحامي التدخل طالبًا السماح للأم بالحديث معه لثوان، لكن مسؤول الوحدة رفض ذلك مدعيًا أن الأوامر لا تسمح له بذلك.

رحاب : شقيقة علي النجار، تسافر إلى روسيا لدراسة الصحافة وتقود مظاهرات داعمه للأسرى وفلسطين، تلتقي بشاب روسي يُدعى فلاديمير معنيّ بالقضية الفلسطينية. يُصارحها فلاديمير بحبه، وتجد نفسها واقعة في غرامه. يعرض الشاب عليها الزواج، ليقابلها رفض الأهل. شخصية رحاب المتمردة، لا تقتنع برفض الأهل وبتقاليد مجتمع لا يُعارض زواج الشاب من أجنبية فيما يمنع الفتاة من خطوة كهذه. تتزوج رحاب من فلاديمير زواجًا سريًا تنجبُ منه طفلا تُطلق عليه اسم أخيها علي، لكن بعد عام ينتهي الزواج والحب بالطلاق. وتعود رحاب إلى فلسطين ولا تُعلم والديها بالقصة. يقع شاب تقدمي صحفيّ يُدعى عمران بحب رحاب، ويُصر على الزواج منها، فتُعلمه بزواجها السابق ولا يعترض. ورغم ان عمران من دعاة تحرير المرأة وعملها، واستقلاليتها، وتقبله لطلاق رحاب، نجده بعد سنوات يطلب منها أن تترك عملها في الصحافة التي هي ناجحة فيها لتعتني بطفليها، فيما يتبوأ هو منصب رئيس تحرير صحيفة الفجر التي كانا يعملان بها.

تستلم رحاب بعد ستة أعوام من الزواج بعمران رسالة من فلاديمير (زوجها السابق)، يُعلمها فيها عن خيبته من الاشتراكية، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وقراره بالرحيل إلى أمريكا واستغنائه عن حضانة ابنها عليّ، وأنه لن يصحب الطفل معه إلى أمريكا بل سيتركه عند أمه العجوز. وهنا تحتار رحاب أمام تعنت زوجها الذي يرفض استقبال الطفل. يعلم أهلها بالموضوع عن طريق شقيقها سعيد فيموت والدها بسكتة قلبية، ولا

يساعدها أحد في الوصول إلى حل بشأن طفلها الروسي الذي سيبقى وحيداً. وعمران يخيرها بينهما، لنجد رحاب تترك عائلتها وتسافر إلى روسيا ومن ثم ألمانيا لتربي ابنها، ولا تعود إلى أرض الوطن الا بعد ١٦ عامًا بعد تحرر أخيها علي من السجن، والذي يُرحب بعودتها.

خولة: شابة صحفية تلتقي أم سعيد لتصحبها إلى السجن لزيارة علي وإجراء لقاءٍ صحفي معه. وهناك عند معانقة أصابع علي لأصابعها، تشعر بشعور غريب، لتجد أنها وقعت في حب علي. وتستمر زيارة خولة لعلي بمرافقة أمه ويتصارحان بشعورهما، وتقرر أن ترتبط بعلي رغم أنه محكوم بالسجن المؤبد. يوافق والداها على رغبتها، ويُعقد القران في السجن. وتبقى خولة العروس تحلم بعناق عريسها علي، وتحيا طيلة ٢٨ عامًا على أمل أن يُفرج عنه في صفقة تبادل. وفيما تجهز الملابس له وتحلم، تجد أن صفقة (١٩٨٥) لتبادل الأسرى تستثنيه. حتى يُفرج عنه عام (٢٠٠٨)، وتعانقه للمرة الأولى.

لكن فرحة خولة لم تكتمل وذلك عند استشهاد عليّ في يوم الزفاف بسقوط صاروخٍ على سيارة تُقله إلى الفرح. خولة هذه البطلة صاحبة الميزات الخارقة والتي يصعب أن تكون حقيقية، وبعد أن واكبت على زيارة علي مدة أسره ولم تتغيب إلا للضروريات، نجدها بعد موته تواكب على زيارة قبره كل صباح، وتأتي هنا نهاية الرواية في أن تصارح صديقه خليل الصباح الذي سافر إلى أستراليا، بهذه الزيارات، فيسألها إلى متى يا خولة؟ لتقول (إلى أن يعود ليأخذني معه).

عنوان الرواية عناق الأصابع:

إن عنوان الرواية يُقدم الرواية بأفضل تعبير ليختصر رسالة الرواية بكلمتين، في نقله البُعد الإنساني لحياة الأسير، هذا البُعد الذي ركز، واهتم الكاتب كثيراً بإبرازه أكثر حتى من الدور النضالي. ليقول الراوي ص٢٩ (اقتربت أمه بسرعه متلهفة لرؤيته سلمت عليه بأصابعها التي أدخلت بعضها خلال الشبك الحديدي، ما أروع أن تتعانق الأصابع بعد غيابٍ طويل، خارج القضبان ليس لها معنى، لكن للذين تفصل القضبان بينهم فللأصابع إحساس غريب، من خلالها يتصل الأسير بمن هم خلف القضبان، من خلالها يرتبط بالعالم الخارجي.)

ختامًا أعتقد أن الكاتب نجح في امتداد عناقٍ حميم ما بين أصابع القارئ، وأصابع الأسرى، في نقل عالمهم إلى مخيلة وروح القارئ، وبربطهما ببعض.

وثقت (عناق الأصابع) معاناة أسرانا

الأديبة الدكتورة: نجمة خليل حبيب
تموز، يوليو ٢٠١٠

بقالب روائي شيق، توثق رواية «عناق الأصابع» لمعاناة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. نتفاعل مع شخصياتها وكأنها تعيش بيننا، بتلقائية نحزن، ونغضب، ونفرح لحزنهم، وغضبهم، وفرحهم. نحزن لتعذيب علي الجعفري واستشهاده، نغضب لغضب عمر القاسم الذي استثناه أحمد جبريل من قائمة المفرج عنهم، ونفرح لعلاقة الحب الرومانسي الجميلة بين علي، وخولة، وينكسر فرحنا لانكسار قلبيهما...

ويكمن تميز الرواية في تخصيصها حيزاً واسعاً من السرد لدور المرأة في معركة النضال وضرورة احترام المجتمع لعواطفها وخياراتها.

إضافة نوعية للمكتبة العربية

الكاتب، والروائي: جميل السلحوت
كانون ثاني ٢٠١٢

عنوان الرواية: «عناق الأصابع» عنوان رواية عادل سالم عنوان مباشر، وفاضح للمحتل الإسرائيلي، الذي يحرم الأسرى وذويهم حتى من المصافحة والعناق أثناء الزيارة، وللتذكير فإن قوانين الاحتلال بخصوص زيارات الأسرى شهدت تطورات سلبية متوالية ضمن سياسة القمع المستمرة، فقبل شهر نيسان ١٩٦٩ كان الأسرى يصافحون زائريهم، ويجلسون قبالتهم على طاولة واحدة، يتناولون وجبة طعام مشتركة يحضرها الزائرون معهم من الخارج، وكان يسمح للزائرين بادخال سلة فواكه للأسير قد يصل وزنها إلى خمسة عشر كيلو غرام، ومنذ ذلك التاريخ منعوا إدخال وجبة الطعام، ومنذ منتصف سبعينات القرن الماضي منعوا لقاء الأسرى بزائريهم، ومنعوا المصافحة بينهم إلا من خلال شباك حديدية لا تسمح إلا بدخول الأصابع كل إصبع على حدة، فأصبحت المصافحة بالأصابع فقط، فلا يستطيع الأسير حتى احتضان طفله الرضيع، ولا يستطيع والدا الأسير احتضان ابنهم، كما منعوا إدخال الفواكه.

وفي أواخر ثمانينات القرن الماضي أيضا أصبحت الزيارة من خلف زجاج مقوى، وعبر سماعة هاتف تفتح بين الأسير وزائريه، يرون بعضهم البعض من خلال الزجاج الفاصل، ويتحدثون عبر الهاتف، ومنذ منتصف تسعينات القرن الماضي أيضا، لم يعد يسمح بزيارة الأسير إلا لأقربائه من الدرجة الأولى مثل (الوالدين والأبناء والأخوة والأخوات، والزوجة فقط) وفي المراحل كلها فان الزيارة لثلاثة أشخاص فقط، ومرة كل أسبوعين في الظروف العادية، وهناك ظروف قد تمنع زيارة السجناء كافة في سجن ما لمدة شهور، أو تمنع الزيارة كليا لأسرى العزل الانفرادي.

وواضح أن عادل سالم قد استوحى عنوان روايته من مرحلة سلام الأصابع عبر الشبك الحديدي الفاصل.

زمن الرواية: تمتد الرواية في فترة زمنية منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين، وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين.

مكان الرواية: تدور أحداث الرواية في مدينة القدس العربية المحتلة، وفي سجون الاحتلال التي يحتجز بها الأسرى ومنها (الرملة، عسقلان، نفحة، وشطة).

الرواية تسجيلية: الرواية التي بين أيدينا رواية تسجيلية واقعية، لا خيال فيها، وحتى الأسماء الواردة في الرواية هي أسماء حقيقية في غالبيتها العظمى، وما يدور في السجون المغلقة على الأسرى من إضراب عن الطعام، وسقوط شهداء ومرضى، ونضالات لتحقيق مكاسب، وتعذيب من قبل السجانين، وتحقيق الأسرى مع بعض المتساقطين، وإعدام بعضهم، وخلافات عقائدية بين الأسرى أنفسهم، هي حوادث حقيقية، وواقعية حتى النخاع، وبالأسماء الحقيقية لشخوصها...حتى أن الكاتب سجل التاريخ الحقيقي للحوادث مثل اضراب سجن نفحة الشهير في تموز ١٩٨٠ والذي استمر لثلاثة وثلاثين يوما، سقط فيه إلى قمة المجد الشهيدان باسم حلاوة وعلي الجعفري، وما تبع ذلك من استشهاد القائد عمر القاسم، وإسحق موسى المراغي «أبو جمال»....وكذلك صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٥، وصفقة تحرير أسرى بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، واستثناء بعض المناضلين من أمثال عمر القاسم وغيره، كلها أمور حدثت على أرض الواقع.

شروط فنية: يبدو أن تركيز الكاتب على السرد التسجيلي لما يدور في أقبية السجون، ومعاناة الأسرى وذويهم، قد أوقعه في كتابة التقارير الصحفية، والحكاية أكثر من كتابة الرواية، وهذا ما يطغى على أسلوب النص السردي.

المرأة: ظهر في الرواية أن الكاتب ركز على الدور التحرري للمرأة الفلسطينية، فخولة شاهين كتبت عقد زواجها على علي النجار المحكوم مدى الحياة، وانتظرته حتى تحرر في صفقة بعد ثمان وعشرين سنة، ومع ذلك فقد استشهد يوم حفلة عرسهما دون أن تزف إليه، وكانت راضية بقدرها.

ورحاب شقيقة علي سافرت إلى موسكو طلبا للعلم وهناك أحبت شابا روسيا وتزوجته، وأنجبت منه طفلا، ثم تطلقت منه، وعادت إلى القدس تاركة ابنها في حضانة والده، وعملت في مجال الصحافة وتزوجت زميلا لها، بعد أن كاشفته بزواجها الأول، ولم يعترض على ذلك، وأنجبت منه، ولما عرض عليها طليقها الروسي أن تأخذ ابنها

منه ليكون في رعايتها بعد أن قرر الهجرة إلى أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، عارض زوجها الفلسطيني ذلك، لكنها تحدته وسافرت لاحتضان ابنها، بعد أن انكشف سرها لعائلتها التي تقبلت ذلك على مضض، ليتبين لاحقا أنها سافرت وإياه للعمل في ألمانيا، ولتعود إلى القدس للمشاركة في زفاف شقيقها علي الذي تحرر من السجن، لكنه يستشهد يوم زفافه وقبل أن تراه.
ونضال الأمهات والزوجات في زيارة أبنائهن وأزواجهن، ومشاركتهن في الاعتصامات والتظاهرات التضامنية مع الأسرى كلها أمور كان لها نصيب بيّن في الرواية.

وماذا بعد: تشكل هذه الرواية إضافة نوعية للمكتبة العربية عن معاناة الأسرى الفلسطينيين، والعرب في سجون الاحتلال الاسرائيلي، والكتابة عنها لا يغني عن قراءتها، فالتجربة النضالية للأسرى فيها الكثير مما يحتاج إلى الكتابة، والنشر والتعميم.

اشتباك بالواقع عبر الشكل الروائي

الدكتور أحمد الخميسي
تموز ٢٠١٠

بدأ عادل سالم طريقه الأدبي بالقصة القصيرة فقدم عالما مهموما بقضايا الوطن

الفلسطيني، والغربة. والآن ينتقل الكاتب إلى الرواية دون أن تغادره الهموم المؤرقة ذاتها.
ومع أن تلك روايته الأولى إلا أن القارئ سيجد فيها الكثير من قدرة الكاتب المبدع على الاشتباك بالواقع عبر الشكل الروائي، ومن قدرته أيضا على التحليق بالأحلام.
وفي كل ذلك يلاحق الروائي قدره، وطنه الفلسطيني.

(عناق الأصابع) قصة عشق تعدت حد الجنون

مريانا عفيف
كانون ثاني ٢٠١٢

«عناق الأصابع» يا له من اسم يعبر عما يحويه الكتاب .. مأخوذ من تعانق أصابع الأسرى، وأصابع أهاليهم، فتلك التحايا وتلامس أيديهم المفعمة بالحب، كانت من خلال فتحات الشبك الصغيرة التي تفصل بين الزوار و الأسرى و تمنعهم من «عناق الأجساد».

«عناق الأصابع» رواية أحضرت القليل من معاناة الأسرى إلى مخيلة قارئها .. تثير الحقد فيه، والفخر بأبناء شعبه ... ترصد أحزانهم مشاكلهم مصادر إلهامهم بالصمود وعلاقاتهم الغرامية، والإنسانية ... تنقل لنا كيفية متابعة العدو الشرس لأوضاع الأسرى، ودس الجواسيس بينهم، وكيفيه معاملة الأسرى للجاسوس عند اكتشافه ... تحملك إلى عالمهم إلى قلب الحدث ووسط الزنزانة ... لترى كم من عمر أفنوه خلف قضبان الظلام ... تراهم يحسبون الدقائق والثواني والأيام ... أو تأخذهم الآلام لعالم الاستشهاد .... يموتون كما (تموت الأشجار واقفة).

يملأونك بالأمل ... فهم مصدر أمل .. شعارهم الأمل ... فذلك الأمل لن يفقدوه فهو مفتاح العودة إلى المنزل وتقبيل جبين الأرض ... ومداعبة أغصان الزيتون.
روى لنا فيها قصة عشق «أعجتني» راقت لي... استمتعت بها كثيرا ...

فقد روى لنا بروح متفائله قصة عشق تعدت حدود الجنون .. أصبحت مثلا للتضحية والفداء، فعلي النجار أسير وشم النضال على جبينه ... عاش في السجن في غرف التحقيق، والمحاكم ...و «خولة شاهين» المرأة الجبارة التي لم تتخلّ عن تراب الأرض .. تلك هي الصحفية العظيمة ...

أوقعت شباك الحب هذين العصفورين، وحملتهم فوق غيوم الأمل ... تزوجا رغم قسوة القيد ... و حُكم علي بالمؤبد ... باتا يحلمان بيوم التحرير.

أصبحت خوله حمامة بيضاء تطير من سجن لآخر حتى تصب حبها بلسمه .. بعناق لأصابعهما ... تصف عشقها حبها أملها في دقائق معدودة تجري بسرعة الرياح ...لتنتهي معاناتها يوم تبادل الأسرى ..و تبدأ من جديد عند اغتياله يوم زفافه ..

فسحقا للاحتلال.

بعيدا عن عالمهم وبغض النظر ...

فقد استخدم الكاتب أسلوبا سرديا سلسا يسهل للجميع فهمه .. مجّد النضال فيه وأعطى كل شخصية حقها في كتابه ... احتوى على أسماء وأحداث حقيقية .... رواية رائعة بالنسبة لي ... أخذتني إلى عالم النضال وتقديس كل شبر في الأرض .....

رغم تلك الآلآم، والمآسي .. أظن أن السجن للرجال، والأبطال ... و رغم مرارة الذكرى ... فتلك هي الذكريات التي يجب أن يفخر بها السجين فيكفيه شرف المحاولة بالسجن ....

لغة الرواية سهلة، سلسة، جميلة رائعة

الأستاذ موسى أبو دويح
كانون ثاني ٢٠١٢

استمدّ الكاتب عنوان روايته: (عناق الأصابع) من واقع السجون اليوم، حيث كان قديمًا

زوّار السجون يدخلون إلى غرف السجناء أثناء الزيارة ويقضون وقت الزيارة معهم وبينهم. وبعدها فصلوا بين السجناء، والزوّار بقضبان حديدية يمدّ الزائر يده خلالها ويصافح السجي،ن وبإمكانه أن يقبّله للمسافة الواسعة بين القضبان. ثم ضيقوا المسافات وجعلوا الفاصل شبكًا حديديًا بإمكان الزائر أن يدخل إصبعه فقط من الفتحة، وغالبًا لا يستطيع إدخال إصبع الإبهام لصغر الفتحة. واليوم استعاضوا عن كلّ ذلك في كثير من السجون الحديثة بحاجز زجاجي سميك بين السجين وزائره، ويتخاطبان بجهاز تلفون عند الزائر وآخر عند السجين.

أهدى الرواية إلى معلميه في المدارس الابتدائيّة والإعداديّة والثانويّة، وذكر أسماء تسعة وعشرين معلّمًا منهم، هم من تذكّرهم، واعتذر لمن نسيهم.

وختم روايته بعنوان: قالوا في الرواية: بدأها بتقريظ للدكتور (بوشعيب الساوريّ)، ناقد أدبيّ من المغرب، بعنوان: عناق الأصابع إضافة نوعيّة للمشهد الروائي الفلسطينيّ. وثنّى بموضوع للدكتورة الفلسطينيّة (نجمة حبيب خليل) من جامعة سدني/ أستراليا بعنوان: توثّق الرواية لدور المرأة في النضال الوطني. وبعدها لكلمة للدكتور (أحمد الخميس) من مصر بعنوان: اشتباك بالواقع عبر الشّكل الروائيّ. وأخيرًا أستاذ الأدب العربيّ الحديث بجامعة حلب (أحمد زياد محبك) يكتب نقدًا للرواية بعنوان: النهايات مدهشة.
كلٌّ من هؤلاء النقاد الأربعة، تناول الرواية من جانب أو جوانب، وكتبوا وأجادوا، وما كتبوا غير الحقيقة، فكانت كتاباتهم أوسمة للرواية زادتها حسنًا على حسن.

لفت نظري الوعي الذي صار عند بعض الأسرى حول رجال المقاومة والمسؤولين في منظمة التحرير بعد أوسلو. وكاتب الرّواية عادل سالم هو أكثرهم وعيًا؛ اسمع ما يقوله على لسان أحد الأسرى المحررين:

(بعد أوسلو قتلوا فينا كلّ حماس للنضال، خدعونا، كنّا نتوهّم أنّ قيادة الخارج جماعة من المناضلين، فإذا بكثير منهم من الفاسدين الذين جاؤوا ليكوّنوا الثروات على حساب الشعب المسكين. حتّى الشرفاء منهم تعبوا وتغيّروا، لم أتصوّر يومًا أن أرى أشرف المناضلين يتساقطون في معمعان النضال أمام الأموال. الفساد في كل مكان. الأجهزة التي مَهَمّتها حماية شعبنا أصبحت أولوياتها حماية إسرائيل). (صفحة ٣٥٦، ٣٥٧).

لغة الرواية سهلة سلسة جميلة رائعة، وكاتبها مبدع، والأخطاء في الرواية قليلة، ولو دقّق الكاتب وأعاد قراءة الرواية قبل الطبع لتلافى أكثرها.

(عناق الأصابع) ممتعة، وشيقة، ومشوقة

الكاتب أحمد محمود القاسم
كانون أول، ديسمبر ٢٠١٠

(عناق الأصابع)، رواية للمناضل، والأديب الفلسطيني عادل سالم، ابن مدينة بيت المقدس، واسم الرواية يظهر مأخوذ من التحايا التي كانت تتم بين الأسرى، وزوارهم من خلال التقاء أصابعهم، واحتكاكها مع بعضها، من خلال فتحات الشبك الصغيرة، التي كانت تفصل بين الأسرى وأهاليهم عند الزيارة.

وصفت الرواية بأسلوب سلس وممتع، صمود الأسرى الأبطال، في نضالهم المتواصل، داخل سجون، وزنازين الاحتلال الصهيوني، من أجل فرض حقهم بالنضال، ومن أجل احترام حريتهم، وكرامتهم، والذود عن وطنهم، ضد غطرسة واستبداد العدو الصهيوني المحتل، وقادتهم النازيين الجدد، ورغم وحشية السجان ووحشة السجن، الا أن الأسرى الأبطال، صمدوا صمودا رائعا ومدويا، في وجه سجانيهم، وحققوا انتصارات كثيرة، من بعض مطالباتهم العادلة والحقة، بفضل تضحياتهم الجمة، وصمودهم الرائع، فسقط منهم الكثير من الشهداء، نتيجة للتعذيب والمرض المزمن، الذي ألم في الكثير منهم.

تبقى الرواية في مجملها ممتعة، وشيقة، ومشوقة، تمتاز بأسلوبها الأدبي، والبسيط، والسلس، والنسيج المحكم بالسرد، والتعابير الأدبية الرائعة، والتصوير الدقيق والواقعي، والصادق لما يواجهه الأسرى داخل المعتقلات الصهيونية، كما ينقل صورة حية عن معاناة أهل الأسرى عند زياراتهم لأسرانا البواسل، وبهذا يكون الكاتب والأديب عادل سالم قد نجح بنقل صورة عاطفية ومؤثرة للأسرى الفلسطينيين البواسل للمواطن الفلسطيني، والعربي بوجه عام. هؤلاء الأسرى الذين ضحوا من أجل أن يعيش أبناء شعبهم بحرية وكرامة مرفوعي الجبهة والرأس عاليا.

آراء قراء عن (عناق الأصابع):

سندس حميدة:

لو كان هنالك من أمثال علي النجار في مجتمعنا ليسعدني القول أنني سأكون له خولة..كل الاحترام للكاتب المبدع عادل سالم، سلمت يداه.

أحمد ناطور:

الرواية تسرد قطاعا حياتيا لأسير فلسطيني سجن ٣٨ سنة. أظهر الرواية كافة أشكال العذاب، والتنكيل، والسياسات المختلفة للحكومة الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين، ولم تخلُ الرواية من إبانة الاحداث التي تحصل في فلسطين عامة والتوجهات الشعبية، والاختلافات التي كانت تحصل على الساحة الفلسطينية.
كانت الرواية شبه شاملة لذكر جميع المشاكل، والمعاناة التي كانت تحصل مع الفلسطينيين إلى جانب قضية الاسرى، كان النمط العام جاذباً لفئة الشباب لما يحتويه من أفكار تجذبهم لانها تلامس ما فيهم من فورة للعواطف الوطنية، وربطها بالعواطف الانسانية، احتوت الرواية على عرض لبعض المشاكل الاجتماعية الخاصة بالإناث لكن لم يظهرِ الكاتب أي رأي بذلك، رأيت أن الكاتب كان يقص الاحداث كأنه بعيد عنها وكان متحفظاً ولم يبدِ رأيه بدا ذلك جلياً في عدم تفصيله للأحداث وخاصة العاطفية منها لكنها تحسب له كتأريخ لصمود الشعب الفلسطيني.

وسن قرمان:

كتاب جميل جدا يتحدث عن الشاب المناضل من أجل وطنه، ورؤيته للعالم من نطاق الزنزانة، والإصرار على تحرير الوطن المغتصب، مع أنني لم أعجب بالنهاية. ولكنه يستحق القراءة. أنصح بقراءته وأتمنى أن يكون في شبابنا اليوم مثل علي.

النهايات مدهشة

الدكتور أحمد زياد محبك
تموز ٢٠١٠

عرفت الأستاذ عادل سالم في قصصه، فرأيت فيه المدافع عن قيم الخير، والعدل، والحق، والحرية. حريص على روح الإنسان، وجوهره، وهو أبعد ما يكون عن المباشرة، والتقرير. الجملة في قصصة قصيرة، والحوادث سريعة. لا يستغرق في التفاصيل، ولا يكثر من الوصف. يكتفي بالإشارة، والتلميح.

الشخصيات كثيفة، واضحة حادة الملامح. النهايات مدهشة.
لا يكرر نفسه.
في كل قصة عالم جديد، وبناء جديد.

(قبلة الوداع الأخير) لعادل سالم

الدكتور على نسر
شباط ٢٠١٤

حين تقرأ عنوان رواية الكاتب عادل سالم قبلة الوداع الأخير، يتبادر إلى الذهن أنها رواية لا تختلف عن معظم روايات الحقبة الرومنسية التي اجتاحت العالم الروائي في مرحلة سابقة، ولّما تزلْ تشغل حيزا كبيرا من صفحات الكتّاب.. ولكن حين يحملك الكاتب على متن روايته ويبحر بك بين دفتيها، تجد نفسك أمام رواية واقعية تغرف من مَعين المجتمع الكوني عموما، واللبناني خصوصا، لتضع القارئ وجها لوجه أمام حقيقة وجوده، التي تغافل عنها رغم ما سقط من أقنعة عن وجوه الكثيرين الذين شاركوا في ما آلت اليه الظروف في هذا الوطن، وشوّهت باسم الدفاع عن القضية والدين أحيانا، صورته التي كانت تومض كشهب في أصقاع الأرض، حرية وفكرا وثقافة... فلم تكن قبلة وداعه الأخير للحبيبة رانيا مجرّد قبلة يطبعها العاشق في غفلة على وجنة الحبيبة المنتظرة بصمات شفتيه، إنما كانت قبلة وداع لشعب تهافتت فوقه الرزايا، لتحيله كفزّاعة حقل ليس فيها سوى الهشاشة مهما لاحت يداها أمام نسيم عابر...

ينطلق الكاتب من تجربة وجدانية، تمثّلت بحب جارف بين الراوي سامح ورانيا البطلة المحورية في النص، تلك العلاقة التي تعرّضت لهزّات عنيفة لم تتكلّل بالنجاح، نظرا إلى ما تعاني منه البطلة من أزمات نفسية، ترجمتها زواجًا من البطل حوإلى ثلاث مرات، وسرعان ما يحصل الانفصال للسبب نفسه، وهو أنها لا تصلح للزواج على حد تعبيرها.. فيستغلّ الكاتب هذه القضية متخذا اياها وسيلة للسرد واطلاقٍ رؤيته، ليصوّر بعض الأحداث التي عصفت بلبنان على مدى خمس عشرة سنة، مخلّفةً وراءها حالاتٍ وأمراضاً نفسية تحوّلت إلى أدران يصعب استئصالها، فإذا بالناس المتحاربين والعاديين، قد استحالوا نماذج لمرضى نفسيين، سواء أكانوا من الساديين الذين تلذذوا بعذاب الآخر قتلا وتعذيبا واغتصابا، أم مازوشيين يجلدون أنفسهم ويحقّرون الذات، ويعانون من الدونية، التي تجعل منهم زوائد في المجتمع، لا يستحقون حبا وارتباطا زوجيا...لذلك تكره الحديث عن الزواج، الذي فقدت كل رغبة به.. ص٩٨.
وفي هذا الاطار يؤكّد الكاتب، أن الحرب لم تكن عسكرية وعبر السلاح الحربي فحسب، إنما كانت حربا ثقافية، وفكرية، وأخلاقية، خاضوها مستغلين شعار حب الوطن

والتقرب إلى الله حسب آرائهم المختلفة، ...لم تكن حربا بالسلاح، كانت حربا بالثقافة والأخلاق والضمائر.. خلع الجميع الأقنعة عن وجوههم، وارتكبوا الفواحش والآثام باسم الدين والوطن، وباسم الرب ارتكبت الفظائع وانتهكت الحرمات..ص٩٩.

أمّا فنيًّا، فقد دارت أحداث الرواية في لبنان، وفي صيدا خصوصا، مع بعض اللفتات السريعة إلى الهجرة واللجوء إلى أميركا، التي تدّعي الديمقراطية لكنها تحمل للآخرين، وخصوصا شعوبنا العربية، الدمار وقذائف الرعب والموت، ص١٨٤. هذه الأحداث لم تستغرق أكثر من ساعات، حيث وصول الراوي إلى المطار وانتقاله إلى بيت رانيا، ومن ثمّ تشييعها ميتة، طاوية مغامرة حب استغرقت حوالى عشر سنوات. وبهذا يكون الكاتب قد اعتمد مفارقة الاسترجاع الخارجي القريب الممتد إلى العام ٢٠٠١ تقريبا، والخارجي البعيد حيث ولادة رانيا حوالى العام (١٩٧٥) واختطافها ووالدها العام (١٩٨٥).

أما السرد، فقد جاء على لسان سامح الراوي، والذي يطلق رؤيته الداخلية والذاتية، وقد منح شخصية رانيا حرية التعبير عما جرى معها، فسردت قصة اختطافها واغتصابها وقتل أبيها.. ولأن الراوي من هذا النوع المشارك، فمن الطبيعي أن يكون علمه محدودا، لأنه من نمط الراوي الأصغر من الشخصية، فيسرد ما يعرفه فقط أو ما تخبره به الشخصيات الأخرى، وهذا ما أوقع الكاتب في منزلقات استخدام هذا النوع من الرواة، إذ سرعان ما نصبح أمام راوٍ خارجي من دون تمهيد أو تسويغ، فيعرض لنا النص أحداثا ليس للسارد الأساس من علاقة له بها، من دون وسائط وهو بعيد من أحداثها، خصوصا أنها احداث تدخل في باب الأسرار.. ما يؤكد تدخل الراوي غير الضروري، اذ بامكانه أن يجعل الكلام على لسان شخصية مشاركة في الحدث أو الحوار... هذا بالاضافة إلى تعامله المتعالي مع القارئ أو المتلقي احيانا، فبرغم التشويق الذي يشعر به القارئ لمعرفة أسباب تمنّع الزواج عند البطلة، نرى الراوي يعلمنا بالسبب معللا اياه، من دون أن يترك للمتلقي حب اكتشاف الأسباب بنفسه، ناسيا أن المتلقي شريك في كتابة النص، اذ غالبا ما يملأ النواقص التي يتركها الكاتب سهوا وعمدا؛ فيعرض لنا على لسان الشخصية الثالثة الأسباب النفسية لما تعاني منه البطلة، وهذا من مهمة المتلقين والمحللين ص٩٨. هذا بالاضافة إلى بعض الهفوات اللغوية المربكة والخلط الخطأ بين الأسماء التي تجعل القراءة أكثر صعوبة.

لعيون الكرت الأخضر

الدكتور عادل الأسطة

أيلول ٢٠٠٦

(لعيون الكرت الأخضر) (٢٠٠٦) هي المجموعة القصصية الأولى للكاتب عادل سالم، والمؤلف مقدسي الولادة (١٩٥٧)، ويقيم الآن في أمريكا. وكتب، قبل أن يكتب القصة القصيرة، الشعر، فقد أصدر ديوانين شعريين هما (عاشق الأرض)(١٩٨١) و(من وراء القضبان)(١٩٨٥)، وقبل أن يسهم في تأسيس ديوان العرب، ويكتب فيها، كتب في جريدة عرب تايمز الصادرة في الولايات المتحدة من سنة (١٩٩٠) حتّى (٢٠٠٢)، وقبل هذا وذاك نشر أشعاره ودراساته في مجلات الأرض المحتلة وصحفها.

ويكتب عادل سالم - أو الناشر (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)- معرفاً بنفسه: (عادل سالم / مؤلف أمريكي من أصل فلسطيني)، ما يجعل المرء، قبل أن يدلف إلى القصص يثير سؤال الهوية للكاتب نفسه. وبالتالي هل يدرس هذه القصص على أنها قصص فلسطينية أم عربية؟

وما من شك فإن عادل سالم، إذا اعتمدنا الجنسية، أو الهوية السياسية التي يحملها الآن، فإنه كاتب أمريكي يكتب باللغة العربية، ولكنه، إذا اعتمدنا مكان الولادة، كاتب عربي فلسطيني، لأنه ولد في القدس، ونشأ فيها، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وربما دُرِسَ، بناء على ذلك، على أنه من أدباء الوطن، قبل هجرته، ومن أدباء المهجر، بعد إقامته في المهجر. وإذا ما اعتمدنا اللغة وحدها معياراً لتحديد هوية هذه القصص، فإنها تدرج ضمن القصص العربي، بغض النظر عن موضوعها، ومكان كتابتها، وهوية كاتبها. وإذا ما اعتمد الموضوع معياراً لتحديد هوية القصص فإنها

أمريكية تعالج إشكالات العرب في أمريكا الشمالية وعلاقتهم بسكانها من أمريكان بيض، وسود وأمريكان جاءوا من أمريكا اللاتينية أيضاً.

وسؤال الهوية ليس سؤالاً مؤرقاً وحسب لمن يريد أن يدرس هذه القصص، وإنما هو سؤال مؤرق لبعض شخوصها العرب الذين يقيمون في الولايات المتحدة الأمريكية، ولعله أوضح ما يكون في قصة زافر كنغ، اعتنق المسيحية ليحافظ على عائلته، وفيها يقص علينا أنا المتكلم قصة لقائه، في العام (١٩٨٨)، مع ظافر الذي هاجر والده نبيل من القدس في خمسينيات القرن العشرين إلى الولايات المتحدة.

ويتزوج من الأمريكية (لندا) التي عرفها يوم كان طالباً في المدرسة، وقد وقفت معه، وكانت مخلصة، وتصدت للطلاب العنصريين الذين حاولوا الإساءة لأصوله العربية. وأنجبا ثلاثة أطفال: نبيل، ويوسف، وجولي، ونشأ هؤلاء نشأة مسيحية، فلم يكن الدين يعني له الكثير، عدا أن الأجواء المحيطة في المدينة التي يقيم فيها مسيحية، ومن ثم أخذ يثير العديد من التساؤلات مثل:

(هل أحاربهم؟ هل أتخلى عنهم؟ هل أتخلى عن زوجتي التي تحبني والتي لم تمنعني أن أشرح لهم عن الإسلام؟ ... عشت في صراع نفسي حاد عدة سنوات). وهكذا يخاطب أنا القاص: (إن تسألني هل كنت فعلاً مسلماً أقول لك نعم، ولم أكن أخطط لاعتناق المسيحية، لكنني وجدت نفسي مضطراً لذلك ...).

فكيف ننظر إلى ظافر هذا؟ هل هو عربي أم أمريكي؟ وكيف ننظر إلى أبنائه وثقافتهم التي ثقفوها؟ وبالتالي كيف ننظر إلى هذه القصص وندرسها؟ هل نعتبرها أدباً عربياً أم أدباً أمريكياً كتب بالعربية؟ وما هو المعيار الذي نعتمده: اللغة، الولادة، الجنسية، أم الموضوع؟

دال العنوان:

عنوان هذه المجموعة هو لعيون الكرت الأخضر، وهو عنوان قصة من قصص المجموعة التي يصل عددها إلى تسع عشرة قصة. وفكرة القصة أو موضوعها يدور

حول الشباب العرب الذين يهاجرون إلى أمريكا باعتبارها (الدورادو) أو الجنة المفقودة، هاربين من أوطانهم العربية، آملين بحل مشاكلهم. فادي اللبناني يسافر من بيروت إلى أمريكا، وهناك، ومن أجل الحصول على الكرت الأخضر، يكذب ويزور ويفقد كل إحساس بالكرامة، حتّى إنه ليضطر إلى تشويه أبيه تاريخاً وسمعةً، فيجعل منه عميلاً وجاسوساً، على الرغم من أنه ليس كذلك. كل ذلك من أجل أن يحصل على الكرت الأخضر، وهو بذلك ليس حالة استثنائية، إنه، كما يقول، واحد من آلاف العرب (من اليمن، من مصر، من الجزائر، سوريا، لبنان، فلسطين ... إلخ كلهم يدعون أن المنظمات الإسلامية المتطرفة تلاحقهم، مستغلين عداء الولايات المتحدة للمنظمات الإسلامية المذكورة، هناك نساء مسلمات يدعين أن آباءهن يغتصبوهن إن عادوا لبلادهن، هناك رجال يدعون أنهم لوطيون ..)(ص٧١).

وثمة غير قصة أيضاً نقرأ فيها عن الثمن الذي يدفعه العرب، أو بعضهم من أجل الحصول على الكرت الأخضر، حتّى إن الـ ف.ب. آي تبتز بعضهم من أجل منحه، ومنذ الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١)، سبتمبر تطلب هذه الوكالة من بعض العرب حتّى يحصلوا على الكرت الأخضر، أن يغدوا جواسيس لها. وهكذا فإن دال العنوان لا يقتصر على قصة واحدة، عدا ذلك فإن عادل سالم، قبل أن يصدر هذا المجموعة القصصية، كتب قصيدة تحت العنوان ذاته، ونشرها في مجلة ديوان العرب، ومما ورد فيها:

لعيون الكرت الأخضر

سأدوس على شرفي

وأدوس على كل الأخلاق

وأبيع الدنيا والدين

بالجملة في كل الأسواق

فأنا لعيون الكرت الأخضر

صبحاً ومساءً أشتاق

لعيون الكرت الأخضر

سأبيع مؤخرتي

وأوقع كل الأوراق

فأنا في جنة عدن

لا تقطع فيها الأرزاق ....

وأنا المتكلم في النص ليس أنا الشاعر / الناظم، وهذا ما تقوله القصص. وإذا كان من فرق ما بين القصيدة، والقصص فيكمن في أن الأولى، لأنها شعر، تمتاز بالتكثيف، في حين أن الثانية لأنها نثر، تحفل بالتفاصيل: الأسماء وأماكن الولادة ومكان الإقامة، وماضي الشخصية، وحاضرها. وإذا كان الشعراء العرب في أبيات الحكمة التي نظموها يلخصون تجربتهم في بيت، أو عدة أبيات، وهي تجربة عمر، فإن القصيدة تلخص عشرات القصص. كأنما سمع عادل سالم القصص فأغرته بكتابة القصيدة، ثم عاد ليكتب القصص، وليقول للقارئ: هؤلاء هم الذين كتبت القصيدة عنهم، وهذه هي التفاصيل.

الإهداء:

يهدي الكاتب مجموعته (إلى الذين جربوا نار الغربة عن الوطن فقرروا العودة إليه، لأنهم اختاروا الموت بناره، بما فيه من فقر وقهر، على العيش في جنة الغربة). ولا يدري المرء إن كان المؤلف نفسه، من خلال إهدائه، يعبر عن توق العودة إلى الوطن، هو الذي كان يقيم في القدس ثم غادرها. كأنما لسان حاله لسان الشاعر ابن زريق البغدادي الذي ترك بغداد بحثاً عن الرزق، إلى الأندلس، وهناك كتب قصيدته التي خلدته:

لا تعذليه، فإن العذل يولعه

قد قلت حقاً، لكن ليس يسمعه

وثمة في القصص شخوص كثيرون قدم لهم أهلهم النصح بألا يغادروا الوطن، وكما لم يسمع ابن زريق لزوجته، فإن الشخوص هؤلاء لم يسمعوا لأهلهم، وهكذا اكتووا بنار الغربة، وتحولوا إلى كذابين ومزيفين، وغدوا أشخاصاً بلا أخلاق، أقاموا أسراً سرعان ما تفككت وتمرد فيها الابن على أبيه، وشتمت البنت أباها (فك يو دادي)، لأن الأب شرب الخمر وتاجر بها، ولم يلتفت إلى أسرته، قدر التفاته إلى الدولار.

الغربة عن الوطن نار، حتّى لو كانت البلاد التي يقيم فيها جنة فيها الماء والخضراء، والوجه الحسن، والعيش في الوطن جنة، فثمة فقر وقهر، ولكنهما أفضل من جنة المنفى. إنها فكرة قديمة جديدة حفل بها الأدب العربي والعالمي. وربما تذكر المرء مقطع ناظم حكمت:

أدخلوا الشاعر إلى الجنة

فصاح يا وطني

وربما تذكر المرء أيضاً أحمد شوقي وهو في المنفى:

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه بالروح نفسي

_ وهي الصرخة التي صرخها، ذات نهار، محمود درويش، يوم كان قبل (١٩٩٦) يقيم في باريس: بدي أعود.

هل يحن عادل سالم إلى القدس؟ وماذا لو عاد ووجدها على ما هي عليه، وظل عاطلاً عن العمل؟ هل سيحن إلى أمريكا الجنة المفقودة؟ إنها اللعبة الأزلية التي عبر عنها محمود درويش قائلاً: (يصبح الحلم سيفاً حين يبلغه صاحبه ويقتله)

إنها اللعبة التي لعبها الحكيم أيضاً في (بجماليون). ينجز النحات التمثال، وحين يعجب بما صنع يطلب من (فينوس) أن تبث به الحياة، حتّى إذا ما فعلت/ وجدنا بجماليون ينفر منه، ويتمنى لو عاد تمثالاً، وحين يعود يستاء منه فيحطمه. هل

الأشياء تبدو متمناة ورائعة طالما هي بعيدة عن أيدينا، حتّى إذا ما حصلنا عليها فقدت قيمتها ونفرنا منها؟

إن قصص المجموعة كلها تقريباً لا تتحدث عن الجنة / أمريكا. كانت هذه جنة قبل أن يدخلها هؤلاء العرب، ويحصلوا على الكرت الأخضر فيها، وحين تم لهم ذلك غدت حياتهم فيها جحيماً، أو هو ما يبدو للإنسان العربي الذي تربى على قيم وعادات وأخلاق تختلف كلياً تقريباً عما هو موجود في المجتمع الأمريكي. ولكن هل يفكر هؤلاء في العودة إلى الوطن؟ وإذا عادوا إلى أوطانهم فماذا سيفعلون؟ لقد خسروا الماضي والحاضر، ومن المؤكد أنهم سيخسرون المستقبل. ثم ماذا عن الذين ولدوا في أمريكا وغدت موطنهم؟

في الجنة / أمريكا تقتل سهام في قصة (أنت طالق يا سهام) ابنيها الطفلين، من أجل أن تحصل على (بوليصة) التأمين، ثم تخسر ابنيها وزوجها، وحياتها، حين تكتشف الشرطة هذا، فأين هي الجنة؟

كلمة لا بُدَّ منها:

تحت هذا العنوان يلفت المؤلف نظر القراء إلى بعض الأمور المهمة، فالقصص هذه ليست كل ما كتب. هناك قصص أخرى جاهزة ستنشر تباعاً خلال الفترة القادمة. ولكن الأهم من هذا أنه يقدم لنا صورة عن واقع أبطال القصص ومعاناتهم، لنحكم عليها ضمن ظروفهم التي عاشوا فيها. والقصص هذه نماذج من قصص واقعية عاشها العرب المغتربون في الولايات المتحدة. إنها ليس من وحي الخيال فأبطالها ليسوا أبطالاً من ورق، إنهم حقيقيون ما زال بعضهم يعيش في أمريكا.

ونظراً لأن أكثر هذه القصص تبرز صورة سلبية للعرب، هناك، فإن المؤلف، خوفاً من أن يخرج القارئ بانطباع سلبي عن العرب، يطلب من القارئ ألا يعمم ما يقرأه على كل أبناء الجاليات العربية المغتربين، فهذه القصص، كما يقول، ليست مهمتها إيصال القارئ إلى مثل هذه النتيجة. وعلى الرغم من هذا التنويه الذي يظهر في كلمة المؤلف

إلا أن الانطباع العام الذي يخرج به القارئ هو انطباع سلبي، فصورة العرب في القصص، إلا ما ندر، تبدو سلبية.

في قصة (إلى الجحيم يا علي)، يضاجع علي زنجية ولا تكون لديه أدنى مشاعر للأبوة حين يعرف أن ابنها هو ابنه، لا لسبب إلا لأنه طفل أسود. الأب هنا يذكرنا بشداد والد عنترة: لا يعترف بابنه من الأمة. كأن علي الذي يقيم في أمريكا ما زال يعيش في المجتمع الجاهلي الذي يعترف بأبناء الحرائر، ولا يعترف بأبناء الإماء. وأبو أنور في قصة (أبو أنور قتلته الغربة) يعود إلى زوجته وأولاده لينام مع زوجته ليلة ثم ليغادر ثانية إلى أمريكا، دون أدنى مسؤولية عما فعله. وفي قصة (الخيانة تبدأ من هنا) يقيم الزوج علاقة مع امرأة أخرى غير زوجته. وفي قصة (شوربة خضار بالخنزير) إبراز لبعض تناقضات العرب في أمريكا، فجمال يحتج على الشوربة بلحم الخنزير، ولكنه يخون زوجته ويضاجع امرأة لا تمت له شرعاً بصلة. ثمة فصام في شخصية جمال. ورباب في قصة (رباب في أمريكا)، وهي من تونس وأبطال القصص لبنانيون، ومصريون، وفلسطينيون، وسوريون، تذهب إلى الولايات المتحدة لتدرس فتتصرف تصرف المومس، فلا أخلاق ولا شرف. وسليمان في قصة (وعادت مكسورة الجناح) يدعو صديقاته إلى بيته، مع أنه متزوج، ولا يمانع في أن تخرج زوجته مع من تشاء. وسونيا في قصة (الخيانة المزدوجة) – وهي مسلمة من البوسنة – تخون زوجها – مع أنها أم لطفلين – ويقيم معها علاقات عرب عديدون تراهم كذابين. وفي قصة (أولاد للتبني) نجد المسلمين لا يتبنون الأولاد المسلمين، في حين تتبناهم العائلات الأمريكية، ومع ذلك فالمسلمون ما زالوا يقيمون صلاة الجمعة ويدعون الله أن ينصر الإسلام والمسلمين.

ولا تكاد المجموعة تبرز صورة إيجابية للعرب والمسلمين، وإذا ما عثر المرء على صورة إيجابية فإنه يعثر عليها بعد أن يقرأ قصة يغلب عليها إبراز الصورة السلبية، كما في قصة (فك يو دادي)، فالساردة سميرة ابنة لأب متناقض في سلوكه يميز بين الابن والفتاة، ومثله الأم، فكلاهما يجيزان للولد ما لا يجيزانه للفتاة، ما يجعل الفتاة تتمرد، وتصرخ في وجه أبيها، وتغادر المنزل، بعد أن تحميها الشرطة من اعتداء أبيها عليها لأنه ضبطها مع صديق أمريكي. وهذه حين تبحث عن مكان تقيم فيه تذهب إلى صديقتها شيماء التي تنتمي إلى أسرة متماسكة غير مفككة، وتكاد هذه الأسرة تكون

استثناء في المجموعة كلها. ثمة أب يحترم أبناءه، وثمة أبناء يطيعون والدهم، وثمة تفاهم أسري.

النماذج البشرية التي تبرز في القصص إذن نماذج أكثرها سلبية، ولا يدري المرء إن كانت هناك قصص لدى المؤلف تبرز نماذج إيجابية.

قيمة هذه القصص:

ربما يتساءل قارئ هذه القصص عن قيمتها، هل ثمة قيمة لها، من حيث الموضوع ومن حيث الفن؟

قليلة هي الأعمال الأدبية الفلسطينية التي أبرز كاتبها فيها صورة عن حياة العرب في أمريكا. ربما يتذكر المرء هنا رواية سحر خليفة (الميراث)(١٩٩٧)، وربما يتذكر أيضاً رواية مجيد منيب (أصل الغرام)، وفي الأولى، والثانية تصوير لحياة العرب في أمريكا، وتأتي (لعيون الكرت الأخضر) لتستفيض في الكتابة، وبالتالي فإنها ستكون مجموعة ذات أهمية لدارس الأدب دراسة اجتماعية، دارس الأدب الذي يريد أن يعرف عن حياة العرب في المجتمع الأمريكي، والذي يريد أيضاً أن يدرس نظرة الشعوب لبعضها البعض. ولكن ماذا عن قيمتها الفنية؟ يخيل إليّ أن الكاتب عادل سالم لم يلتفت إلى هذا الجانب بما فيه الكفاية. لقد كانت القصص مجرد سرد لأحداث وحكايات، وهي بذلك تضيف لموضوع القصة الفلسطينية موضوعاً جديداً قلما تعرض له كتابنا، ولكنها من ناحية فنية لم تضف الكثير.

العثة في أمريكا أيضا

الدكتور عادل الأسطة:
أكتوبر ٢٠٠٦

ما أن فرغت من قراءة قصة عادل سالم، وهو مواطن أميركي من أصل فلسطيني، ومن القدس تحديداً، ما أن فرغت من قراءة قصته (زيارة إلى مكتب الـ ف.بي.آي) التي ظهرت في مجموعته القصصية الاولى (لعيون الكرت الاخضر) الصادرة حديثاً (٢٠٠٦)، حتى تذكرت قصيدة الشاعر مظفر النواب بحار البحارين، ونرجو الله ان يشفيه فهو في حالة صحية متدهورة، كما سمعت، وكما قال الشاعر أحمد فؤاد نجم في برنامج (زيارة خاصة) الذي بثته الجزيرة في الأيام العشرة الأخيرة من آب (٢٠٠٦). ووجدتني أعود إلى القصيدة لأقرأ:

(من أنت وفي هذا الوقت المشبوه تزور؟
أطرق بحار البحارين
وخبأ في الصدف الحي حكايته
فالعثة في بلد العسكر تفقس بين الانسان
وثوب النوم وزوجته، وتقرر صنف المولود
واين سيكوى ختم السلطان على إليته
فاذا آمن بالحزب الحاكم فالجنة مأواه
وويل للمارق)

لماذا فعلت هذا، وربطت بين القصة، وأشعار مظفر النواب؟ السبب بسيط، لانني وجدت أن الملاحقة التي يعاني منها المواطن العربي في العالم العربي، يعاني منها المهاجر من بلد عربي، بعد الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١)، ولن ينجيه من العذاب ويخلصه من الملاحقة إلا إذا آمن بالحزب الحاكم، أو بـ الـ ف.بي. آي، وغدا جاسوساً يخبر عن أبناء جلدته.. هل في الامر مبالغة؟ أليست أميركا بلداً ديمقراطياً جداً جداً؟
يقص عادل سالم قصة محمد المواطن الاردني الذي يعمل في أميركا ولما يحصل على الكرت الاخضر وجواز السفر الاميركي، ويفاجأ هذا، ذات صباح، بزيارة ثلاثة من موظفي الـ ف.بي.آي له في منزله، ويقترحون عليه أن يختار بين أن يجيب على أسئلتهم في منزله أو في مكتبهم، ولما يختار الثاني يعطيه (ستيفن) بطاقته، ويحدد له

الموعد، ويقع محمد في ورطة وحيرة، ويستشير صديقه حسن في الأمر فيقترح عليه ألا يتحدث إلا بعد الاتصال مع محام يكون حاضراً، وهذا ما يفعله.
وما من شك إن مثل هذا لا يتم في كثير من الدول العربية التي يعتقل فيها رجال المخابرات المواطنين بطريقة مرعبة، فتزورهم ليلاً، وتداهم منازلهم، ولا تترك لهم فرصة الاتصال بمحام يدافع عنهم. وتقول لنا السير الذاتية التي كتبها مناضلون سياسيون عرب عن ممارسات رجال المخابرات المرعبة، وكثيرون ممن اعتقلوا تم اعتقالهم في ظروف غير إنسانية.. وحين يقارن المرء طريقة اعتقال المواطن العربي في العالم العربي بطريقة اعتقال المواطن العربي في أميركا، كما ورد في القصة، يجد لا شك فارقاً كبيراً، فلماذا اذاً اخترت العنوان (العثة.. في اميركا ايضاً)؟
ولماذا تذكرت مقطع مظفر النواب المذكور؟ وهل يجوز أن نضع أميركا إلى جانب الأنظمة العربية في هذا الجانب؟
ثمة في قصة عادل سالم مقاطع تجيز لي أن اقول نعم، مع بعض التحفظات، وحتى لا اتهم بمعاداة الأنكل سام حفظه الله ورعاه سنداً للديمقراطيات في العالم، وذخراً لها، ومدافعاً عن حقوق الإنسان في العراق، وفلسطين، وأفغانستان، أورد بعض المقاطع من القصة على لسان شخوصها:
(اسم الـ إف بي آي هنا مرعب لبعض الناس، خصوصاً الوافدين الجدد، أو المجرمين، تماماً مثل اسم المخابرات في الدول العربية، التي تكسر باب شقة المتهم لتعتقله دون أن يكون له أية حقوق حتى الاتصال بمحام للدفاع عنه. على الأقل هنا قدموا لي كرتاً ولم يشتمني أحد. على الرغم من ذلك أنا خائف، نعم في الأردن يضربون، لكن هنا يحاربونك بكل شيء فما الفرق؟ ويقترح رجل الـ إف بي آي على محمد ما يلي:

(أعطيك جهاز تنصت كل يوم جمعة تحمله في جيب القميص، جهازاً صغيراً جداً مثل زر القميص، وخلال حديثك مع المصلين تناقشهم في ابن لادن وما يعمله، وتختار من تعتقد أنهم معادون لنا... هذا يسهل حصولك على الجنسية؟ واذا نجحت يمكن أن ندفع لك فلوساً)
هل في هذا مبالغة وتشويه لصورة أميركا؟ في الأشهر الاخيرة سمعنا احتجاجات من نواب أميركيين على ما تقوم به دولتهم على أفراد مهمين في أميركا. وشرفت يا (نيكسون) بابا يا بتاع الـ(ووترغيت)؟ ولا احد أحسن من أحد.. القصة.. في اميركا ايضاً!!

(لعيون الكرت الاخضر)

رصد لخسارات المنفى وكشف لزيف الحلم المعوّض

الدكتورة نجمة حبيب
كانون ثاني، ديسمبر ٢٠٠٧

صحيح إن مسألة الهجرة مسألة قديمة قدم الخليقة، مارستها وتمارسها شعوب الأرض على اختلافها بحثا عما هو أفضل لأسباب معاشها وحريتها الفكرية، ولكن الصحيح أيضاً أنها أمست، في زمننا الراهن، هاجساً بل حلما معوضا يسعى إليه شبابنا هرباً من كل ما يعانيه من إحباطات سياسية، واجتماعية، واقتصادية في أوطانهم الأم. صحيح إن الكثيرين في سعيهم هذا حققوا مكاسب مادية ما كانت لتتاح لهم في بلدانهم، إلا أن الصحيح أيضاً هو أنهم دفعوا أثمانا غالية من قيمهم وكراماتهم وسلامهم الداخلي لا يدرك خسارتها إلا من كان له تجربة مماثلة. والكاتب عادل سالم، في مجموعته القصصية (لعيون الكرت الاخضر)، وعى هذه التجربة وشهد ضحاياها فأطلق كتابه هذا صرخة تحذير لكل أولئك الوالهين وراء أوطانٍ بديلة معلنا، منذ الصفحة الاولى، أن الغربة نار والوطن جنة مهما ثقلت فيه المعاناة. وهو لا يدعي أنه مبدع رسولي ولا يلجأ إلى الفانتازيا أو الغرائبية لإعطاء عمله صفة الادهاش والحداثوية التي يبهر بريقها مجتمع المتأدبين، بل يقولها صريحة: أن هذه القصص ليست من صنع الخيال ولا مجرد أبطال على ورق بل هم ابطال حقيقيون بعضهم لا يزال يعيش في الولايات المتحدة حتى يومنا هذا. لذا فهو بذلك يكفينا شر فذلكة التأويل وتحميل نصوصه ما لا يريده لها أن تحمل به، وينزع من يدنا المبرر لمحاكمته محاكمة نقدية فنية.

تنتمي شخوص هذه القصص، في مجملها، إلى فئة المهمشين المعدمين، او إلى ما يعرف عند جماعة الشعراء النيويوركيين بالعلم السفلي، إلا أن كاتبنا لا يتعاطف مع أبطالها كما تفعل هذه الجماعة بل نراه يدينها إدانة خجولة حيناً، وصريحة صارخة في معظم الأحيان. وتتلخص مأساة معظمهم في كونهم يعيشون انفصاما مريرا بين ما تربوا عليه من قيم، ومعتقدات وبين قيم ومعتقدات المجتمع الجديد الذي انتموا إليه. وهم وإن تمثلوا، قيم مجتمعهم الجديد كالفردانية والعقلانية، مثلاً، فإنه لا يزال يعيش تحت جلودهم حس الانتماء إلى الجماعة والاحتكام إلى الهوى قبل العقل. والنماذج

في هذا المجال كثيرة، نأخذ منها على سبيل المثال قصة (إلى الجحيم يا علي)، فنرى كيف ينغمس البطل بهذه الثقافة الجديدة التي تقول بالتحرر الجنسي، فينشئ علاقة خارج إطار الزواج مع امرأة سوداء وينجب منها طفلاً يتخلى عنه لأمه ولا يتعرف عليه الا بالصدفة، وبعد مرور أربعة عشر عاما على ولادته، ولكنه لا يلبث ان يعود شرقياً يخجل من هكذا علاقة ويهمه أكثر ما يهمه ماذا سيقول أبناؤه عندما يكتشفون أن لهم شقيقا أسود: (أتخاف أن يعرف الأولاد أن لهم أخاً آخر...أخاً أسود، طبعاً. فهذا عارك...إنك لا تستطيع أن تقول لأصدقائك وأهلك أن لك ولداً أسود، فهذه فضيحة في عرفكم أليس كذلك؟) (١٧). أما في قصة (ظافر كينغ) فتبرز المعضلة أشد إيلاماً وأعمق تأثيراً، إذ أن البطل فيها يتخلى عن دينه الذي ولد عليه، ويعتنق المسيحية، لا عن إيمان أو قناعة، بل ليمالئ الثقافة المسيطرة. لقد رأى نفسه مخيراً بين خسارتين إما أن يخسر حياته الاجتماعية من أصدقاء، وزوجة وأبناء، أو يخسر دينه فكان أن اختار الخسارة ذات الحساب المؤجل. ورغم أن ظافر مولود في أميركا ولا يعرف من العربية إلا كلمات قليلة، والتنازل الذي أصابه كان قد سبقه تنازل أكبر يوم قرر أبوه أن يغير اسمه ويتنكر لعروبته، وفلسطينيته، رغم كل ذلك فما زال يرغب بزيارة القدس، والتعرف على أقاربه الذين لا يزال يحتفظ بصورهم (٢٣٢). نموذج آخر نراه في شخصية الصديق جمال الذي غضب لأن المطعم قدم له حساءاً فيه لحم خنزير، ولكنه في الوقت نفسه لم يتوان عن الشروع في عملية جنسية رخيصة مجرد ان لاحت الفرصة له لذلك:

تخريب الذات وإمعان في العطالة

إلا أن أشد خسارات المنفى، أو الغربة كما يسميها المؤلف، فهي في ذاك الذي يطال الذات المغتربة، والذي لا ينحصر ضرره في تخريب القشرة السطحية لهذه الذات بل يتغلغل إلى العمق فيطال أنبل القيم الإنسانية على الاطلاق، الأمومة والكرامة مثلاً. ففي مجتمع استهلاكي يلهث وراء السلعة كالسيارة الفارهة، والبيت الأنيق وما شابه، يمسي الدولار القيمة العليا ويتفوق على كل ما سواه من قيم وتصبح فلذات الأكباد سلعا تزهق في سبيله. ففي قصة (أنت طالق يا سهام) تنحدر الأم إلى أدنى درجات الإسفاف الإنساني بل الحيواني، وتتغلب فيها شهوة المال على عاطفة الامومة فتعمد إلى قتل طفليها طمعا به: (. . .بدأت تشرح لهم كيف تقتل أولادها بيديها. . . وأنها فعلت ذلك دون علم زوجها وأنها كانت تقتل الابن بعد ان تشتري له بوليصة تأمين على الحياة لتقبض المبلغ؛ لتشتري به بيتا جميلاً وسيارة كبقية الناس) (ص٨٠-٨١)

أما قصة (لعيون الكرت الاخضر) فإنها النموذج الأمثل للعنة النفي، وقمة خساراته، إذ أنها لا تكتفي بتدمير الذات الفردية بل تطال الأخرى الجمعية. هي عطالة ذاتية لأن فيها يسعى الرجل بكل ما وهبه من ذكاء وفطنة لينسب إلى نفسه صفات النذالة والنجاسة التي تكون للعميل والخائن. وهي عطالة جمعية لأنها تنسب إلى الجماعة، (الحزب، الوطن) صفة الغوغائية والبربرية، والمؤسف أن مثل هذه الحالات موجودة بقوة في مجتمع المغتربين عموماً حيث تصل النذالة في بعضهم إلى التباهي بها واعتبارها شطارة، وضحك على الحكومات المضيفة. وفادي، بطل القصة، لم يكن نذلاً قبل هذه الهجرة فقد تأثر، وبكى عندما دست خالته مائة دولار أميركي في جيبه، وقطع عهداً أن يردها لها مضاعفة (إذا وفقني الله لأرسلن لك مئة دولار شهرياً حتى آخر يوم في عمرك). ولكنه وفي سبيل الحصول على الجنسية الأمريكية، انحدر إلى أدنى درجات الدرك الإنساني فزوّر التاريخ ونسب إلى والده الشهيد إثم الجاسوسية، وادعى أن الحزب يطارده بقسوة وهمجية حد الموت. وفادي بعمله هذا يتفوق في عطالته على جميع من عرفهم، فالذي يدعي اللواطية أو الذي يتزوج لغاية نفعية إنما يسيء إلى نفسه فقط، فيما أساء هو إلى شرف عائلته، وحزبه وربما أمته كلها. والغريب في الأمر أن فادي يدرك خطورة ما يفعله ويحس بحقارته، ولكنه يستمر فيه مدعيا إنما يفعل ما يفعله من أجل غاية نبيلة: أعرف أنني تافه وحقير، أعرف أنني شوهت أبي، شوهت تاريخه، سمعته، جعلت منه عميلاً وجاسوساً، و...من أجل كرت الاقامة؟ عملت ذلك لأني أريد العمل هنا، عملت ذلك لغاية نبيلة (٧٠)

قل أن التفت الكاتب إلى ما يعانيه المهاجر السوي وكفاحه لتحقيق ذاته في مجتمع ينظر إليه بدونية في بعض الأحيان، وبعدائية في معظمها. فهو مثلاً لم ينقل لنا صوراً عن معاناة القادم الجديد مع اللغة ومع القوانين الغريبة على طبعه وتربيته، أو الصعوبة التي تواجهه في إيجاد وظيفة تناسب مؤهلاته، مع أننا نعلم ان الكثيرين ممن يحملون مؤهلات جامعية عالية يضطرون للعمل أعمالاً وضيعة (خداماً في المطاعم، كناسين في الشوارع ومحطات القطارات. . .) إلا أن هذا الإغفال لا ينتقص من قيمة العمل، فالكتابة المبدعة انتقائية. والكاتب المبدع انما ينطبع في ذهنه صور وأحداث دون غيرها، وهو غير ملزم بنقل الواقع كما هو، بل كما ترتأيه مخيلته المبدعة التي يختلف ما يحفزها ويحرضها بين شخص وآخر. ومن القليل الذي التفت إليه الكاتب في هذا الشأن قصة (حلم لم يتحقق) و (زيارة إلى مكتب الإف بي آي) حيث بيّنت الأولى ما يقع على المهاجر من ظلم نتيجة الاختلاف في الثقافتين (الأب يقبل مؤخرة ابنه فيتهم بالشذوذ الجنسي ويفضي به الامر إلى خسران ابنه) وبيّنت الثانية

المأزق الذي عاناه محمد مع المخابرات الامريكية (طلب منه أن يكون عيناً على جماعته وإلا اتهموه بتشجيع الارهاب).

وتبقى مجموعة لعيون الكرت الاخضر لوحات نابضة بالواقعية، تهتك ستر المخبوء في مجتمع المهاجرين العرب في أميركا الشمالية، وتفضح زيف الحلم المعوض الذي يعيشه اللاهثين وراء الهجرة إلى بلاد يعتبرونها أرض الاحلام المحققة.

لم يبقَ في الكونِ إلا الحبُّ و المطَرُ

الأديبة: سها جلال جودت
شباط، فبراير ٢٠٠٦

بهذه القصيدة يمزق الشاعر عادل سالم مخالب الذئب، ويضع البديل الحمل الوديع الذي يحس، ويشعر، وينبض قلبه بشغف إلى لقاء الحبيبة التي ودعها كارهاً سفره والمطارات، والتذاكر، إنه يرصد الحنين المفتقد في قلب من يعشق السكينة والهدوء والطمأنينة، لهذا تجده يقول:

وكم حلمت ببيت لا أغادره
الحب يسكنه والروح والسحر

الشاعر هنا لايبحث عن مدارارت العشق في سرادق الأندية، ولا خلف الجدران، إنه يطلب جدران الحنين لحياة تسمو بروحه وتنقله من خلال آفاقها الرحبة الوسيعة إلى تحليق كوني ساحر.
هو يحلم بشيء من التواضع بحياة يلزمها الهدوء، ذلك الهدوء الذي تحول بغمضة عين إلى ضجيج، وصخب ما عهده الشاعر في روحه، ولا اعتادت عليه، إنه بهذه القصيدة التي حملت سيرة مشاعر كاملة ظلت كامنة في جداول القلب ترفرف وتهسس وتعيد نحيب الذكريات

وقد كبرتُ وما عاد الفؤاد فتى
ما عاد يصبر للقيا وينتظرُ
جربت بُعدَك في الماضي على كمدٍ
لكنه اليوم نار فيّ تستعرُ
وشابَ قلبي، غزاني اليوم أبيضه
فهلْ سيعرف يوما كيف يعتبر؟

إنه ضمن دائرة الوعي يستوحي من مشاعره ومن ماضيه الذي غرس رحيق شوقه يمتح أبيات قصيدته الرشيقة بأسلوب بعيد عن التكلف، والصنعة الشعرية، ولا يغفل عن تضمين النهاية تلك الدعوة الرائعة التي حملت عنوان القصيدة:

عودي إليّ فإن الأرض زائلة
لم يبق في الكون إلا الحب والمطر .

(لعيون الكرت الاخضر).. وعادل سالم

الدكتورة أمل الجمل
آب ٢٠٠٦

(لعيون الكرت الأخضر) هى المجموعة القصصية الأولى للمؤلف الشاعر عادل سالم، صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام (٢٠٠٦). هى مجموعة قصص قصيرة مكتوبة بلغة شاعرية شديدة الإنسانية، وتزخر بالعديد من الأحداث الدرامية. استوحى المؤلف مجموعته القصصية الأولى من وحي الغربة التي قاسى نارها، ومن ثم أهدى كتابه إلى كل من اختار الموت بنار الوطن، بما فيه من فقر وقهر، على العيش في جنة الغربة.

تتميز (لعيون الكرت الاخضر) بالتطور السريع للأحداث، وبثراء الشخصيات التي التقطها عادل سالم من واقع الغربة في الولايات المتحدة الأمريكية.. فقد تعامل خيال وقلم القاص الشاعر مع أبطال حقيقيين، مع نماذج من أبناء الجاليات العربية المغتربين الذين عاشوا، وما زال بعضهم يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية.. إنها قصص تكشف عن خبايا النفس البشرية .. تُنقب في أعماقها، في نقاط الضعف والقوة، في مكامن الخير والشر.

تمكن المؤلف من جذب القاريء إلى عمله، فما أن نبدأ في القراءة حتى نتورط برغبة قوية في استمرار فعل القراءة. رغم أنها محاولته القصصية الأولى لكنه كان قادرا على سرد الحكايات، والأحداث التي تصلح لأن تكون مسلسلا تليفزيونيا من حلقات منفصلة.

(لعيون الكرت الأخضر) هى مجموعة قصصية لافتة للنظر بدءاً من عنوانها الذي هو أحد قصص المجموعة، مروراً بتصميم غلافها البسيط المُعبر بقوة، وعبوراً إلى عوالم أبطالها، وبطلاتها، وانتهاءً بكاتبها الشاعر الذي قرر خوض تجربة الكتابة القصصية وهى جرأة ومغامرة منه أن يُبحر في أرض جديدة تكاد تقتنصه من عالم الشعر.

قراءة في يوم ماطر في منيابولس
أدب جديد لا علاقة له بالمهجر

الكاتب: زهير كمال
كانون ثاني، يناير ٢٠١٣

للوهلة الأولى قبل بدء قراءة (يوم ماطر في منيابوليس) للأستاذ عادل سالم يتخيل القاريء أن الكتاب سيكون أحد روايات أدب المهجر، فالكاتب موجود في الولايات المتحدة، والعنوان يعطي هذا الانطباع. وربما نتذاكى فنعتبره مرحلة ثانية من هذا الأدب الذي بدأه الرواد الأوائل أمثال جبران خليل جبران، ومخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي وغيرهم من المبدعين في مطلع القرن العشرين.

بعد انتهائي من قراءة يوم ماطر تغيرت نظرتي للموضوع فهذا أدب من نوع جديد، لا علاقة له بالمهجر.
أدب المهجر هو النتاج الأدبي للعرب الذين هاجروا إلى الأمريكتين الشمالية، والجنوبية، ويتميز بارتباطه الوثيق بالوطن الأم وبهمومه، وبقضايا العرب في ذلك العصر، ورغم أن بعض المؤلفات كانت باللغة الإنجليزية مثل مؤلفات جبران، وإدوارد سعيد ثم تمت ترجمتها لاحقاً إلى العربية، إلا أنه أدب عربي كان مبدعوه يعيشون خارج بلادهم وربما كان للغربة تأثير عليهم فأطلقت العنان لإبداعهم.

احتفل العرب بهؤلاء الأدباء واعتبروا نتاجهم الأدبي جزءً من الأدب العربي الحديث. وقد وصل بعض هؤلاء المبدعين إلى العالمية.
ومن الجدير بالانتباه أن النتاج الأدبي ظل في الجيل الأول من المهاجرين ولا نجد نتاجاً باللغة العربية من الجيل الثاني الذي ولد في القارات الجديدة، ربما لطبيعة هذه المجتمعات ومشاكل الاندماج واللغة.

عاد عدد كبير من أدباء المهجر الأوائل إلى بلادهم بعد تقاعدهم، فقد كان ارتباطهم شديد الوثوق بأوطانهم، ولم تكن هجراتهم سوى لعوامل اقتصادية في الغالب.

ويوجد اليوم عشرات الأدباء العرب في الأمريكتين كما توجد جرائد دورية (أسبوعية في الغالب)، ولكن مازال معظم النتاج الأدبي يدور حول القضايا والمشاكل العربية.

في أيامنا هذه، ساهمت الإنترنت بشكل ثوري في إحداث التواصل بين المهجر، والوطن، وتتيح هامشاً واسعاً من حرية الكتابة للمبدعين في المهجر أو في الأوطان الأصلية.

يوم ماطر في منيابوليس مجموعة روايات قصيرة بلغ عددها تسعاً وعشرين قصة صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت في عام (٢٠١٢)، ويمكن إدراجها في خانة الأدب الأمريكي بلغة غير الإنجليزية.

كل القصص الموجودة تعبر عن واقع المهاجرين العرب، وحياتهم في الولايات المتحدة، أبدع الكاتب في تصوير هذا الواقع المعاش في نوع من الأدب يعتبر الأصعب، فالقصة القصيرة تحتوي على فكرة واحدة ينبغي توصيلها للقاريء خلال صفحات معدودة وقد نجح الكاتب في إيصال الفكرة في كل قصة بشكل سلس، وأسلوب شيق. وبشكل عام فالقصص تعكس المعاناة التي يمر بها مهاجرون من كل الأقطار العربية ولا تقتصر على الفلسطينيين، بلد الكاتب، ففي الغربة تزول الفرقة المصطنعة بين هذه الأقطار العربية.

وتعكس القصص مشاكل التأقلم في بلد المهجر، وهي للأسف أبعد ما تكون من السهولة للمهاجرين، فنصف عدد القصص تدور حول أفراد دخلوا السجون لسبب أو لآخر، وربعها يدور حول ارتباط أبطال القصص مع أوطانهم الأصلية، وقد لخص الكاتب كل ذلك في كلمة الإهداء لولديه عندما قال:

إلى ولديّ عمر وقيس الذين يصارعان الغربة طفلين وقلباهما في فلسطين يحلمان بالعودة اليها كل يوم.

ضمن مجموعة القصص القصيرة عدة قصص تستحق أن تكون روايات طويلة مثل قصة محمد الكاثوليكي، ابتداءً من حياة أبي محمد وهجرته من فلسطين، ووصوله إلى بورتوريكو، موته، ثم حياة محمد نفسه ودخوله السجن.

في (رحلة إلى فورت لودرديل) حياة الصديق مشهور ومغامراته مشوقة ومشاعره على سرير موته مميزة .

في كلتا القصتين تشعبات كثيرة وأفكار تستحق الإثراء.

أبدع الكاتب في القصص البوليسية في (ليلة القبض على القاتل) وهي أحداث لن توجد إلا في بيئة الكاتب الجديدة.
وبشكل عام فقد أبدع الكاتب في وصف هذه البيئة الجديدة التي يعيش فيها ووصفها بشكل واقعي مميز، وهذا يطرح سؤالاً :
من هم أبطال عادل سالم في قصصه القصيرة؟

إنهم أناس عاديون قد تصادفهم في مسيرة حياتك وستفاجأ أن قصصهم تستحق أن تروى، وهذا هو الإبداع. كما أن التقاط الحدث البسيط وتحويله إلى قصة هو في غاية التميز عند الكاتب.

- (ليلة لا تنسى) قصة ملل يرسل بطلها في نزهة بسيارته فيصل إلى المستشفى.
- (العنكبوت) قصة سلاح استعمل في السجن، تنتهي بتغيير آراء مسبقة، وصداقة.
- (رحلة إلى فورت لودرديل) قصة استرخاء وترويح عن النفس بالسفر إلى ولاية أخرى، تنتهي بمأساة اكتشاف الماضي والموت وأخيراً هناك سؤال يطرح نفسه وهو من يقرأ الكتاب؟

فجمهور الكتاب، العرب الذين يعيشون في أمريكا لن يجدوه في الأماكن التي يترددون عليها وهي محلات البقالة التي تبيع الأطعمة الشرقية التي لا تهتم بالثقافة، أما محلات بيع الكتب فمن الصعب أن تهتم بكتب مكتوبة بغير الإنجليزية فمن الصعب تسويقها وبيعها.

أما إذا أراد قاريء شراء كتاب من المصدر فإن تكاليف شحنه تبلغ أضعاف سعره، ولكن سيكون للكتاب الألكتروني فرصة للتغلب على هذه المشكلة.

وفي العالم العربي الذي يعيش مرحلة تسطيح وتجهيل مزرية فلا وجود لحركة نقد تهتم بالإبداع وتقوم بتعريف القاريء بالكتب الجديدة، إضافة إلى تقلص الطبقة الوسطى وتقلص المداخيل الذي يجعل شراء الكتب نوعاً من الرفاهية لمحدودي الدخل الذين يفضلون قضاء وقتهم أمام شاشات التلفزيون.

أتمنى لعادل سالم المزيد من الإبداع والتقدم .

دلالة المكان في أقصوصة العنكبوت لعادل سالم

الناقدة الأدبية: عائشة التركي
تموز، يوليو ٢٠١١

لا يحق لمن تصدّى بالنقد لعمل أدبي أن يفصل بين عناصره إلاّ فصلا منهجيا وذلك لترابط الأشكال مع المضامين في النصوص جميعها على اختلاف أنماطها الأدبية. ولكن بعض العناصر في النص الأدبي قد تفرض أن يركز عليها الناقد جهده لما لها من دالة على مقاصد الكاتب الذي أولاها حظوة فنية، لغوية جعلتها الأبرز من بين كل المكنونات. وقد يصبح هذا الكلام أدق حين ننظر في الأقصوصة بالذات لأنها تنهض على الاختزال، والإيحاء ولا مجال فيه للإفاضة والتزيد. ومن هذا المنطلق يشتغل الكاتب على كل مكونات النص، ولكن نراه ينتخب أدلّها على فكرته ليظهره. وهذا ما رأيته في جملة من أقاصيص عادل سالم من تركيز على السجن. وهو الأديب الفلسطيني المهاجر الذي عرف السجن (في شبابه بعد أن اعتقل من قبل السلطات الاسرائيلية مرتين بتهم سياسية و أمضى (٣٣) شهرا خلف القضبان .. كما فرضت عليه الإقامة الجبرية ...) المكان في الرواية العربية. الصورة والدلالة: عبد الصمد زايد. نشر:دار محمد علي الحامي.تونس ط الأولى ٢٠٠٣

وقد كان لتجربة السجن صدى في كتاباته، وحضور في جل الأقاصيص. وأقصوصته (العنكبوت) زمن الرواية العربية كتابة التجريب:مصطفى الكيلاني.دارالمعارف للطباعة والنشر. تونس
فضاء احتضن الحدث، ومجال تحركت فيه الشخصيات ولكنه أراد له أكثر من ذلك حين شحنه بغايات حضارية وأبعاد فكرية ونفسية..

(العنكبوت:) أقصوصة نشرت إلكترونيا في ٢٤ جويلية ٢٠١٠ وتدور أحداثها في سجن أمريكي كان السجين فيه حسام العربي المسلم يتقاسم الزنزانة مع جاك الأمريكي الذي سعى بعد أن عثر على عنكبوت سام أن يدسه في سرير حسام حتى يتأذى، غير أن العنكبوت أفلت من البرنامج الذي سُطّر له. وانقلب السحر على الساحر. ولسع جاك الذي لم يجد إلا حساما لينقذه.
القارئ للأقصوصة لن يستوقفه الحدث لأنّه حدث بسيط في جملته، ولكن اللافت هو الفضاء الذي احتوى هذا الحدث، فقد تعملق حتى غطى على كل مكوّنات

الأقصوصة الأخرى. ذلك أن انتخاب الكاتب للفضاء الذي تدور فيه الأحداث ينأى عن الاعتباطية، والعفوية وهو يُعدّ برمجة مسبقة للأحداث وتحديدا لطبيعتها وخادما للدلالة العامة من النص. فالفضاء يُحدّد نوعية الفعل، وليس مجرد إطار قاع تصبّ فيه التجارب الإنسانية..

المطلق المحدد

وقد تخيّر الكاتب أن تنطلق الأقصوصة بتوصيف المكان على الطريقة السينمائية القائمة على الانطلاق من الأوسع إلى الأضيق، من الأكبر نحو الأصغر، من العام نحو الخاص، من ولاية كانزاس الأمريكية التي هي أقرب إلى الجنوب منها إلى الشمال إلى سجن (ليفنوورث) الواقع على بعد خمسين ميلا من مدينة (كانزاس) الواقعة على الحدود بين ولاية (كانزاس) وولاية (ميسوري) ... تابعة لولاية (كانزاس). ومن الأشمل نحو الأدق لتنزل إلى داخل سجن وتحلّ في الطابق الثاني منه ذي السقف الزنكي. لنرى (جاك مستلقيا على سريره السفلي). وها هو الكاتب يُعيره عينه لينزل أكثر نحو الأسفل موظفا أسلوب الإنارة مسلطا الضوء على الجزئيات : (لمح جاك سربا من الحشرات، والصراصير الزاحفة تخرج كسرب طويل من تحت السرير). وبدقة أشد ينقل لنا توصيفا لحركتها : (نظر يراقب حركتها فلمح عنكبوتا يطاردها).

فتشكلت بؤرة ضوئية حول العنكبوت الذي أوحت (مطاردته) باستعداده للانقضاض والقتل. وهذا الضوء وإن كان استعارة من عالم الصورة والسينما إلا أن القاص لا يروم منه عرض الموجدات وما تأثث به الفضاء بقدر ما يريد تجميع جزئيات مرئية ستكون ذات شأن في بلورة الحدث والإرهاص بالنهاية الأقصوصة، وحشد تكثيفي للدلالة التي ينشدها من الأثر.

إن توظيف الأساليب السينمائية كان هادفا إلى إنشاء تقابل بين كبر العالم وشساعته وصغر السجن وضيقه. وإنشاء ضرب من التمايز المكاني كانت فيه الزنزانة عالما سفليا منحطا تؤثثه الحشرات يليها السجناء بينما تنتصب أمريكا الحرة في علوها بولاياتها الشاسعة، كما أن هذا الانحدار الذي تشكلت به صورة الفضاء السردي هو انحدار من المكان الواقعي الذي يوجد فعلا على الخريطة إلى مكان تخييلي هو الزنزانة التي وإن احتوت على (٦٤) سجينا إلا أن القارئ لا يعرف منهم إلا جاك

وحساما. جاك الأمريكي، وحساما (سجين عربي مسلم يؤدي صلاة الفجر)، والسجينان متناقضان كما يظهر من الأسماء، يرمز كل منهما إلى حضارته، (الغرب والشرق). ولكن الجامع بينهما هو المكان: السجن.

الانغلاق – الانفتاح

بنى الكاتب وصفه المكان على التقابل كما أسلفت، وأوضح وجوهه التقابل بين الانفتاح الذي مثله المكان الجغرافي، والانغلاق الذي مثلته الزنزانة المنغلقة فزيائيا على أهلها. ولكن حركية نفسية وفكرية تولدت من المغلق المحاصر ليتحول جاك الخامد جسمه بفعل الحرارة (من رجل شبه ميت إلى رجل دبت فيه الحياة)، وذلك ليضع العنكبوت في وعاء القهوة الفارغ استعدادا لإطلاقه لاحقا في فراش حسام حتى يؤذيه. ويقابل هذه الحيوية التي لم يُفصح الكاتب عن دواعيها العنصرية إلا في آخر الأقصوصة، حيوية أخرى أظهرها حسام عندما أنقذ زميله الأمريكي من لسعة العنكبوت السام.

العتمة - النور.

يُشكل الزمان مع المكان وحدة لا انفصام لها. ولكنها ظاهريا بدت في الأقصوصة مفصولة حين عمق الكاتب التضاد بين ظلام المكان ووحشته، وانفتاح أفق الشخصية العربية المسلمة على عوالم روحية مثلتها الصلاة. وأمارات هذا التقابل عبّرت عنها كلمات: (في الليل – الساعة الثالثة، والنصف صباحا الغرفة معتمة ليس فيها سوى بعض الضوء القادم من كاشفات السجن) ثم يتسلّط الضوء على حسام وهو يضع رأسه على الأرض في ركعته الأولى (سبحان ربي الأعلى) الذي تتكرّر ثلاث مرات لننطلق من الأسفل نحو الأعلى من السجن المكان المغلق إلى الفضاء الأفصح الذي يؤثثه رمزيا (الله أكبر). وإذا بحسام الشخصية المُلزمة بالمكان، المضطرة إليه، المسمرة فيه استطاع أن يفصم العرى التي تشده إلى الظلمة، والوحشة والضيق المفروضة عليه من خلال إعلاء نفسي بلّغته إياه الصلاة. فتخلص من ربقة المحدود الآسر بما هو رابطة زجرية سلطوية، وتمكن من الانطلاق نحو الأعلى. فانبجست عبر ذلك للمكان دلالات جديدة أمارتها سكينة، وطمأنينة أظهرها لنا القاص حين وصف حساما وهو

يصلي صلاة الفجر (سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، الله أكبر).
فقد أخرج القاص الشخصية من العتمة وركز عليها ضوء الفجر، وضوء كاشفات الأضواء المنبعثة من السجن، والأكثر من ذلك أنه ركز عليها الوصف بأن جعل حساما متحركا، حركة نفسية مكّنته من تجاوز الجسد نحو الروح.

الأسر، الانعتاق

وهي في الآن نفسه قلب لما كان عليه تحديد المكان في منطلق السرد والذي أشرت إليه آنفا: الانطلاق من الأشمل نحو الأدق، أو من الأوسع نحو الأضيق. ولكن بحركة الشخصية، وسماع منطوقها في الصلاة ينقلب الفضاء، السجن من مكان سفلي/ سافل بما هو مكان مذموم محتقر، نحو الأوسع، الأعلى، من عالم المحدود، إلى عوالم المطلق.

إن الأقصوصة عموما فن لا يحتمل كثرة الأمكنة لنهوضها على أحداث محدودة وقد تقتصر أحيانا على حدث واحد. ولكن عادل سالم في العنكبوت حدّ من الأمكنة حين جعل الزنزانة مكانا لاحتضان الحدث الوحيد. وهو اختيار فني له ما يبرّره حين تكون الغاية كشف فكرة مسجونة بدورها في رأس الشخصية، أو موقف أو حالة نفسية تحرّك الأحداث وتطوّرها. وليدرك القارئ ما بداخل البطل جاك، جعل الكاتب العنكبوت يظهر على أرضية الزنزانة. عنكبوت حذّرت منه إدارة السجن (عنكبوت كبير أسود، إنّه قارص ويؤدّي إلى إتلاف الجلد في المكان الذي يقرص فيه). ومن هنا تستحيل الزنزانة إلى غابة تتهدّد بأخطارها السّجين.
ولكن من يحرّك هذا الخطر؟ وضد من يُحرّك؟

إنّه سجين أمريكي «جاك» يكيد لحسام العربي المسلم ويطلق عليه العنكبوت حين يهبط ساجدا على أمل أن يؤذيه. إنّه كيد تحكمه خلفية فكرية قائمة على رؤية للعربي المسلم على أساس أنّه إرهابي. خلفية وضّحها المكان بسفلية أرضية السجن والعنكبوت بانشداده إلى عالم الحيوان غير العاقل، فتتوضّح لنا مقاصد الكاتب حين جعل السجن مدار الحدث والبؤرة التي تتكور فيها الدلالة المنطوية على الفكرة المسبقة: العنصرية المظلمة التي يحملها الغربي على العربي المسلم.

الخاتمة

إن أقصوصة (العنكبوت) على قصرها وعلى ضيق مجال (المكان) فيها مزجت بين الجهد الفني البيّن والبعد النفسي [[الأقصوصة العربية ومطلب الخصوصية:حاتم السالمي. مطبعة النصر القيروان]] إذ مكنتنا من إدراك المقاصد الحائمة حول العنصرية وتلك الفكرة المسبقة التي يحملها الغربي عموما عن الشرقي في كل مكان من العالم، وحتى داخل السجن نفسه الذي كان في الأقصوصة بؤرة لفّ ونشر لهذه الموجات العدائية التى ترسّخت أكثر بعد الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١)، ولم تستثن حتى حثالة المجتمع الغربي من القابعين في السجون. ولم يغب عن هذه الأقصوصة إلى جانب ذلك (أن الفن صناعة استشفاف المستقبل وسبق الأحداث) [[الأقصوصة العربية ومطلب الخصوصية:حاتم السالمي. مطبعة النصر القيروان]] فكانت دعوة موجهة إلى كل عربي وسبيل احتذاء للبطل حتى يغيّر الرأي السائد بسلوكه وقيمه بالاستناد إلى ديننا وحضارتنا.

المراجع:

* المكان في الرواية العربية. الصورة والدلالة: عبد الصمد زايد.
نشر:دار محمد علي الحامي.تونس ط الأولى2003

*زمن الرواية العربية كتابة التجريب:مصطفى الكيلاني.دارالمعارف للطباعة والنشر .تونس

*الأقصوصة العربية ومطلب الخصوصية:حاتم السالمي. مطبعة النصر القيروان

عاشق لأسوار القدس

الكاتب الأستاذ: إبراهيم جوهر
أيلول ٢٠١٢

سرحان خ. العاشق الذي عاد إلى القدس متخلّيا عن الحياة الأمريكية والمهنة القانونية المريحة ماديا، عاد طلبا لانسجام نفسي ذاتي وإحياء لامتداد تاريخي في القدس، وبحثا عن صمود وهوية وبقاء، آثر الكاتب أن يدفع به إلى إكمال مسيرة المعاناة في بلده والمواجهة مع قوانين الاحتلال الجائرة فقتل على أسوار القدس.

(سرحان خ.) عاد متخليا عن ثقافة غربية من أجل إحياء ثقافة عربية في القدس يعيشها مع أولاده الذين خشي عليهم الضياع والغربة، والانفصال، لكنه لم يجد القدس التي يحملها في ذاكرته الحية قبل خمسة وعشرين عاما.

ربع قرن من زمن الاحتلال غيرت القدس؛ الطرقات، والمنازل، والناس، والمفاهيم والقيم. ولم يجد سرحان خ. العاشق العائد بقناعة ثقافة المقاومة التي ترك القدس وهي تحياها وتحيا فيها قبل ربع قرن من الغربة، والعيش في أمريكا.

الكاتب وهو ينقل عشقه للقدس ويسجل أزقتها وشوارعها وناسها وذكرياتها، نقلنا إلى صباه فيها وأحيى ذاكرته المتدفقة عشقا للقدس. وجمع بين عشق المدينة، وعشق الفرد الإنساني، فنقل تجربة الراوي مع الطالبة (لمياء) والموسيقى التي يتعلمها ولده في رام الله وهو يتساءل عن (لمياء) ولده الخاصة، والمستقبل الذي ينتظر عشقهما. في إشارة إلى الواقع المضطرب غير المستقر الذي لا يدع مجالا لغير أن يأمل الفرد ويتساءل.

اهتم الكاتب بنقل الصدام الحاصل بين ثقافتين متضادتين تتصادمان في البلد بأشكال متباينة؛ الصمود والانتماء، والاستعداد للتضحية بكل شيء في جانب، والتماثل السلبي مع الواقع الجديد بما يعنيه من تخل عن قيم المقاومة حتى السلمية منها.

جاءت لغة الكاتب متفاوتة في القوة، والسرد التاريخي السياسي، والحوار. فقد أجاد في لغة الحوار الإنساني وهو يحمل نكهة العاطفة الأسرية الكوميدية أحيانا، وطغت لغة الموقف السياسي أحيانا على لغة الحوار فجاء جافا قاصدا إثبات رأي يراه الراوي وهو يتابع عددا من المسلكيات الاجتماعية الخارجة عن ثقافة خبرها، أو يفترض وجودها. فالمفاهيم تبدلت، والاهتمامات تغيرت، ولم تعد القدس على رأس سلم أولويات السلطة الفلسطينية. لذا أشار إلى مسلكيات عدد من رؤساء الأجهزة القائمة.

هذه رواية موقف. رواية تحريض وتنوير ورسم مسار للصمود، ورسالة عشق للقدس. لكن موت الشخصية المركزية (سرحان خ.) العائد إلى قدسه مضحيا بعمله في أمريكا، وبجواز سفره، كان صادما للقارئ الذي أحب هذه الشخصية، وعاش معها أحلامها، وذكرياتها وأعجب بمنطقها، وتشخيصها وتقييمها. فلماذا يموت العاشق حتى وإن كان في أحضان معشوقته؟ في الوقت الذي كان يجب فيه أن يواصل ترجمة عشقه بقاء!

كنت أحبذ ألا يميت الكاتب شخصية سرحان. لكنه أشار بذكاء إلى استمرار بقائه في ابنه، والجيل الجديد. وهذا ما يبرر مقتله على أيدي الجنود المرعوبين على سور باب العمود فنيا.

الرواية قدّمت القدس إلى القارئ بواقعها المتشظي، وحالها البائس، وأهلها المتمسكين بها، وبالذاكرة التي لا تموت إلا بموت أصحابها، لذا نقل الراوي مخزون ذاكرته المقدسي إلى أبنائه الذين أشار إلى استمرارهم في مسيرة عشق القدس.

لقد أسمى غسان كنفاني شخصيته الرئيسة في (عائد إلى حيفا) سعيد س. وكانت نهايتها انتظار مواجهة بين الفدائي خالد و(دوف) الذي كان اسمه خلدون. بقيت النهاية هناك مفتوحة وهي تعالج مسألة فلسفية وطنية. وعند (عادل سالم) جاء التأثر بطريقة التسمية التي أشارت إلى اسم العائلة برمز الحرف، وبانتظار إكمال الأبناء لمسيرة الصمود.

عودتان؛ إلى حيفا، وإلى القدس، والمستقبل هو الحكم.

صدرت الرواية عن منشورات الجندي للنشر والتوزيع ٢٠١٢م. وجاءت في ٢٥٩ صفحة .

عادل سالم في (لعيون الكرت الأخضر)

نازك ضمرة
أيار ٢٠١٢

حين تتاح الفرصة لتقرأ لكاتب ما، تشعر أنك تدخل عالماً جديداً يضيق ويتسع حسب قدرتك على استيعاب ما تقرأ، وكذلك للوقت والجو العام أهمية كبيرة في الأثر الذي يتركه النص في القارئ، ثم إن هناك عوامل أخرى أساسية تتواجد أو تتوالد بسبب تقارب، أو تضارب فكر وثقافة القارئ مع فكر وثقافة كاتب النص، يضاف لهذا خبرة الطرفين في الحياة، هذه عوامل أساسية تؤثر فينا كتاباً كنا أو قراء، وفي رأيي أن أي قارئ يكون ناقداً إن كان مخلصاً في قراءته، ومتابعاً لمجريات الأحداث في أي نص نثراً أو شعراً، أو دراما، وحتى كاتب النص نفسه يكون ناقداً لكتابته بشكل مختلف في كل مرة يعود فيها لقراءة مادة كتابته.

لقد سبق وقرأت لعادل سالم قصصا في مواقع، وأوقات مختلفة، لكنها المرة الأولى التي أقرأ فيها المجموعة المعنونة «لعيون الكرت الأخضر» كاملة، والصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. وللعلم إن عادل سالم يحمل الجنسية الأمريكية، وولد ونشأ وتربى وتعلم في مدينة القدس عاصمة الدولة الفلسطينية، لكنه كغيره الكثيرين من الشباب العرب الذين سحرتهم مظاهرالعظمة الأمريكية، وسطوتها الاقتصادية والعسكرية، فنجح في الهجرة والاستيطان بها، متزامناً في ذلك مع بدء وتواصل الغرباء والصهاينة في الاستيطان في فلسطين العربية المقدسة. وعادل سالم من مواليد ١٩٥٧ أي أنه ما زال في الخمسينيات من عمره.

لقد جرت العادة أن يختار المؤلف عنوان كتابه من معنى القصدية التي تدور في رأسه وقت صدور كتابه تلميحاً، أو ترميزاً، أو مباشرة، أو أن تحمل المجموعة عنوان إحدى قصصها، لأن الجو العام لكتابه، ومقاصده ملخص أو مضمّن في هذه القصة، لكن واقع الحال في مجموعة عادل سالم القصصية، نجد أن كل قصصها تدور في أجواء ومجريات المعاناة من أجل الهجرة لأمريكا أو بعد النجاح بالاستقرار نظامياً فيها سعياً وراء النعيم الموهوم والغنى المأمول، أي أن العنونة هي موضوع كل قصص المجموعة،

ويكتشف معظم المغامرين للوصول إلى أمريكا لهدف الحصول على الإقامة النظامية أنهم كانوا يجرون وراء سراب يحسبه الظمآن ماء، شقاء ومعاناة يتوالد عنهما نتائج إيجابية وسلبية في آن، كأي حياة في أي بلد آخر، لكن الإنسان العربي حين يولد ويكبر في بيئته يكون أكفأ عادة في التكيف مع مجتمعه وبلاده بسبب تشربه التراث وتطبيقه ببطء وبشكل تلقائي، بمعاونة الأهل، والحارة، والمجتمع، والمسجد، والكنيسة والنظم، والقوانين المتبعة، والتي تسري على كل فرد دون تفرقة، ولا تعنصر.
أما حين يسافر إلى أمريكا مهاجراً فسيجد بيئة معادية من كل اتجاه، سواء في التعامل مع البشر، أو الأنظمة، أو عادات الطعام، واللباس، واللهو، والكلام، واللغة والعادات والتقاليد، ورموز الكرامة، ومجالات الحرية والتحرر واستقلالية الفرد وشعوره بهذا التفرد، تفاصيل كل هذه البنود ترد في جميع قصص المجموعة جزئياً او كلياً، وبالتسرع في الحكم فإن الكاتب أراد أن يخبرنا رفضه أو عدم رضائه عن ظاهرة تفريغ الأقاليم العربية من خيرة شبابها النشطين، ليضحوا بشبابهم وقدراتهم لإعمار بلاد أخرى لا تكن الود ولا الصداقة للإنسان العربي، ولاتحفظ المعروف لهم ولا لأهاليهم. وكل قصة تقول للقارئ وللشاب أن الكاتب لا يشجع على هجرة الأرض التي نشأ بها الشاب، سعياً وراء الثروة، والغنى المزعوم، وقد تصبح هذه الثروة هي المدمر لحياة الأنسان وأسرته، وشرفه، أو صحته، سواء أثناء سعيه للوصول لها أو بعد حصول الغنى.

وأهم ما أود قوله هو أن عادل سالم أبدع أيما إبداع في تشخيص هذا المرض العضال، وكل قصص المجموعة فيها نماذج من الآثار السيئة، والسلبية الناتجة عن هجرة الشباب لبلادهم، وشعوبهم وأثار أسئلة كثيرة، ومن الأمثلة على ما يتوقعه المهاجرون لأمريكا (الناس بتفكر أن كل واحد في أمريكا مليونير...) صفحة ٢٨، (وبعد موتي في أمريكا سينقرض اسم تميم، لأن أحفادي سيلحقون باسم أبيهم الأمريكي) صفحة ٨٦، (لكن يا رباب، لا يمكن الحصول على كرت إقامة بغير زواج؟ فتجيبه رباب: (أعرف ذلك، ألديك عريس يتزوجني صورياً...؟) صفحة ٨٩. هذه النماذج هي إشارات ضوءٍ حمراء دالة رامزة لما أراد الكاتب التنبيه له وكشفه بقوة، وإصرار يكاد يكون مكرراً في كل حكاية.

وكشف عادل سالم عبر قصص مجموعته العشرين مشاكل مخفية تتطلب أبحاثاً وآراء وإجابات بمساهمات من كل عربي، لأنه لم يجد لتلك الأعراض علاجاً ولا حاول وصف أي علاج، وأعتقد أنه يعلم أنه مرض خبيث عصي على المعالجات التقليدية المعروفة.

إن أسلوب عادل سالم السهل الممتنع في السرد يلامس العاطفة ويسحر مشاعر القارئ، فتأتي كتابته بأسلوب إنسيابي سلس سهل على التعايش معه، وتتبعه، لا بل وجذاب يعرف كيف يؤثر في القارئ، فيجعله مشاركا كاتب النص في متابعة الحدث، وهذه النقطة جوهرية وتعتبر مقياساً لنجاح الكاتب في توصيل الفكرة التي يريد توصيلها لذهن القارئ، أي أن عقل القارئ يلامس عقل الكاتب، والنص ينجح أيما نجاح حين يساهم القارئ مع الكاتب في توصيل الفكرةٍ وتفهمها، يقترب كثيراً من المشاعر الإنسانية في كل ما يكتب مما يجعله متميزاً بأسلوبه الروائي الحكائي. ويمكن تشخيص نصوص، وحكايات «لعيون الكرت الأخضر» من ناحيتين:

الأولى: أسلوب عادل سالم القصصي، والثاني: ترابط القصص والأحداث وتشابهها في طبيعتها وبيئتها.

فقصص «لعيون الكرت الأخضر» هي حكايات يومية لأناس انغمسوا في حياتهم وتجاربهم بعمق، وتحكي كل قصة تفاصيل يومية دقيقة تشهد على صدق الراوي العليم وخبرته واندماجه مع أبطال القصة وهم يبوحون بأسلوب لا يرتبط بمواصفات القصة القصيرة بشكل دقيق، فالكاتب متحرر من أي قيد، ويكتب بشكل انفعالي وفي تحرر من أي قيد بحماس منقطع النظير، وهي ميزة تحسب لكاتبنا عادل سالم، لأنه مخلص في عمله وتكتشف أن لديه قناعة بأنه سيغير العالم، والعقول بكتابته أو أنه يهدف للوصول إلى هذه النتيجة.
القصة القصيرة هي وليدة لحظة قصيرة، تبدأ وتنتهي في تلك اللحظة أو الموقف الذي قد يطول دقائق أو ساعة أو ساعات لكن بأحداث تتابع دون توقف، وللتغلب على كون القصة تحتاج إلى يومين أو شهور أو سنين، فنستعين بالاستدعاءات، أي أن تبدأ القصة قرب وقت التنوير، والنهايات، ونعود للماضي كذكريات، (استيقظ أبو أنور صبيحة اليوم التالي مبكراً....) صفحة ٢٦، (استيقظ مبكراً صبيحة اليوم الثالث...) صفحة ٢٩.

ومن الميزات الأخرى لأسلوب عادل سالم في هذه المجموعة اتكاؤه على المحكي اليومي، والاقتراب من العامية حين يتطلب الموقف بيان مستوى ثقافة أحد شخوص القصة.

أما توقفي الثاني في نصوص المجموعة، فهو تشابه القصص ومواضيعها، وهموم شخوصها، وكل قصص المجموعة لها هدف واحد هو الترهيب من عواقب مغامرات الشباب للهجرة إلى أمريكا، والنتائج الوخيمة التي قد تصيب المهاجر بشلل في حياته، كالسجن أو تقضي حتى على حياته بدل العودة لأهله وبلده سالماً ومعه ثروة، حتى لو بعد عشرين عاماً او أكثر، ليعود عجوزاً، او مريضاً، او مقعداً، ولا يسعنا إلا أن نعجب ونغبط كاتبنا على هذا الصبر في الوصف التسجيلي الدقيق لنماذج الخراب الذي يتراكم عبر كل القصص، وعلى الإحاطة العميقة بهموم الشباب الذين هاجروا لأمريكا.

وقبل أن أختم مقالي العاجل لا يسعني هنا إلا أن أتمنى على عادل أن يواصل كتابة مثل هذه النماذج الواقعية وبعضها يتجلى بالواقعية السحرية ليصبح مجموعها ألف قصة وقصة، أو خمسمائة وخمس قصص على الأقل، لأن المنهج الذي تجلى في قصص هذه المجموعة يشابه نمط حكايات (ألف ليلة وليلة) إلى حد كبير، وكأن عادل حين ينتهي من قصة يترك في نفوسنا أثراً ورغبة في قراءة حكاية جديدة، وحين ينتقل لقصة جديدة فإنه يضطرنا لمتابعته ليتحفنا بحكاية جديدة أخرى ليوم جديد، ويحمل القارئ معه برغبة ومتعة وكأنه يقرأ حكاية ليلة جديدة من ليالي الف ليلة وليلة، لهذا تمنيت إن كان بإمكانه أن يكتب الف قصة وقصة، لتصبح تراثاً تتداوله الأجيال وإنجازاً يضاف إلى ثراء لغتنا العربية والآداب، واؤكد أنها ستجد اهتماماً عالمياً بترجمتها للغات متعددة.

وفي الختام أنوه إلى ملاحظة تنطبق على الكثير من قصص المجموعة، وأمثل لها بقصة عملية إعدام ناصر في القصة الأخيرة والمعنونة (بلستينا) والذي صدر بحقه وحق زوجته مكسيكية الأصل قراراً قطعياً بإعدامهما، وسؤالي هو كيف عرف الراوي العليم كل ما دار في عقل المحكوم عليه بالإعدام، وما تذكره في الدقائق الأخيرة قبل تنفيذ حكم الإعدام به؟ وحتى إن السارد العليم واصل سرد ما يدور في عقل ناصر أثناء تنفيذ حكم الإعدام به، وهذه التفاصيل والاستدعاءات هي التي شكلت مضمون القصة وتفاصيلها، علماً بأنه لا مجال لأحد بالتواصل مع المحكوم بالإعدام في لحظاته الأخيرة أو التحدث إليه، هذا من ناحية، ولأنه كان ينطق بما في نفسه ولنفسه، ويتذكر كل ما مر به من مشاكل وأسباب أوقعته في جريمة قتل ابنته التي تمردت على آداب السلوك الأسري تأثراً بالحرية المنفلتة للشباب الأمريكان، ثم وإدمانها على شرب الكحول، وتعاطي المخدرات، ومع شاب أمريكي أسود، مع أنه كان من الممكن جعل المحكوم عليه بالإعدام يقوم بسرد تلك الأفكار، والذكريات لشخص من أهله أوللشرطي

مثلاً في زيارة ما قبل يوم تنفيذ حكم الإعدام، ويمكن أن يكون السارد العليم مقبولاً في قصة أو اثنتين من المجموعة القصصية، لكن أن يكون سائداً في جميع القصص فهو أمر جدلي، وللتغلب على تحييد السارد العليم ما أمكن طول الوقت، فيمكن للكاتب خلق شخصيات ليؤدوا المهمة المطلوبة كفضح حالة أو كشف تصرف ما، بحوار قصير أو عابر مع فاعل الحدث، ثم يخرجهم الكاتب بموت، أو سفر، أو خروج من مسرح الحدث.

ومثال آخر وأخير على فرض الراوي العليم لنمط تفكيره، بأن يضع الكلام في فم وعقل إنسان آخر، ففي قصة (من أجل ولدي) صفحة ٢٠١، يستأجر شوقي سيارة تاكسي حين زار بلدة زوجته في المكسيك ليخطف ابنه منها دون علمها، فادعى للسائق بأنه يستمتع بمشاهدة الشوارع العتيقة وأي مناظر محلية، فيتبادر إلى الذهن السؤال التالي: إن الراوي وهو ناصر شخصية القصة الأساس، كيف عرف ما كان يفكر فيه سائق سيارة الأجرة المكسيكي وفي بلده المكسيك؟ (قال السائق في نفسه: مجانين هؤلاء الأميركان، يصرفون فلوسهم على الكلام الفارغ، ماله، وللشوارع القديمة والزبالة التي تزكم الأنوف؟....) صفحة ٢١٨ ثم يقول السائق لنفسه: (المهم أن أقبض الخمسين دولاراً مساء اليوم، ومن يدري ربما يعطيني خمس دولارات زيادة) نفس الصفحة ٢١٨

وأخيراً إن ذكر قرية ترمسعيا لم يخدم القصة، وكان من الممكن شطبها أو ذكر أن ناصر من إحدى القرى الفلسطينية، أو منطقة رام الله دون تحديد لايفيد.

حوارات صحفية

نصوص بعض الحوارات الصحفية التي أجريت معي
في فترات زمنية مختلفة، من قبل بعض الصحفيين،
ونشرت في صحف ورقية، ومواقع إلكترونية مختلفة.

حوار مع الصحفي وحيد تاجا

جرى اللقاء في
كانون أول ديسمبر عام ٢٠١٣

قال الأديب عادل سالم: (إن أدب السجون مازال يعاني من الشخصنة ومدح الذات، حيث يحاول فيه كل كاتب أن يروّج لسياسة حزبه، أو يمجّد دوره، يركز فيها على الدور النموذجي للأسير بأنه السوبر مان البطل القاهر، دون الغوص عميقا في أعماقه الإنسانية). وأضاف في لقاء مع (مؤسسة فلسطين للثقافة):

نحن كحركة ثقافية فلسطينية ما زلنا مقصّرين بهذه الناحية ولم نعط الاهتمام المطلوب لتوثيق أدب المقاومة الفلسطيني، وتقديمه لأجيالنا القادمة كما يليق به .. كلنا مقصرون.

وعن دقة رصده للأوضاع الإنسانية في روايته (عناق الأصابع) قال:
عبّرت الرواية عن الواقع المؤلم للأسف، فهناك آلاف المناضلين وليس قلة فقط تخلوا عن شعاراتهم بعد اتفاق أوسلو، وتحولوا إلى مجرد موظفين ينتظرون راتب آخر الشهر.. وأضاف: والأكثر أسفا أن بعضهم أصبحوا موظفين في أجهزة الأمن الفلسطينية، وأوكلت لهم مهمات اعتقال المقاومين، أو المعارضين، والتحقيق معهم، وضربهم بعد أن كانوا يوما يقتسمون معهم قيد الأسر.

ويذكر أن الأديب عادل سالم مواليد (١٩٥٧)، البلدة القديمة في القدس، حي (القرمي) الكائن ما بين المسجد الأقصى وكنيسة القيامة. رئيس تحرير ديوان العرب. مقيم حالياً في الولايات المتحدة.

اعتقل عدة مرات من قبل السلطات الإسرائيلية، وساهم مع كتاب آخرين في تطوير الحركة الثقافية في السجن، حيث شارك في تحرير بعض المجلات الاعتقالية المنسوخة باليد.

صدر للكاتب: عاشق الأرض (شعر)، نداء من وراء القضبان (شعر)، لعيون الكرت الأخضر، (قصص) عاشق على أسوار القدس، (رواية) عناق الأصابع، (رواية) قبلة الوداع الأخير (رواية).
فضلا عن دراسة توثيقية بعنوان (أسرانا خلف القضبان).

- هل يمكن إعطاؤنا لمحة عن البدايات.. من الذي أخذك إلى الكتابة، ومن أغراك بها؟

- منذ صغري انجذبت نحو الشعر خصوصا عندما قدم لي والدي رحمه الله، وكان عمري ثلاث عشرة سنة أو أقل ديوان شعر للشاعر عمر الخيام كان قد استعاره من صديقه الأستاذ سعيد السلايمة في القدس المحتلة، وطلب مني أن أنسخه له كاملا لأنه لم يعثر على نسخة من الديوان في مكتبات القدس ليشتريها فقمت مرغما بنسخه من الغلاف إلى الغلاف. ومن هناك بدأت رحلتي مع الكتابة. كنت أكتب الشعر، والمقالات الصحفية حتى عام (٢٠٠٤) عندما نصحني الدكتور أحمد زياد محبك مدرس الأدب العربي في جامعة حلب في سوريا الشقيقة أن أتوجه للسرد، لأنني سأبدع فيه أكثر من الشعر فاستجبت لنصيحته وخضت منذ ذلك الوقت معترك الإبداع القصصي والروائي.

- ما الذي كنت تبحث عنه في انتقالك من الشعر إلى الرواية.. وهل حققت لك الرواية ما لم يحققه لك الشعر..؟

- الانتقال من الشعر إلى السرد انتقال إلى شكل جديد من الإبداع الأدبي كي أوصل للقارئ العربي ما لم أستطع أن أنقله له بواسطة الشعر، فعالم السرد عالم أرحب، وأكثر تأثيرا لأنه يقدم للقارئ مجتمعا كاملا بشخصياته، ومشاكله، وأحزانه، وأفراحه. بالإبداع السردي، أو الروائي نستطيع أن نقدم ما لا يمكن أن نقدمه بالشعر، فكل نوع من أنواع الإبداع الأدبي، أو الفني له وظيفته، وتأثيره، وطريقة مخاطبته لعقل الإنسان، ومشاعره.

- إلى أي مدى كانت السيرة الذاتية حاضرة في روايتيك (عناق الأصابع)، و(عاشق على أسوار القدس)، أو حتى في قصصك القصيرة.. وهي ظاهرة ملفتة، لا سيما في الأعوام الأخيرة، حيث أن معظم الروائيين يستلهمون من سيرتهم الذاتية.. لماذا..؟

- (عناق الأصابع) كانت تجربة الحركة الأسيرة الفلسطينية، ولم تكن سيرة ذاتية، وشخصيات تلك الرواية معظمهم شخصيات واقعية ما زال بعضهم حيا يرزق، أردت فيها أن أنمي عنصر العمل الجماعي، والكفاح الوطني، لا تمجيد الفرد، أو الذات لذلك

من يقرأ تلك الرواية سيجد أنها لا تركز على بطل محدد، وشخصية الرواية الرئيسية علي النجار رمز لكل أسير عانى من قيد السجان.

بقية قصصي، أو رواياتي هم أشخاص من لحم ودم، وأنا أنقل قصصا عشتها، سمعتها، عرفت أبطالها، وليس فقط سيرة شخصية أحاول أن أحييها. شخصية سرحان الخطيب في رواية (عاشق على أسوار القدس) تمثل كل مقدسي مغترب جردته سلطات الاحتلال من حقه في العودة، والعيش في المدينة التي ولد فيها، ولست إلا واحدا منهم، شخصية علي النجار لا تمثلني شخصيا وإن كنت أحلم أن أكون بصلابته.

- لعل أول ما يستوقف القارئ لروايتك (عاشق على أسوار القدس) هو ذلك «العشق الصوفي» الذي يربطك بالمدينة المقدسة، حتى بدا وكأنك تحاول التأريخ للمدينة وأزقّتها وحاراتها.. وحتى علاقات أهلها الاجتماعية.. ما سر هذه العلاقة مع القدس بالذات..؟

- القدس مهد الطفولة، والشباب. فيها ولدت، وترعرعت وكونت ثقافتي، وشخصيتي، في حاراتها عرفت قيمة الوطن، في مدارسها كونت أول وأجمل صداقاتي، وفي شوارعها شيعت بعض شهدائها مثل محمود الكرد، وعبد الله الحواس، وآخرين. وفيها اعتقلت، وواجهت مع أبناء جيلي عنف الاحتلال، واضطهاد جنوده، فكان لا بد والحال هذه أن تكون المكان الأكثر قدسية لي. وقد شكلت الغربة عن الوطن شعورا بالتقصير تجاه المدينة التي أحببت فحاولت أن أعوض هذا التقصير وأقدم للقدس بعض واجبي تجاهها.

- جاء طرحك لموضوع العودة إشكاليا في هذه الرواية من خلال عودة المحامي سرحان خ. من أمريكا إلى القدس بعد خمسة، وعشرين عاما.. طلبا لتوازن نفسي داخلي، لكنه بعد معاناة مع الواقع الجديد قتل على أسوار القدس... ما هي المقولة التي أردت إيصالها للقارئ من خلال هذه النهاية..؟

- سرحان خ قتله المحتلون لأنهم يريدون تفريغ القدس من سكانها الشرعيين بكافة الوسائل، وهو يمثل حالة وليس فردا، فالعشاق الحقيقيون للوطن قدموا أرواحهم في سبيل أوطانهم، ولا غرابة في ذلك، فقد قتلوا قبله محمود الكرد، وعبد الله الحواس، وعمر القاسم وغيرهم الكثير.

- ولكن هذه النهاية لسرحان ومقتله على يد الاحتلال.. كيف تنظر لانعكاسها على الأشخاص الذين يفكرون بالعودة إلى القدس من أمريكا أو غيرها.. فهو ليس قيس بن الملوح كما أنه ليس القسام، أو أبو جهاد، أو الشيخ أحمد ياسين..؟

- كل الأشخاص المقدسيين المغتربين عن الوطن أصبحوا يدركون أن العودة ليست نزهة وليست سهلة، وهي تحتاج لصبر، ومثابرة وتضحية، وعزيمة لا تقهر، وهناك كثيرون رجعوا وعانوا وصبروا وما زالوا دون وثائق رسمية تسمح لهم بالتنقل، في حين نجح آخرون في انتزاع حقوقهم، وفشل آخرون وعادوا إلى الغربة من جديد. موت سرحان الخطيب حسب وجهة نظري ليس هزيمة بقدر ما هو انتصار من نوع جديد، انتصار حالة الوطن على حالة الغربة، وتأكيد للاحتلال أن الفلسطيني يفضل الشهادة على الطرد عن وطنه.

- بالتالي ما هو المطلوب من الرواية أساساً.. تشخيص الواقع وطرح الأسئلة.. أم إيجاد الحلول..؟

- عندما تقدم الرواية حلولا واضحة المعالم فهي تريح القارئ من التفكير وتعلمه دوما أن يجد كل شيء جاهزا، فشعوبنا العربية تعودت على أن يأتي الفدائي ليخلصها من مشاكلها، ولذا ترى الملايين في الصفحات الاجتماعية تنتظر صلاح الدين ليحرر لها القدس، وآخرون ينتظرون المهدي وهلمجرا.
على القارئ أن يعي أن زمن الاعتماد على الأفراد انتهى، وأن عليه واجب المشاركة مع ملايين غيره ليبني وطنه الجديد، عليه أن يفكر، أن يستنبط بديلا لما هو فيه، الرواية باستشهاد بطلها تطرح على المواطن المقدسي سؤالا: لماذا استشهد سرحان؟ لماذا حصل هذا؟ ما المطلوب؟ كيف نواجه الاحتلال؟ ما دورنا؟ أين الخلل؟ من المسؤول؟ والجواب يجب أن يكون لدى القارئ نفسه.

- أيضا، رسمت صورة واضحة لذلك الصدام الحاصل بين ثقافتين متضادتين تتصادمان في القدس بأشكال متباينة؛ الصمود، والانتماء والاستعداد للتضحية بكل شيء في جانب، والتماثل السلبي مع الواقع الجديد بما يعنيه من تخل عن قيم المقاومة حتى السلمية منها..؟

- نعم هذه هي القدس اليوم تعيش حالة من الإحباط، حالة من الصراع بين رفض الواقع، والمعاناة، وبين البحث عن طريقة للتأقلم مع الواقع الذي فرضه الاحتلال عليها، واقع مؤلم يمكن وصفه بجملة أستعيرها من عنوان لكتاب للكاتب الفلسطيني عادل سمارة (التطبيع يسري في دمك)، تطبيع فرض نفسه على حياة الناس وتأقلموا معه، أغاني عبرية تصدح من مسجلات سيارات بعض المواطنين، أغذية غير ضرورية إسرائيلية تملأ ثلاجاتنا، هناك مواطنون لا يحلو لهم إلا التسوق في الأسواق الإسرائيلية، التنزه في المناطق اليهودية... عنصر المقاومة خف أو فتر، وهذا سببه اتفاق أوسلو وحالة الركود التي حولت الفصائل الفلسطينية المحسوبة على السلطة الفلسطينية لفصائل تقاوم بالفيسبوك، وتويتر، وتبحث عن طريقة تقدم فيها رواتب موظفيها.

- بالتالي إلى أي مدى يستطيع الكاتب أن يكون حيادياً في تسيير شخصيات روايته؟

- يستطيع وعليه أن يبذل جهده في ذلك كي يكون عنصر الإبداع أقوى ويقدم للقارئ الحقيقة دون تزييف وإسقاط. كلما نجح أن يكون حياديا يكون أكثر إبداعا.

- طغت لغة الموقف السياسي أحيانا على لغة الحوار.. مما جعل الرواية أقرب إلى الحكايات والتقارير الصحفية.. وبالتالي إلى أي مدى يسمح للموضوع الفلسطيني أن يطغى على جمالية الرواية وفنيتها..؟

- هذا رأي لبعض الكتاب، وليس رأيهم كلهم وكل الاحترام لآرائهم. أنا أهتم برأي الناس العاديين أكثر لأنني أريد أن أصل لعقولهم، وقلوبهم.

الحوار مهم في رواية مثل تلك الرواية، وهو تعبير عما يجيش في صدور شخصيات الرواية بأفواههم، وهي مقدمة لسيناريو يمكن أن يستخدم لتحويل الرواية لمسلسل تلفزيوني. لا يوجد هناك شكل واحد للعمل الروائي، هناك أشكال عديدة، وما زلت في بداية الطريق، وكل الآراء محط اهتمامي.

- بصراحة كنت موفقا جدا في عنوان روايتك (عناق الأصابع) فقد حمل بعدا إنسانيا رائعا واختصر ببساطة مضمون الرواية..؟

- (عناق الأصابع) أبدعه أسرانا خلف القضبان عندما كانوا خلال مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين يعانقون زوارهم، وأحبتهم بأصابعهم فقط من خلال

الشبك الحديدي، والقضبان التي تفصل بينهم ولا تسمح لغير أصابعهم بالعناق، فكانوا بهذا العناق الفريد يتبادلون مشاعر الحب، ودفء العاطفة وهو عناق لم يعرف مذاقه إلا من اكتووا بالأسر في تلك المرحلة. كان للأصابع لغة عشاق لكنهم عشاق من نوع آخر. وقد كنت واحدا منهم ولست أولهم ولا آخرهم.

- اعتبر النقاد (عناق الأصابع) من الأعمال الهامة والنادرة من حيث تقديم الأسير كإنسان اجتماعي من لحم ودم.. يحتاج إلى الحب مثلما يحتاج إلى الغذاء ومثلما يتوق إلى الحرية.. واختلفت بذلك عن وجهة النظر حول تصوير الأسير الذي لا يقهر؟

- الأسير، والمناضل، والجندي الذي يخوض الحرب كل منهم إنسان له مشاعر، وعواطف متنوعة، يضعف أحيانا، يقوى في أخرى، يحب، ويكره، مثله مثل أي إنسان، وتصويره بأنه بطل خارق مثل سوبرمان يحللنا من التزامنا ناحيته، ويجعلنا ننظر إليه بهالة قدسية، لا يخطئ، لا يحب، لا يكسر، سيحررنا من الاحتلال حتى وهو خلف القضبان، الرواية هنا تبرز الوجه الإنساني للأسير، الوجه المشرق المضيء، تقدمه كما هو دون تلوين، أسير أتعبه الأسر، ينشد التحرر الذي هو مهمتنا نحن تجاهه. هذا هو هدف الرواية، وقد نجحت في ذلك.

- يلاحظ التركيز في أعمالك على الربط بين السياسي، والاجتماعي والثقافي والذي تجلى في رصد (عناق الأصابع) بدقة الأوضاع الإنسانية للأسرى، وتحول القناعات والشعارات، وانهيار الإيديولوجيات، في صفوف المناضلين، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية..؟

- عبرت الرواية عن الواقع المؤلم للأسف، فهناك آلاف المناضلين وليس قلة فقط تخلوا عن شعاراتهم بعد اتفاق أوسلو، وتحولوا إلى مجرد موظفين ينتظرون راتب آخر الشهر. والأكثر أسفا أن بعضهم أصبحوا موظفين في أجهزة الأمن الفلسطينية وأوكلت لهم مهمات اعتقال المقاومين، أو المعارضين، والتحقيق معهم، وضربهم بعد أن كانوا يوما يقتسمون معهم قيد الأسر.

الرواية رصدت التحولات الفكرية لدى المناضلين خصوصا في صفوف اليسار الذين تحول كثيرون منهم إلى الاتجاهات الدينية، أو اليمينية وتخلوا عن كل مفاهيمهم القديمة، وكثيرون من كل الاتجاهات تحولوا من مناضلين إلى منتفعين، ينشئون جمعيات هدفها الأساسي تقديم المشاريع الوهمية للدول الأوروبية ليقبضوا دعما

ماليا يصرفونه في الغالب على أنفسهم موهمين الآخرين أنهم يناضلون من أجل الشعب، والوطن مع أنهم اغتنوا وكونوا ثروات مالية لم يكونوا يحلمون بها، قادة وطنيون كثيرون طلبوا اللجوء السياسي، أو هجروا بلدانهم الأساسية ليستقروا في دول الغرب، قادة آخرون سرقوا أموال أحزابهم وهربوا إلى كندا، وأوروبا.. كل هذا حصل بعد أوسلوا.. نعم حدث انهيار واسع في المفاهيم، والشعارات، والقناعات.. وهذا ما رصدته الرواية.

- جاءت الرواية واقعية بامتياز، لا خيال فيها، رصدت بدقة متناهية ما يدور في أقبية السجون.. وحتى الأسماء الواردة في الرواية كانت أسماء حقيقية في غالبيتها العظمى.. مما أوقعها في مطب التقريرية والتسجيلية..؟

- الخيال ضروري، وكل عناصر الإبداع ضرورية، هي روايتي الأولى وأحببت ألا ألون واقع الأسر وأن أنقله لأبناء شعبنا، وأمتنا كما هو دون تغيير، ودون طمس قضيتهم، وتحويلها لشعار نستذكره في المناسبات الوطنية.. في الرواية يتحدث الأسرى بلسانهم لا بلسان الكاتب.

- لماذا يقتل الحب في أعمال عادل سالم.. عشنا مقتل علي النجار بطل (عناق الأصابع).. والمحامي سرحان خ ، في (عاشق على أسوار القدس).. وكأنك تخشى من الحب والفرح أن يأخذ مداه..؟

- كما أشرت أبطال الرواية الأساسيون استشهدوا لأنهم الأكثر عشقا للوطن، وعشاق الوطن يستشهدون من أجل من يحبون، هذا هو الواقع فكيف أغيره؟ ياسر عرفات مات قتلا، أحمد ياسين استشهد بصاروخ، عبد العزيز الرنتيسي مات بقصف صاروخي، أبو جهاد قتلوه في تونس، عمر القاسم استشهد في الأسر، محمود الكرد استشهد في شارع باب خان الزيت في البلدة القديمة، أبو علي مصطفى قصفوا مكتبه بصاروخ فتحول ركاما وقس على ذلك الكثير... فهل تريد من أبطال الرواية أن يكونوا عشاقا خلف مكاتبهم يحملون هواتفهم النقالة ويرسلون رسائل نصية لمعشوقاتهم؟ لن يتركهم الاحتلال يهنأون، كيف ينتصرون وما زال الاحتلال جاثما فوق رؤوسنا، انتصارهم يريحنا ويدغدغ عواطفنا، فنصفق لهم ونحن جالسون، لكن استشهادهم يصرخ فينا ويحثنا على الصمود واستمرار المواجهة.. استشهادهم يعرينا يكشف زيف شعارات بعضنا، يشعرنا بتقصيرنا، يشجعنا على الصمود، والتحدي، واستمرار المسيرة.. كاتب الرواية نفسه بكى أكثر من مرة على شخصية علي النجار وهو يسقط شهيدا وزاد

حقدا على الاحتلال فكيف بقارئ آخر، عندما شيعت علي النجار في (عناق الأصابع) تذكرت الشهيد عمر القاسم، والشهيد عبد القادر أبو الفحم، ومحمود الكرد، ونسيم زيد، وعبد الله الحواس، وغيرهم فشعرت كم نحن مقصرون تجاه أسرانا، وكيف تخلينا عن وعدنا وعهدنا لشهدائنا.

- ولكن الحب يموت أيضا في روايتك الرومانسية (قبلة الوداع الأخير).. عشنا لحظات الانفصال، رغم الحب العنيف المتبادل، موت رانيا.. وهي لم تمتد دفاعا عن الوطن كحال الشهداء الذين ذكرتهم.. ولهذا أكرر هل تخشى للحب أن يأخذ مداه..؟

- رانيا الجميلة، الوديعة صاحبة البسمة الرقيقة ماتت لأنها واحدة من ضحايا الحرب الأهلية اللبنانية، وقد مات الحب فيها منذ اختطافها، واغتصابها وهي طفلة، وهي صرخة في وجه اللبنانيين أن التفكير في الحرب الأهلية من جديد معناه المزيد من الضحايا، والمزيد من الحب الذي سينتحر على صخرة الحقد، والاقتتال الأعمى.. ورواية (قبلة الوداع الأخير) رواية حقيقية وليست من خيال المؤلف..

- في (قبلة الوداع الأخير) ظهر وكأن هناك التباس وتناقض في العلاقة بين الزوجين (السابق واللاحق).. أيضا لماذا يستغرب البعض تحول الحب إلى صداقة.. مع أن الحالات ليست غريبة عن الواقع..؟

- رانيا تزوجت مرتين مرة زواجا حقيقيا من سامح، والثاني زواجا صوريا أو ورقيا من فادي بهدف حمايتها من أقوال الناس بسبب تحريض زميلاتها عليها.. الزوج الأول كان يحاول أن يعاملها كزوج وكانت تخاف منه لأنها كانت تكره معاشرة الأزواج، لكن الثاني كان زوجا صوريا ولم يكن يحلم بها كزوجة، ولم يحاول أن يمارس دوره كزوج عليها، وكانت تعرف ذلك وتشعر به لذلك كانت ترتاح معه لأنه كان صديقا وليس زوجا..

- في كل من رواياتك، وبعكس العديد من أقرانك، أعطيت المرأة دورا أساسيا.. سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي وحتى على الصعيد الإنساني..؟

- عشت في مرحلة كان للمرأة دور كبير، شاركت الرجل في العمل، والمواجهة، تعرضت للأسر، قاتلت، استشهدت، هذه حقيقة، وليس من صنع الخيال. أنا وثقت دورها لا أكثر وقد أكون قصرت بعض الشيء.. لقد عشت تلك المرحلة، ولمست دور المرأة وشاركت معها، زوجتي اعتقلت إداريا لستة أشهر، عمتي اعتقلت لمدة عام، زميلات كثيرات أعرفهن

تعرضوا للأسر، وطوردن في أماكن سكنهن. وقدمن مثلا في الصمود والتضحية، والنشاط.

- من المعروف أنك اعتُقِلَت من قِبل السلطات الإسرائيلية لمدة ثلاثة، وثلاثين شهرًا، وساهمت مع كُتَّاب آخرين في تطوير الحركة الثقافية في السجن. سؤالي كيف ترى تأثير السجن على تجربتك الإبداعية..؟

- للسجن تأثير ملحوظ، فأن تكون بين رفاق دربك من الأسرى العرب، والفلسطينيين الذين يواجهون السجان، والاحتلال بشكل يومي، وأن تعاني معهم، وتقتسم معهم لقمة الأسر، والهم الوطني لا بد أن تترك تأثيرها عليك، وكان عهدي لهم عندما ودعتهم في سجن نفحة الصحراوي في الأول من نيسان ١٩٨٥ ألا أنساهم، وأن أحمل همهم، وقضيتهم، التي هي قضيتنا جميعا، وأنقل تجربتهم النضالية لأهلنا خارج القضبان، وظل هذا العهد ماثلا أمامي حتى كانت روايتي الأولى (عناق الأصابع) التي حاولت فيها أن أنقل تجاربهم الإنسانية العادلة المجهولة، وأعيد بها سيرتهم إلى الواجهة آملا أن يلتقط تلك الرواية أحد المنتجين أو المخرجين ويحيلها إلى مسلسل تلفزيوني . ..

- هل يمكن أن تستعيد بعض صور العلاقات ومسارها بين الأدباء في المعتقل من خلال تجربتك...؟

- كانت علاقة حميمية، أذكر يوم كنت في سجن نفحة الصحرواي وكان معي الكاتب المحامي محمد عليان، والكاتب السياسي عطا القيمري، والأسير الشهيد عمر القاسم، حيث كنا نتعاون في نسخ مجلة الأسرى الشهرية (نفحة الثورة والعطاء)، كان كثيرون منا يشاركون في الكتابة وفي النسخ، كي يستفيد بقية زملائنا في السجن، وأتذكر الأسير القاص محمود أبو النصر من غزة الذي كان في سجن بئر السبع عام ١٩٨٣. كنا نحاول أن نقدم شيئا للأسرى، لكن إدارة السجن كانت تصادر كل كلمة مكتوبة عندما تعثر عليها، وكان يومها من الصعوبة بمكان إخراج ما نكتبه لخارج السجن إذ يجب أن ننسخه في رسائل سرية مكتوبة بخط صغير جدا وعلى ورق لف السجاير الرفيع ثم تغليفه في كبسولات صغيرة يتم تهريبها مع الزوار عندما تسمح الظروف. وكان كل شخص يضبط وهو يقوم بتهريب رسالة يعاقب بحرمانه من الزيارة ونفيه للزنزانة الانفرادية لشهور ثم يعاقب من يزوره بحرمانهم من الزيارات نهائيا، وأحيانا يجري اعتقالهم.

- من خلال قراءاتك.. كيف تقيم (أدب السجون) في فلسطين، لا سيما ونحن نعيش تجربة متميزة للنضال الفلسطيني في السجون الإسرائيلية هذه الأيام..؟

- أدب السجون قسمان، قسم أدب كتب داخل الأسر، وآخر كتب عن حالة الأسر. هناك محاولات جيدة وإبداع لابأس به لكنه لا يزال يعاني من الشخصنة، ومدح الذات، يحاول فيه كل كاتب أن يروج لسياسة حزبه، أو يمجد دوره، يركز فيها على الدور النموذجي للأسير بأنه السوبر مان البطل القاهر، دون الغوص عميقا في أعماقه الإنسانية. نحن كحركة ثقافية فلسطينية ما زلنا مقصرين بهذه الناحية ولم نعط الاهتمام المطلوب لتوثيق أدب المقاومة الفلسطيني، وتقديمه لأجيالنا القادمة كما يليق بهم. كلنا مقصرون.

- ونحن نتحدث عن أدب السجون لا بد أن نتساءل أين أدب الأسيرات.. وكيف تقيمه.. ولماذا لا يتم الإشارة إليهن بشكل صحيح رغم شرابهن من نفس كأس الاعتقال..؟

- صدرت بعض الأعمال التي توثق هذه المرحلة مثل كتاب (أحلام بالحرية) للمناضلة عائشة عودة يقدم لمرحلة من مراحل نضالنا الوطني خلف القضبان، المشكلة أننا في مرحلة لا تشجع فيها المؤسسات الرسمية تدوين أدب المقاومة لأنه يثير الاحتلال. نعود ونقول رغم ذلك نحن مقصرون فعمل هنا وآخر هناك لا يشفي غليل جيل يتعطش لتاريخ آبائه.

- تقول.. بعد ثلاثين عامًا في أمريكا، ما زلنا نقول إنها غربة، في حين يقول معظم أولادنا الذين لا تزيد أعمارهم عن عشرين عامًا أنه الوطن الذي لن يعيشوا بغيره. هكذا إذًا أصبحنا نعيش غرباء في وطن الأبناء، وأصبح الأولاد والأحفاد غرباء عن وطن الآباء.. وكيف ستحل هذا التناقض وأنت تعتزم العودة والاستقرار في القدس، كما سمعت؟

- هو تناقض يحاول كل منا حله بطريقته للأسف لا يوجد جهد جماعي للخروج من هذا المأزق.

الحنين للعودة موجود منذ سنوات، وكلما هممت بذلك اعترضتني صعوبات لم أتغلب عليها بعد، أتمنى ألا أموت إلا وأنا فوق ثرى القدس حتى لو كنت زائرا.

حوار مع توفيق عابد

جرى اللقاء في آذار مارس ٢٠١٢

السؤال الأول:

- نتاجك الإبداعي يتركز حول القدس وقد ذكرت ستة مبررات تاريخية ودينية لعشقها .. كقاص، وشاعر بما توحي لك؟

- القدس مهد طفولتي وصباي، بها ولدت، وفي أزقتها القديمة، وشوارعها العتيقة، وحاراتها الضيقة لهوت، وفي مدارسها تعلمت، ومن خلال شيوخها، ورموزها تعرفت على هذا العالم. وقبل أن أتم العاشرة كنا نواجه الاحتلال الذي جاء عام ١٩٦٧ ليغير معالم القدس، ويزيف تاريخها، ويسرق تراثها، فكان من الطبيعي أن أجد نفسي مع الذين اختاروا طريق النضال لمواجهة هذا الاحتلال الشرس الذي لا يزال يجثم فوق صدورنا ويمنعنا من العودة إليها إلا كسائحين بجوازات سفر أجنبية.
القدس هي البلد الذي أنتمي إليه، هي الطفولة، هي الشباب، هي الذكريات الجميلة، هي الحب الأول، هي التاريخ، هي قلب الوطن المعذب، هي أولى القبلتين، وفي كل حارة من حاراتها ذكرى جميلة، وأخرى مؤلمة لا يمكن لها أن تمحى من الذاكرة.

الثاني:

- يقال أن القصة القصيرة مجرد «ساندويش صغير» لذيذة ومثيرة لكن كتابها يهربون باتجاه الرواية بما تفسر ذلك؟

- القصة القصيرة فن أدبي متميز، وباعتقادي فهو أضحى أصعب من الرواية، لأن الكتاب المعاصرين، وأمام عصر السرعة، وكثرة انشغالات الناس وعزوفهم عن القراءة، أصبحوا مطالبين بأن يجددوا في أسلوب القصة القصيرة بحيث تنقل للقارئ أكبر قدر ممكن من الأحداث وفي أقل مدة من الزمن.
التطور التكنولوجي بدأ يفقد الرواية جمهور قرائها، ولكنها لا تزال مطلوبة للسينما، والتلفزيون، أما القصة القصيرة فقراؤها في عالمنا العربي أكثر. أما لماذا يهرب بعض كتاب القصة للرواية، فأنا لا أعتقد أنها مسألة هروب، ولكنها ولوج عالم إبداعي آخر يمكنهم فيه الدخول في دواخل شخصياتهم، وتجسيدها على الورق، ونقل أحداث أكبر وأكثر توسعا من القصة.

لكن في كلا الحالين، القصة، والرواية فإن المهم ليس عدد القصص أو الروايات التي يكتبها الكاتب وإنما قدرته على إبداع الجديد، وعدم تكرار من سبقوه، وهؤلاء قلة.

الثالث:

- في مجموعتك القصصية الأخيرة «يحكون في بلادنا» أية رسالة أدبية حاولت إيصالها للمتلقي؟

- أولا قصص المجموعة منوعة، ولكن الغالب عليها قصص النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني الغاشم.
أردت من خلال المجموعة أن أنقل للقارئ حكايات من النضالات اليومية البسيطة لأبنائنا، وأهلنا في فلسطين، التي لا تنقلها الصحف ولا وكالات الأنباء، أردت إعادة إبراز الوجه المشرق للمقاومة الفلسطينية. وتذكير أحفادنا ببعض ما عاناه أجدادهم، وما قدموه لأجلهم، فقصة «باب خان الزيت» التي تتحدث عن الشهيد محمد الكرد تحمل كل ما أردت إيصاله لأحفادنا، وكل العرب أينما كانوا.

الرابع:

- لكل مبدع قدوة أو أنموذج أدبي يقتدي به فمن له تأثير في مشوارك الإبداعي؟

- كثيرون تأثرت بهم، فكل ما هو جيد لا بد أن يترك بعض بصماته علينا، لكن أبرز من تأثرت بهم: في الأدب والرواية فقد تأثرت بالمرحوم الطاهر وطار، وخصوصا رائعته «اللاز»، وفي الشعر فكل شعراء المقاومة تركوا بصماتهم في حياتي المدرسية، ولكن سبقهم لذلك ابن زيدون أمير الشعر الأندلسي.

الخامس:

- يقال بان الأدب ليس نزهة بل تعبير عن الحياة بما فيها من محطات .. فهل مشيت في مشوارك على سجادة حمراء.. ما هي مشاكلك كقاص وشاعر؟

- في الإطار العام كل كاتب يحتاج في بداية الطريق إلى من يوجهه، ويسدى إليه النصائح، وبحاجة للنقد البناء الذي يهدف إلى مساعدته في تطوير إبداعه، والتألق به.
بحاجة إلى من ينشر له إبداعه ويوصله للناس.

هذه كلها أمور عانيت منها كغيري من الكتاب، وكان علينا أن نشق صفوف الإبداع بطاقاتنا الذاتية، فقد كان النشر قبل انتشار الشبكة العنكبوتية، والفضائيات يعتمد على الصحف المملوكة في أغلبها الساحق للحكومات، أو الأحزاب السياسية، وكان لا ينشر فيها إلا للكتاب المحسوبين على السلطة، أو الأحزاب السياسية، وكان كل حزب للأسف يطبل لكتابه فقط بغض النظر إن كانوا مبدعين أم لا.
وفي الإطار الشخصي فالكاتب بحاجة لعمل في إطار تخصصه، أو أن يتفرغ للإبداع والتأليف، وهذا كان مفقودا تماما، وكان علي أن أقضي الساعات الطوال في العمل قبل أن أتمكن من كتابة كلمة واحدة. أمضيت ٣٣ شهرا خلف القضبان الصهيونية، وستة شهور رهن الإقامة الجبرية في القدس، وسجنت في الولايات المتحدة بتهمة التآمر على مصلحة الضرائب عامين، ومنعت من السفر لمدة ست سنوات. لكن وسط كل هذه المشاكل أحاول أن أبدع ما يفيد أجيالنا القادمة.

السادس:
- الغربة .. الاغتراب .. الابتعاد عن ذاكرة المكان والصبا.. ما تأثيره على مشوارك الأدبي؟

- الغربة أكسبتني خبرة جديدة، وطورت في أسلوب كتابتي وإبداعي، ورغم أنها أرغمتني على أن أستعيد كل ذكرياتي القديمة لأبدعها على الورق إلا أنها أبعدتني عن الوطن، وحرمتني بالتالي من أن أنقل للقارئ الكثير من الأحداث، التي يواجهها شعبنا كل يوم ولا نسمع بها.

السابع:
- قضيتَ ٣٣ شهرا وراء القضبان في أربعة سجون إسرائيلية .. بما خرجت من هذه التجربة وأثرها على نتاجك الأدبي؟

- الأسر زادني انتماء لهذا الشعب، وصقل تجربتي الكتابية في السنوات اللاحقة، ولهذا كان أول ديوان شعر نشرته يحمل عنوان «عاشق الأرض»، وكان مطبوعا بخط يد الخطاط الزميل خالد أبو هلال من أبو ديس في القدس، أما ديواني الثاني فكان «نداء

من وراء القضبان»، وكانت قصائده قد كتبت خلال فترة سجني الثانية عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٥.

خرجت من الأسر معاهدا كل من عرفتهم من الأسرى أن أظل وفيا لقضيتهم مناضلا من أجل حريتهم، وحرية شعبنا ووطننا، وقد أوفيت ببعض العهد، وليس كله، فخروجي من الوطن سواء لاستكمال التعليم، أو العمل أبعدني عن ساحة الصمود الرئيسية، وأعد نفسي مقصرا تجاههم، ولهذا جاءت رواية «عناق الأصابع» لتجسد ملحمة الصمود الفلسطيني في زنازين الأسر الصهيونية.

الثامن:

- في ديوانك الشعري «عاشق الأرض» ماذا أردت قوله وهل من حكاية معينة وراء؟

- كما أشرت في جواب سابق فقد كان هذا أول ديوان شعر أكتبه، كان ذلك عام ١٩٨٠ على ما أذكر حيث الحماس الوطني، والنضال الوطني في فلسطين على أشده بعد أن أصابته معاهدة كامب ديفيد بضربة قوية، كانت كل كلمة فيه تحمل هم الوطن وتدعو للنضال ضد العدو الصهيوني. وكان شعرا مباشرا أقرب للخطاب السياسي منه للخيال والإبداع الشعري فمنه مثلا:

يا شهيد الأرض يا رمز الكفاح
قسما بالأرض لن ألقي سلاحي
وسأبقى ثائرا ما دمت حيا
وستبقى ثورتي حتى الصباح

التاسع:

- عنوان روايتك قيد الطبع (قبلة الوداع الأخير) جاذب يثير الفضول.. ماذا هناك بالضبط؟

- هذه رواية جديدة في مضمونها وأسلوبها، وهي قصة تدور أحداثها في لبنان تحديدا وتتحدث عن قصة حب عجيبة تثير الفضول أدعوك لقراءتها، فبطل الرواية لا يستطيع تقبيل حبيبته وزوجته إلا بعد وفاتها.

العاشر:

- كمثقف وفي ظل ما تشهده الساحات العربية برأيك هل تحل البنادق قضايا المطالبات بالحرية والكرامة؟ وأشياء أخرى تراها ضرورية لإثراء الحوار؟

- المثقفون مثل السياسيين يعانون الكثير، ومتقلبون في أفكارهم، فقد عاش قسم كبير منهم في كنف الحكام ليستفيدوا من امتيازاته، فمثلا لولا أن محمود درويش الذي أحب شعره كان مدللا من ياسر عرفات، ومتفرغا في عمله، ويتم تسويقه إعلاميا بشكل دائم لما وصل لما وصله من الشهرة.

هؤلاء المثقفين في ظل الأزمة التي تعاني منها الحكومات بدأوا يبحثون عن مصادر أخرى يبرزون من خلالها فركب قسم كبير منهم الموجة، وصاروا ينظرون للعهد الجديد الذي لم تكتمل ملامحه الكاملة بعد ولا يزال جنينا في بطن أمه. نعم المثقفون ليسوا آلهة، فمنهم من يبحث عن منصب، أو جاه. ومنهم من ينفذ أجندة خارجية، ومنهم المتعصبون لأحزابهم إلخ.

نحن بحاجة لمثقفين مستقلين بآرائهم، صادقين في كتاباتهم، حريصين على مصالح الأمة وليس الحاكم، أو الحزب.

بكل تأكيد فمطالب الشعوب لا تحل بالقمع والقتل، وليس بالاستقواء بالغرب الذي لا يهمه إلا مصالحه.

حكامنا كلهم مطالبون أن يتنازلوا عن عروشهم لصالح شعوبهم، التواقة للحرية وانتخاب قادتها بكل نزاهة.

قلتها سابقا وأكررها في كل مناسبة نحن لسنا بحاجة لسيف الحجاج، ولكن لعدل العمرين.

حوار مع الصحفية لطيفة اغبارية

كانون ثاني – يناير ٢٠٠٨
مجلة حديث الناس

- لماذا قررت الابتعاد عن أرض الوطن هل هو بعد قسري أم اختياري؟

أول مرة غادرت فيها الوطن إلى الولايات المتحدة كان عام (١٩٧٦) للالتحاق بالجامعة هناك. وقد سافر معي جميع إخوتي وأخواتي وأمي للالتحاق بوالدي الذي سبقنا قبلها بعام، لكني عدت بعد ذلك بأشهر، فلم أستطع التأقلم مع الحياة في الولايات المتحدة، وظلت زياراتي إلى هناك متقطعة حتى نهاية الثمانينيات حيث استقريت بشكل متواصل، حالما بوضع اقتصادي أفضل لأعود بعدها إلى الوطن، لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد سارت الأمور بعكس ما تشتهيه سفينتي، فطالت غربتي، وتشابكت الأمور، وأصبح بالإمكان القول، إن الهجرة عن الوطن كانت سرابا، قد يسميه بعضنا بعدا قسريا بسبب الظروف الاقتصادية، والسياسية في الوطن المحتل، لكنه في المحصلة النهائية قرار اختياري أعترف أنني أخطأت باتخاذه، وليتني لم أفعل.

- أنت تعرف نفسك بمفهوم مسلم ثقافي حضاري ما المقصود بذلك؟

لقد نقلتِ على ما يبدو ذلك من النص التالي في السيرة الذاتية المنشور في موقعي:

(لكنه عربي مسلم بمفهوم ثقافي حضاري قائم على التعددية واحترام الآخر وخصوصاً الشعوب غير العربية التي نعيش معها في هذا الوطن الكبير. يعتبر نفسه جزءاً من الثقافة العربية والوطن العربي رغم أنه يعيش في الغربة التي لن تطول كثيراً. يؤمن بتعايش الحضارات والأديان رغم أن قادة الحروب يروجون لصراعها).

هناك من يفهمون العروبة بأنها انتماء عرقي، ويرون في الإسلام مجرد شعائر دينية وعبادات، فيما آخرون وأنا منهم يرونها انتماءً ثقافيا وحضاريا، وإنسانيا ويرى في الإسلام رسالة حضارية إنسانية قائمة على المحبة، والتآخي، والتسامح، لذلك ترى

كثيرين يعيشون في أوروبا مثلا معتبرين أنفسهم عربا ينتمون إلى العالم العربي، ومسلمين يناضلون ضد الحروب، والعنصرية، فيما آخرون يعيشون في العواصم العربية وانتماؤهم لأمريكا والغرب بشكل عام، يروجون لعولمتها، ويتنافسون لشراء بضائعها.

- ما هي الدوافع التي كانت وراء تأسيس مجلة (ديوان العرب)؟

انطلقت ديوان العرب في أواسط (١٩٩٨) لتكون منبرا حرا للثقافة، والأدب، والفكر العربي بعيدا عن سلطة الحكومات التي كانت تهيمن على الجزء الأبرز من الحركة الثقافية في الدول العربية، وبعيدا عن الأحزاب التي كانت تهيمن على الشق الآخر من الحركة الثقافية، وتعيق حسب وجهة نظري الإبداع وتحد منه، وتمارس نفس الدور الذي تمارسه الحكومات العربية في تحويل كتابها لمطبلين لسياستها الفئوية الضيقة. كنا نرى في الشباب أمل هذه الأمة الذي لم يلق الرعاية التي يستحق، فأحببنا أن نكون عونا له في التعبير عن نفسه. لذلك كانت مسابقاتنا الأدبية كلها موجهة نحو الشباب العنصر الأكثر تهميشا في المجتمع.

تأسست ديوان العرب في شهر تموز (يوليو) عام ١٩٩٨، وأصدرت أول موقع ألكتروني لها في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٩٨. ثم انضم إلى أسرة التحرير، والمجلس الاستشاري، والمراسلين، والمحررين، والمساهمين نخبة من الكتاب والمفكرين، والأدباء الذين أثروا موقع ديوان العرب بإبداعاتهم وساهموا في تصويب مسيرتها الفتية وتثبيت أهدافها في تجميع الجهود الثقافية والأدبية والفكرية العربية، وتشجيع جيل الشباب كي يأخذ دوره في المشاركة والإبداع. ولعل الكاتب والمؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين المقيم في القاهرة أكثر من عبر بصدق عن ديوان العرب حين قال في كلمة له في احتفالنا عام (٢٠٠٥):

(إذا كانت فرقتنا السياسة فقد وحدتنا الثقافة
وهو ما فعلته ديوان العرب)

ديوان العرب، أكبر من موقع ألكتروني وأبعد من مجرد مجلة ثقافية، أدبية، فكرية. إنها حلم المثقفين العرب في زمن نكون فيه في طليعة حاملي شعلة الفكر، والعلم، والأدب، والثقافة لننير لأجيالنا القادمة طريقها الممتد طويلاً في أفق الزمان.

ديوان العرب مؤسسة مستقلة، غير مرتبطة بأية حكومة أو حزب أو أي اتجاه سياسي أو ديني. حرية الرأي فيها مكفولة للجميع بما لا يتناقض مع حرية الآخرين.

- هل يوجد لديك حنين للعودة إلى الخليل والقدس وأزقتها فأنت لا تزال تكتب واصفا الأحياء، والشخصيات رغم بعدك الجغرافي عن أرض الوطن؟

بداية أنا من عائلة أصلها من الخليل، لكنها توزعت في مطلع القرن الماضي (القرن العشرين) بين الخليل، والقدس، وعمان، وأنا من الجزء الذي ولد وعاش في القدس، وكذلك والدي لذلك فأنا ابن القدس أعرف كل أزقتها القديمة، ولي في كل منها ذكريات طويلة. حدود القدس عندي لا تمتد إلى العيزرية شرقا أو بيت لحم جنوبا فكل فلسطين عندي هي القدس، من رأس الناقورة حتى أم الرشراش. الحنين إلى القدس ليس حنينا إلى المكان فقط بل حنين إلى الانتماء، إلى الناس، إلى الوطن بكل تناقضاته، حنين إلى الماضي، بأبنائه الذين جعلتهم بنادق المحتلين شهداء يعيشون في جناتهم، وفي ذاكرتي التي قررت أن تمنحهم أماكن يطلون علي منها كل صباح، وإلى مستقبل لم ير النور بعد.

- كيف تصف وضع العرب الثقافي في أمريكا مقارنة مع الدول العربية الأخرى؟

الكتاب العرب في الولايات المتحدة الذين يكتبون بالعربية يعيشون حالة تناقض كبير، وأزمة انتماء فكري ثقافي، لذلك فهم في أغلبهم عاجزون عن تقديم أي دعم للثقافة العربية.
يتوهمون أو يتوهم بعضهم أنهم أمريكيون من أصل عربي، لكن المجتمع الأمريكي لا يعتبرهم كتابه ولا مثقفيه، ولا يقرأ لهم أصلا، فكل إبداعاتهم موجهة إلى العالم العربي الذي يحملون في قلوبهم الحنين إليه، وفي عقولهم كل أزماته الفكرية، ومشاكله، وتناقضاته، وصراعاته الدينية، والسياسية، والإقليمية، والعشائرية. قراؤهم من العرب، وكتبهم تطبع في بلاد العرب، ويسمون أنفسهم زهوا بكتاب أمريكيين من أصل عربي، مع أننا بكل أمانة كتاب عرب نقيم في الولايات المتحدة. تأثيرنا في الساحة الثقافية الأمريكية غير ملموس، وغير فاعل، لأننا حقيقة لا نتوجه فيما نكتبه للأمريكيين.
هذا النمط من الكتاب موجود في بلادنا أصلا، فهناك كتاب عرب في الدول العربية، يتوهم أنه عندما يترجم مقالا له أو كتابا إلى اللغة الانكليزية فإن المواطنين الأمريكيين سيقفون طوابير بحثا عن كتابه، أو لقراءة مقاله. بعضهم يضيع وقته

بحثا عن شركة أمريكية لينضم إليها ليقول أنه أصبح كاتبا عالميا لأنه عضو في مؤسسة كذا وكذا، وكلما كتب مقالا كتب أسفله بقلم الكاتب العالمي فلان الفلاني ....
علينا الخروج من هذا الوهم، وتوجيه إبداعاتنا إلى جماهيرنا وقرائنا رغم قلتهم، فنحن لا نبحث عن عدد قراء بل عن جمهور نعيش مشاكله، وأحلامه، نحن نكتب لأبنائنا أولا فإن عجزنا عن الوصول لأبنائنا وأحفادنا فكيف سنصل إلى أبناء الآخرين؟
على أنني أنوه هنا أنه لدينا في الولايات المتحدة قلة لا بأس بها من المثقفين، والأكاديميين العرب الذين نستحق أن نفخر بهم، ونقول إنهم يقدمون للأمة في أماكن اغترابهم الوجه المشرق للمثقف العربي، الطامح نحو التقدم، والتحرر، كما كان الراحلون إدوارد سعيد، هشام شرابي، وإبراهيم أبو لغد.

- بحكم اطلاعك المستمر على الوضع الثقافي وعلاقتك المتشعبة مع الأدباء أي من الدول العربية تتصدر لائحة الإبداع والإصدارات؟

- مصر بلا منازع، فهي الدولة الأكبر، والتي سبقتنا في الكثير من الأمور. لكن المشكلة ليس أي الدول تتصدر لائحة الإبداع والإصدارات، بل أيها تتصدر لائحة القراء وانتشار الكتاب، وهم كلهم في هذا المجال متشابهون، فلا يزال المواطن العربي قليل القراءة، يصرف على متعه اليومية أكثر بعشرات المرات ما يصرفه على القراءة، والثقافة. أليس غريبا أن دولة مثل تركيا عدد سكانها تقريبا ربع الدول العربية وتطبع من الكتب سنويا أكثر من الدول العربية مجتمعة.
مليارات الدولارات تصرف على الفنادق في بعض الدول العربية، ولو صرفت هذه المليارات على برامج الأطفال، والثقافة، والأدب، وتحديث المدارس والجامعات لأنتجنا جيلا سنفخر به على مر التاريخ.

- نلمس في أشعارك أنك من مناصري قضايا المرأة وتتهم الرجال بالكذب والتلون؟

المسألة حسب وجهة نظري ليست أن أكون مع المرأة أو ضدها، فهناك نساء أصلا ضد النساء، ولكن المسألة حسبما أراها مترابطة بين عضوي المجتمع، وأنا أرى أن الظلم الواقع على المرأة في مجتمعنا سببه الرجال، وأنا أتكلم هنا عن الوضع في الإطار العام، وليس عن امرأة هنا، وأخرى هناك. فالرجل هو الذي يحكم عليها البقاء في البيت، وهو الذي يخرجها من المدرسة، وهو الذي يقرر إن أراد الزواج بها، وهو الذي يقرر الطلاق، وهو الذي يسافر من بلد إلى بلد بحثا عن الراقصات، وال ...وهو الذي

يغريهن بالفلوس، وهو الذي يتحرش بهن في العمل، وفي الشارع، وفي المدارس. وهو الذي يقتل بعضهن دفاعا عن الشرف.

- هناك ألم داخلي يتحدث دائما عن الموت والغربة والرحيل في وجدان سالم ،هل هناك أسباب أخرى لذلك غير الغربة؟

الكاتب لا يعيش في فراغ، فهو جزء من وطن، ومن أمة، ومن حركة ثقافية، وفكرية، له أحلامه، وأمانيه، سواء على الصعيد الشخصي، أو المجتمعي، أو على صعيد الوطن كله، عندما يشعر الكاتب أن بعض أحلامه تتحق فهو سيسعد بالتأكيد لكن عندما يرى أن أحلامه الصغيرة أصبحت صعبة المنال فهو بالتأكيد سيتألم، ووضعنا العربي فيه الكثير من الإحباطات، وهل هناك أكبر من أن نرى أوطانا عربية تمزقها الجيوش الغازية، ونحن عاجزون عن القيام بشيء؟ هل هناك أسوأ من أن نرى طليعة مثقفينا تغادر أوطاننا بحثا عن لقمة العيش في بلاد الآخرين؟ هل هناك أسوأ من أن نرى أبناء فلسطين يتصارعون، وطائرات الاحتلال تقتل أبناءنا بدم بارد؟
هل هناك أسوأ من أن نرى جدار العنصرية في فلسطين يقطع تراب الوطن ويحول حياة الملايين إلى جحيم؟

- أخيرا ما جديد عادل سالم؟

صدر لي في تشرين ثاني الماضي مجموعة قصصية جديدة بعنوان (ليش ليش يا جارة؟) عن المؤسسة العربية في بيروت، وسيصدر في العام القادم لي مجموعة قصصية مستوحاة من واقع الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال بعنوان (يحكون في بلادنا)، والعنوان مأخوذ عن قصيدة للشاعر محمود درويش يقول فيها:
يحكون في بلادنا
يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن

وهناك مشروع رواية سينتهي نهاية العام الحالي (٢٠٠٨)، ستكون أول رواية أكتبها إن شاء الله.
ختاما شكرا للأخت لطيفة على هذا اللقاء الشيق.

حوار مع نادية أبو زاهر لموقع (حيفا لنا):

العرب منبهرون بالشبكة ولا يجيدون استغلالها

جرى الحوار في أيار ٢٠٠٧

- برأيك لم هذا الإقبال المتزايد من الكتّاب العرب على إنشاء مجلات ومواقع إلكترونية خاصة بهم؟ وهل استطاعت هذه المواقع أن تقدّم قيمة مضافة للحركة الثقافية؟

- هو أمر طبيعي ليس فيه ما يعيب، سببه الأساسي انعدام حرية الرأي في الحياة العامة، وقصور الجهات الثقافية الرسمية والشعبية في التعريف بهؤلاء الكتاب، وفتح المجال أمامهم في التعبير عن أنفسهم وعدم إشراكهم في العمل الثقافي.

هؤلاء الكتاب معظمهم الساحق من الشباب، والشباب أمل الأمة، وأعمدتها التي علينا أن نعرف كيف نهيئهم لتسلم الراية بعدنا.
لا أرى أية مشكلة في الموضوع، هناك مئات المواقع على الشبكة مثلا لكتاب أمريكيين، مع فارق في الهدف بين الاثنين. فالكتاب الأمريكيون يعرفون في مواقعهم على أنفسهم ويرشدونك كيف تشتري كتبهم، لكن مواقع كتابنا تنشر كل شيء مجانا للقارئ العربي لكن ليته يقرأ.

من الغبن أن ننكر دور هذه الجهود في العمل الثقافي، لكن من الخطأ أن نراها أكبر من حجمها الطبيعي، فما زالت جهودا صغيرة ومبعثرة، وغير فاعلة، وتفتقد غالبيتها إلى الزوار، تأثير هذه المواقع لا يقاس فقط بما تنشر ولكن بمدى جذبها للقراء للتأثير بهم، ولا نزال نعاني من قلة القراء، وضعف القراءة لدى جمهورنا العربي للأسف الشديد.

- هل ترى أن المواقع الإلكترونية قادرة على تشكيل بديل للنشر الورقي في المستقبل، أم هي منافسة وإغناء للمتاح؟

- حتى هذه اللحظة وضمن المدى المنظور القريب، لا لن تشكل هذه المواقع بديلا أو حتى موازيا للنشر الورقي، فهذه مسألة تحتاج إلى وقت أطول مما نتوقع.
عند الحديث عن المنافسة علينا أن نضع في حسابنا ما يلي:

أولا: هناك ملايين وليس عشرات الكتب القيمة العربية الورقية والتي تعد مراجع مهمة في الأدب، والثقافة، والعلم، والفكر، لم يتم نقل أي منها إلى الشبكة، أو تحويلها إلى اسطوانات، ونقلها يحتاج إلى بلايين الدولارات، ولا يوجد سياسة عامة لدى أي من الدول العربية لمثل هذا العمل حتى هذه اللحظة. فكيف تكون الشبكة بديلا إذن؟ هي مكملة ليس إلا. ربما في المستقبل، كل شيء ممكن.

ثانيا: أغلبية المواطنين العرب ما زالوا لا يملكون أجهزة كمبيوتر، وإن استطاعوا شراءه لا يستطيعون دفع قيمة الاشتراك الشهري للاستخدام الدائم للشبكة فيما الكتاب يمكنهم قراءته كل يوم متى أرادوا، يمكنهم استعارته من صديق، من المكتبة العامة الخ.

علينا عدم تجاهل ظاهرة الفقر في العالم العربي، هناك أحياء بكاملها في بعض الدول العربية لا يوجد فيها خطوط للهاتف أصلا.

ثالثا: النشر الإلكتروني ليس فقط النشر على الشبكة، فهناك كتب تباع في الغرب على أقراص سي دي وهو غير متوفر عندنا لنفس الأسباب، ولسبب آخر هو إمكانية سرقته ونسخه، فلا يوجد عندنا ملكية فكرية، فإذا كانت أراضينا تسرق ومياهنا تنهب ولا ندافع عنها فكيف ندافع عن كلمة.

المسألة ليست منافسة كما أشرت ولكنها تطور في نمط الحياة، وهي مرحلة يجب أن نمر بها، فحتى في الجامعات الأمريكية ما زالت هناك كتب ورقية يدرسها الطلاب وهي الأساس.

- أنشأت موقع (ديوان العرب) كموقع ثقافي مميز، هلا حدثتنا عن هذه التجربة، وهل تراها حقّقت المرجو منها؟

- تأسست ديوان العرب في شهر تموز (يوليو) عام ١٩٩٨، وأصدرت أول موقع ألكتروني لها في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٩٨ باسم فلسطين وكانت فلسطين مجلة ثقافية، فكرية، أدبية، هكذا تشهد أعدادها الأولى، ولكن طبيعة الأحداث السياسية، واسم فلسطين، جعلها تتحول تدريجيا إلى مجلة سياسية أكثر منها أدبية فتم إنشاء موقع ديوان العرب، وترك فلسطين للسياسيين.

ديوان العرب، أكبر من موقع ألكتروني وأبعد من مجرد مجلة ثقافية، أدبية، فكرية. إنها حلم المثقفين العرب في زمن نكون فيه في طليعة حاملي شعلة الفكر، والعلم، والأدب، والثقافة لننير لأجيالنا القادمة طريقها الممتد طويلاً في أفق الزمان. بعد هذه السنوات الطويلة، استطعنا أن نضع أقدامنا في بداية الطريق، ولكن أحلامنا كبيرة، وأهدافنا واسعة، لذلك نقول لا نزال بحاجة لجهود أكبر لمتابعة المشوار.

- توجه اتهامات لبعض المواقع الإلكترونية بأنها تنشر كل ما يصلها، وأنها لا تراعي المهنية لأنها تقوم على جهود فردية ما رأيكم؟

- هذه اتهامات صحيحة، لأن معظم المشرفين على هذه المواقع غير متخصصين، إضافة إلى أن معظم ما يكتب على الشبكة يكتبه شباب لغتهم العربية ركيكة، وغير مستعدين لتصحيح أخطائهم حتى الطباعية، ويتركون للناشر أن يصححها لهم، ولأن تصحيح هذا الكم من الأخطاء غير ممكن في مواقع لا تملك متفرغين لتصحيحها لذلك تنشر كما هي بأخطائها.
رغم ما لهذه الطريقة من سلبيات فلا نستطيع أن نتجاهل أن السبب الرئيسي لذلك ليس نشر هذه النصوص ولكن سياسة التعليم الخاطئة في المدارس والجامعات.
التي تعلم الطالب درس القواعد مثلا ولا تعلمه تطبيقه، فمدرس الرياضيات لا يهمه إن أخطأ الطالب في القواعد، وكذلك مدرس الأحياء، إلخ لهذا يبقى استخدام القواعد حكرا على درس القواعد فقط.

على كتابنا تحديدا أن يطوروا لغتهم، وأساليبهم، فهناك كتاب نصوصهم جيدة لكن لغتهم ركيكة، وإلمامهم في قواعد اللغة ضعيف، ولكنهم للأسف لا يعملون على تطوير أنفسهم، فترى نفس الأخطاء بعد سنة، أو أكثر.

- في ظل انتشار ما بات يعرف بالمدونات والتي يستطيع أيُّ كان أن ينشئ واحدة منها، حيث وبحسب الإحصاءات في مصر، ارتفع عدد المدونات الشخصية التي يستطيع أي شخص نشر كل ما يخطر بباله من خلالها، لما يزيد على عشرة آلاف مدونة خلال فترة بسيطة، ما رأيك في انتشار هذه الظاهرة؟ كيف تنظر إلى تأثير المدونات على مصداقية النشر في المواقع الإلكترونية؟

- لتكن عشرين ألف أو حتى مليون، لا مشكلة، المدونات ليست مراجع حتى نناقش مصداقيتها، وليست مجلات، أو كتب، هي مواقع يعبر فيها أصحابها عن آرائهم،

وينشرون ما يرونهم الأفضل، وكثرتها تعبير على انعدام حرية الرأي في المجتمع. ليس كل ما ينشر على الشبكة يجب تصديقه، هناك أكاذيب، وتلفيقات، وكلام فارغ، وما شابه سواء نشر في المدونات أو المواقع، وحتى المجلات والصحف الورقية فيها أكاذيب، أليست زوايا جرب حظك، والأبراج كلام فارغ وأكاذيب يضحكون بها على الناس؟ وماذا عن التمجيد بفلان وعلان؟

ليس مطلوبا من هذه المدونات أن تكون بديلا لأحد وهي على كل حال قليلة التأثير وروادها نسبة بسيطة جدا.

- هل تعتقد بأن الكتاب الإلكتروني يستطيع سحب البساط من تحت الكتاب الورقي في ظل العصر الرقمي؟ ولماذا! ما هي المسوّغات؟

- الجواب على السؤال الثاني يجيب على هذا السؤال، حتى الآن لا يوجد مؤشرات في العالم العربي تقول أن الكتاب الألكتروني سيكون بديلا عن الورقي. لكن من يدري ربما في المستقبل الذي لن نعيشه تصبح كذلك، فقد يخترع غدا أحد المهندسين جهازا في حجم الكتاب يكون فقط لعرض الكتاب يمكن للمواطن مثلا أن يحمله معه بدون ربطه بالطاقة الكهربائية ويقلب صفحاته ليقرأها في أي مكان يكون. لكن يبقى السؤال الأهم من يمكنه تحويل ملايين الكتب القيمة إلى الكتب الإلكترونية؟؟

- يقف الكثير من أصحاب دور النشر العربية موقفا معارضا من النشر الإلكتروني للكتاب، هل باعتقادك أن النشر الإلكتروني منافس اقتصادياً؟

- لا، حتى هذه اللحظة فإن الكتاب الإلكتروني منافس غير قوي للكتاب الورقي، فيكفي أن يصيب القرص الصلب بعض الخدوش ليصبح غير صالح للاستخدام، ثم إن انتشار أجهزة الكمبيوتر في البيوت في الدول العربية لا تزال ضعيفة، هناك ملايين العائلات في الدول العربية لا تملك ثمن جهاز الكمبيوتر، واستخدام الكتاب ما زال أهلا للقراءة خصوصا في السفر، أو أثناء الجلوس في غرفة الجلوس الخ.

أصحاب دور النشر العربية عليهم أن يطوروا أدوات إنتاجهم بحيث يصبحون قادرين على نشر الكتاب ورقيا، وإلكترونيا حسب حاجة السوق. لا تنسي يا نادية أن الكتاب الإلكتروني قرصنته سهلة في دول ليس لديها قوانين تحمي الملكية الفكرية، وإن وجدت تلك القوانين فلا يوجد من يطبقها.

- يوجه كثير من الكتّاب الورقيين انتقادات حادة إلى كتاب الإنترنت، ويصل بعضهم حدَّ عدم اعترافه بإطلاق صفة كاتب لمن ليس لديه منشورات ورقية ما رأيك حول هذه المسألة؟

- بداية ليس هناك كتاب ورقيين وآخرين شبكيين، هناك كتاب، وغير كتاب بغض النظر عن الأداة التي يستخدمونها في الوصول إلى القارئ.
الكتاب الذين يقدمون للقارئ إبداعا حقيقيا، بلغة قوية هم الباقون، والبقية سوف يندثرون تماما مثل المطربين الذين يملأون الفضائيات العربية كل عام بعضهم يبقى وآخرون يصبحون في عالم النسيان.
مشكلة الكثير من الكتاب أنهم لا يعملون على تطوير لغتهم، وأدواتهم، ومفرداتهم، وهم يظهرون بشكل واسع عبر الشبكة لأنهم يجدون مجالا لنشر ما يكتبون، في حين لا يتاح لهم ذلك عبر الصحف الورقية.

الكاتب ليس شرطا أن تكون كتبه مطبوعة ورقيا، ولكن من غير المألوف أن تجد كاتبا مبدعا دون مؤلفات ذات قيمة أدبية، أو فكرية، وليس مجرد صف كلمات.

- موقعكم من المواقع التي تنظم مسابقات سنوية، هل وجدتم في هذه التجربة مساحات مضيئة؟ ثمَّ ألا تعتقدون أن مثل هذه المناشط تحتاج تبني مؤسسي لها؟

- لعل أهم ما قمنا به هو المسابقات التي أجريناها لجيل الشباب، لأنها كانت تجربة جديدة وفي مكانها المناسب، جيل الشباب بحاجة إلى فرص كثيرة، فهم جيل يواجه الكثير من العقبات، وفسح المجال لهم وتشجيعهم لا يكون بإقامة مسابقات عامة يتنافسون فيها مع الكبار، فقد يشعرون بالإحباط، وقد يشعرون أن فوزهم غير ممكن فيعزفون عن المشاركة، لكن عندما يتنافسون وحدهم فإن مشاركتهم تكون أفضل.
سنستمر بها ونعمل على تطويرها في المستقبل لتضم فروعا أدبية وفكرية جديدة.
صحيح هذه النشاطات بحاجة إلى جهود مؤسسات أخرى، ونتطلع إلى تعاون مع الآخرين في هذا المجال ولا مانع لدينا بتاتا.
وهي تحتاج إلى دعم مالي من قبل الميسورين العرب لخدمة هذا الهدف. الأغنياء العرب لا يخدمون الثقافة بشيء، مع أن بإمكانهم أن يخدموا الحركة الثقافية ولو بمبالغ بسيطة يقدمونها إلى المؤسسات الثقافية.

- كيف تنظرون إلى وجود ذات المادة المنشورة متكررة في أكثر من موقع ثقافي؟! وهل هناك من علاقات تعاون بين هذه المواقع، في موقعكم مثلاً؟!

- هذه نقطة تستحق النقاش، فكثيرا ما أرى بعض المواقع يكتب بأن شرط نشر المادة هو ألا تكون منشورة في مواقع أخرى. مع أنه سهل نقلها ونشرها دون رقيب أو حسيب.
أتفهم هذا الكلام عندما يكون النص مدفوع الأجر، أو أن الكاتب يعمل موظفا في الجريدة، ويكتب خصيصا لها. لكن كيف نطلب من الكاتب أن ينشر في موقع معين فقط وعدم نشره في موقع آخر وهو لا يتقاضى مقابل ما يكتبه عائدا ماديا.
في المقابل فهناك فعلا مقالات أراها منشورة في عشرات المواقع حتى أمل رؤيتها.
نحن نرى في ديوان العرب، لا مشكلة لدينا في وجود النص منشورا في أكثر من موقع، فلا نشترط على الكاتب ما ليس لنا به حق.
فالقارئ أصلا لا يقرأ كل المواقع. وهذا حق للكاتب ما دمنا لا ندفع له بدل نشر النص عندنا. لكني أرى في نفس الوقت أن نشر النص في عشرات المواقع ظاهرة غير حميدة بحيث يفقد الموقع شكلة الخاص ونكهته الخاصة، ولهذا نحاول أن نمسك العصا من الوسط، المقالات التي نشعر أنها نشرت هنا وهناك نتركها لننشر غيرها.
وهنا يقع على عاتق الكاتب أن يقتنع بعدم جدوى إرسال المقال لعشرات المواقع لنشره.

- هل تتوقعون لاتحادات كتّاب الانترنت مثلاً تجربة أفضل حالاً من الاتحادات العربية الأخرى؟

- هذا يتوقف على أهدافهم وعملهم، لكني لا أشعر بارتياح إلى تقسيم الكتاب إلى كتاب إنترنت وغيره، وهذا أول مأخذ لي شخصيا عليهم، إضافة إلى ذلك لاحظت أعضاء كثيرين في صفوفهم لغتهم العربية ركيكة ومقالاتهم ضعيفة، المشكلة التي لاحظتها بعد الإعلان عن هذا الاتحاد هي :
وجود كتاب أعضاء في الاتحاد الجديد وأعضاء في اتحاد آخر، وكأنها مجرد زيادة عضوية فخرية.
ثانيا: وجود بعض المقالات التي تتحدث عن التحرر من الاتحادات الأخرى التي كان يهيمن عليها كما جاء في المقالات الكتاب الكبار الخ، وكأن المسألة مجرد أمور شخصية.

لقد بتنا الان بحاجة إلى تجمع للمبدعين وليس للكتاب

- تكتبون القصيدة والقصة، أين يجد عادل سالم نفسه أكثر نشاطاً واقتراباً؟

- لا زلت أبحر في محيط الأدب واللغة أجمع الصدفات من قاع البحر، وأتمتع بألوان سمكاته الزاهية، وعندما أعود إلى الشاطئ بعد هذه الرحلة الطويلة سأكون في وضع أضع النقاط على الحروف.

- هل أنتم راضون عن مجمل النشاط الثقافي العربي والفلسطيني تحديداً؟ برأيكم ما هي المعيقات وإن كانت معلومة لماذا هذه اللامبالاة في إزاحتها!

- طبعا لا فنحن أمام جبال من التخلف الفكري، والثقافي، والتعليمي، والتكنولوجي ... المعوقات كثيرة، تتحمل فيها الجهات المسؤولة قسمها الأكبر مثل التخلف التعليمي، والأمية، وضعف القراءة، وقلة المكتبات العامة، كفاءة المدرسين، وهناك المؤسسات الثقافية غير الحكومية التي يهمها كيف تقبض من مؤسسات غربية فتوجه معظم نشاطاتها لما يخدم تلك المؤسسات، ويلبي شروطها، وهناك الأسرة التي لا تعلم أبناءها، وهناك الفرد نفسه الذي يساهم في تطوير ثقافته وتعليمه، فيقضي معظم أوقات فراغه في اللعب، والثرثرات الفارغة.
لعل أبرز ما تعانيه الحركة الثقافية العربية والفلسطينية لا تختلف عنها هو هيمنة السياسيين على النشاط الثقافي.
عندما تبتعد الأحزاب السياسية سواء الحاكمة أو غير الحاكمة عن الحركة الثقافية ويترك للمثقفين قيادة العمل الثقافي باستقلالية تامة سيكون للحركة الثقافية آفاق أفضل للتطور والنهوض.

- هل وصلت المواقع العربية إلى مستوىً تقني وإبداعي يمكن به أن تخوض منافسة مع المواقع العالمية؟

- أولا في مواقع النت لا يوجد اصطلاح موقع عالمي وموقع غير عالمي، من أين هذه الاصطلاحات يا نادية؟ كل موقع يمكن لمن أراد أن يدخل إليه ويقرأه.

أما حول قصدك بالمستوى الفني والتقني العالي، فهذه مسألة سهلة طبعا يمكن لأي موقع أن يستغل هذه التقنيات الحديثة والبرمجة العالية ولكن هذا مكلف كثيرا ويحتاج لمبرجين متخصصين ومشرفين فنيين دائمين فمن كان يملك المال يستطيع التطوير بسهولة. لكن من يحتاج إلى التطوير؟

ادخلي إلى موقع السي إن إن مثلا ستريه موقعا عاديا لأنه يعتمد على قاعدة تخزين البيانات وليس على نشر الصور لذلك فالتصميم عالي التقنية يجب أن يكون للمواقع التي تحتاج لذلك خصوصا التي تعتمد على نشر الصور مثلا والأفلام، ولذا تجدين أكثر هذه المواقع جودة هي المواقع الإباحية (الجنسية)، وهذه حقيقة باعتراف مدرسنا الجامعي المتخصص بالبرمجة عندما كنت في الكلية.

- أيها في رأيكم أوجب للترجمة، مواقع الأخبار والسياسات أم المواقع الثقافية؟!

- طبعا المواقع الثقافية، لها الأولوية، ولكن مشكلتنا ليست فقط في الترجمة وإنما في إيصال الترجمة إلى القارئ غير العربي

- هل ترون المواقع الثقافية العربية قد أنجزت على مستوى التواصل بين المشرق والمغرب ما عجزت عنه كثير من الوسائل والمؤسسات العتيقة؟!

- هو نفس السؤال الذي يسأله المحاور العربي، ويركز عليه دون سبب، فنحن دائما نسأل عن التواصل بين المشرق، والمغرب، لماذا؟ ماذا عن التواصل بين المشرق، والمشرق؟ بين العرب، والصين؟ بين العرب، والهند؟ بين العرب، والكوريتين؟ بين العرب واليابان؟ لماذا دائما نحن معنيون فقط بما يقوله الغرب عنا، وننسى بقية العالم؟ هم يريدوننا هكذا أن ننشغل بهم بينما هم يهيمنون على العالم.
أمريكا لديها عشرات الشركات في الصين، لديها تجارة مع الصين، تدرس الصيني بجامعاتها، تبني مع الصين علاقة تجارية وثقافية، فماذا فعلنا؟ لا شيء سوى الانشغال بالحوار بين الشرق، والغرب.

أتمنى من جامعة الدول العربية، والمشرفين على الشأن الثقافي العربي أن يضعوا خططا تطوير الثقافة عندنا بحيث لا تعتمد فقط على التواصل مع الغرب، ولكن التواصل مع الجميع.
المواقع العربية على النت ما زالت حديثة ولا تستطيع أن تحل مشاكل عالقة بين الثقافات بمجرد ظهورها، علينا ألا نحمل مواقع شبكية مهمات أكبر من حجمها.
فجائزة عالمية مثل جائزة نوبل أفضل من ألف موقع على الشبكة، ماذا لو أقام العرب جائزة مماثلة عربية على المستوى العالمي تعتمد الكفاءة العلمية والأدبية، لتكون جسر حضارة عربية إلى الجميع.

نحن يا نادية بحاجة لنلتفت إلى جيراننا قبل أن نطير إلى أمريكا، بحاجة للحوار مع من يعيشون معنا ونشترك معهم في نفس الوطن، من الأكراد، والأمازيغ، وأهالي جنوب السودان، بحاجة إلى حوار بين الشيعة والسنة، بين المسلمين والمسيحيين في الدول العربية، كيف ننجح بحوار الغرب ونحن نفشل في حوار جيراننا الأتراك الأقرب والذين تربطنا بهم علاقات تاريخية ودينية، كيف ننجح في حوار الغرب ونحن نفشل في حوار الأفارقة جيراننا، وغيرهم، وغيرهم.

- كلمة تودون توجيهها لقراء (حيفا لنا)؟

- حتى تكون أمتنا الأولى في العلم، والمعرفة، والثقافة، والتكنولوجيا، والبناء والعمران، والخدمات الاجتماعية، والصحية لأبنائها، علينا مواصلة العمل بهمة الشباب وجهودهم للنهوض بأوضاع شعوبنا وأمتنا، كل في مكانه، لنتعاون مع الجميع، دون حساسيات بعيدا عن التعصب، بقلوب عامرة بالمحبة، والإيمان، منفتحين على الجميع، نحب الآخرين كما نحن أنفسنا.
مستقبل الأمة هو مستقبل أطفالنا، مستقبل هويتنا، تاريخنا الحاضر، فلنعمل جميعا على أن نصل به إلى بر الأمان

حوار مع الكاتب إدريس ولد القابلة:

تشرين ثاني ٢٠٠٦
أسبوعية المشعل المغربية

- أنتم من العرب الأوائل الذين بادروا إلى خلق موقع للكتابة والإبداع الإلكتروني، كيف تقيمون الآن الكتابات العربية الإلكترونية؟

- بداية أشكركم جدا على دعوتكم لي للمشاركة في هذا اللقاء فهو فرصة طيبة لنطل من خلاله على شعبنا الطيب والعريق في المغرب.

إن كنت تقصد ما ينشر في الإنترنت، فنحن العرب ما زلنا في بداية الطريق، مقدمون على الشبكة بلهفة شديدة غير مصدقين هذه الفسحة من حرية الرأي، نتخبط دون دراسة ودراية لاستغلال هذا التطور التكنولوجي لسد الخلل الكامن في شتى شؤون حياتنا الثقافية والتعليمية، والصحية إلخ

معظم ما أراه على الشبكة في اللغة العربية (٢٠٠٦) عبارة عن دردشات ومنتديات، وثرثرات لتضييع الوقت ليس إلا، ومعظم الكتابات لهواة وقراء، ولا ضير في ذلك لكن المشكلة أن كل من كتب مقالا، أو خاطرة أو محاولة شعرية اعتبر نفسه كاتبا وشاعرا وأديبا، ضاربا عرض الحائط بعدم معرفته للغة التي يكتب بها.
معظم المواقع يشرف عليها شباب متحمسون، لا يكترثون لسلامة اللغة ولا قواعدها، ويسمون أنفسهم بالمفكرين، والأدباء والشعراء، والنقاد، وغير ذلك. باختصار معظم ما ينشر باللغة العربية حتى الآن (٢٠٠٦) ليس سوى مقالات يعبر فيها القراء عن آرائهم بحرية بعيدة نسبيا عن المراقبة والملاحقة.

- إلى أي حد يمكن الحديث عن ثقافة عربية إلكترونية الآن؟
- لا يوجد شيء اسمه ثقافة ألكترونية، فالشبكة أسلوب من أساليب إيصال المعلومات، ونقل الثقافة، وهناك ما هو أقوى منها وأكبر أثرا وهو الفضائيات، ثم بقية وسائل

المعلومات الأخرى، يوجد عندنا ثقافة عربية تعاني من جهل القارئ، أو عزوفه عن القراءة، فنحن من الشعوب التي تعتبر فيها نسبة القراءة متدنية جدا، وانتشار الإنترنت عندنا لا يزال حتى اليوم (عام ٢٠٠٦) في البداية، ونسبة المشتركين فيه من سكان الدول العربية لم يتجاوز اثنين بالمئة فقط، ففي حين يتجاوز عدد المشتركين في أمريكا سبعين مليون مشترك لم يتجاوز في الدول العربية الخمسة ملايين مشترك، لتكاليفه الباهظة.

- لماذا فكرتم في إحداث موقع (ديوان العرب)؟ وكيف كانت البداية؟ و هل حقق الموقع هدفه؟

- جاءت فكرة ديوان العرب عام (١٩٩٨) وانطلقنا من هناك حيث كان اسم الموقع فلسطين، لكن طبيعة الأحداث السياسية، واسم فلسطين جعل الموقع ينحاز للسياسة أكثر من الأدب فشكلنا ديوان العرب، وتركنا فلسطين ليشرف عليه أسرة تحرير جديدة، ديوان العرب كان هدفها منذ البداية أن تكون منبرا ثقافيا أدبيا فكريا للكتاب العرب يتوحدون فيه بعيدا عن السياسة التي فرقتهم. تقدمنا خطوات ملموسة للأمام وما زلنا نتابع جهودنا لما هو أفضل.

لا يمكن القول أننا حققنا أهدافنا رغم ما قدمناه بجهودنا الذاتية، فالطريق لا يزال طويلا جدا، والمسيرة بحاجة لجهود أكبر، وإمكانيات مالية تفوق إمكانياتنا. ديوان العرب ليس مجرد موقع على الشبكة بل هو مؤسسة ثقافية قامت ببعض المشاريع الأدبية مثل المسابقات الأدبية التي كان آخرها مسابقة أدب الأطفال التي احتفلنا بتكريم الفائزين فيها في الرابع من يوليو، تموز (٢٠٠٦) في القاهرة، وتكريم بعض الكتاب العرب الذين أسهموا بدور في خدمة الثقافة العربية، ولديها أهداف أخرى مستقبلية نأمل أن تنجح بتحقيقها.

- إلى أي مدى يمكن أن تساهم المواقع الإلكترونية العربية في خدمة الادب، والفكر العربيين؟ وكيف تقرؤون مستقبل الإعلام الإلكتروني العربي؟

- كما أشرت لكم سابقا، فنحن ما زلنا في بداية الطريق بالنسبة للشبكة، لم نستغلها الاستغلال الكامل، فقبل المواقع التي تنشر المقالات نحن بحاجة إلى ربط مؤسساتنا التعليمية بالإنترنت، سواء في المدارس، أو الجامعات، أو المعاهد، ولا أقصد أن نقيم لكل جامعة موقعا تعريفيا وعنوانا، ولكن أن تكون مرجعا للطالب أينما كان كما هو

الحال في الجامعات الأمريكية التي أصبحت تقدم بعض محاضراتها على الشبكة، بحاجة إلى ربط مؤسساتنا الصحية بالشبكة، وغير ذلك. ما يجري حاليا وكثرة المواقع لا تعني شيئا، المهم ماذا تقدم هذه المواقع، كثرة المنتديات ومواقع نشر المقالات ليست سوى تعبير عن هروبنا من حالة القمع التي نعيشها فلم يجد الشباب سوى الشبكة كي ينفسوا فيها عن أنفسهم.

تطوير دور هذه المواقع لا يكون إلا بالارتقاء بالقارئ العربي نفسه الذي يدخل للشبكة في الغالب لا ليبحث عن الثقافة بقدر ما يبحث عن دردشة هنا، ونكتة هناك، وهذا ما تشير إليه الدراسات الأخيرة. في استطلاع أجريناه قبل فترة سألنا القراء عن المواقع التي يزورونها عند الدخول للشبكة، وقدمنا لهم عدة اختيارات، فماذا تتوقع؟ لقد كانت الإجابة أن أكثر من خمسين بالمائة يبحثون عن المواقع الجنسية، والمطربات.

مستقبل الإعلام العربي الإلكتروني ليس بمعزل عن تطور المجتمع ككل، ومؤسساته المختلفة، وانتشار الشبكة الذي هو الآن بين يدي قلة قليلة من الناس بسبب ظروف شعوبنا الاقتصادية المتردية.

رأيي أنه كلما أفسحت الفضائيات وهي المنافس الكبير للشبكة مجالا لحرية الرأي، فإن دور الشبكة الإعلامي سوف يقل، وكلما مورس عليها القمع الرسمي فإن دور الشبكة سوف يزداد ويتطور، لكني أعود لأقول نحن ما زلنا في بداية الطريق. وكل شيء قابل للتغير.

- ما هي علاقتكم بالساحة الأدبية المغربية؟

- إن كنت تقصد علاقة ديوان العرب بالساحة المغربية، فقد تطورت وبشكل خاص منذ عامين بدليل استقطابنا للعديد من الأقلام، والكتاب المعروفين من المغرب الشقيق، وهي خطوة نعتبرها متقدمة جدا لأننا نهدف إلى كسر حالة العزل النسبي بين الدول العربية المشرقية، ودول المغرب العربي مثل الجزائر والمغرب وتونس، في وقت يحاول فيه كثيرون حصر الثقافة العربية المغربية باللغة الفرنسية التي يعتبرها بعضهم غنيمة من غنائم الحرب مع أنها أداة اغتراب ليس إلا.

حرصنا على أن يكون للمغرب دور في ديوان العرب كان وراء إصرارنا على تمثيل أحد الكتاب المغاربة المعروفين في المجلس الاستشاري لديوان العرب والذي يشغله حاليا الكاتب المعروف إدريس ولد القابلة.

على الصعيد الشخصي علاقاتي واسعة مع العديد من الكتاب المغاربة، وأحرص دائما على قراءة الكثير من الإبداعات المغربية وغيرها من الدول العربية لأظل حاضرا في صورة ما يبدعة الأشقاء هنا وهناك.

إسرائيل التي جاء معظم يهودها من دول أوروبا أحيت لغة ميتة اسمها العبرية، وعبرنت كل سكانها، بمؤسساتهم الثقافية، والجامعية والإعلام والمؤسسات الحكومية والبنكية، وأقامت دولة تغلبت علينا، ونحن لا يزال فينا من يهرب من لغته تحت مبررات غنائم الحرب التي أصبحت بالية.

في لقاء مع (الفجر) الجزائرية

الشعب الفلسطيني أول من تأثر بالمقاومة الجزائرية، والأدب الجزائري المقاوم

تشرين أول ٢٠٠٦

يعد الأستاذ عادل سالم من الكتاب المنفتحين بأفكارهم، يتقبل الرأي، والرأي الآخر. قضى شطرا من حياته بالقدس بين السجن والإقامة الجبرية، وهاجر بعدها إلى أمريكا فكان صوتا آخر حاملا هموم الشعب الفلسطيني. من إصداراته ديواني شعر: الأول بعنوان (عاشق الأرض)، والثاني (نداء من ورا ء القضبان). لم يكتف بكتابة الشعر بل كتب القصة القصيرة فصدرت له مجموعة أولى بعنوان (لعيون الكرت الأخضر)، ومجموعتان تحت الطبع. ساهم في إنشاء عدة مواقع عربية، وهو الآن مدير تحرير مجلة ديوان العرب الإلكترونية. في هذا الحوار يبوح لقراء (الفجر) ببعض أفكاره.

- بين تجربة السجن والإقامة الجبرية في القدس، وتجربة الحرية التي تعيشها في الولايات المتحدة الأمريكية، كيف يقيم الأستاذ عادل سالم هذه المسافة المقتطعة من العمر؟

- دعني في البداية أوضح أن الكاتب وتحديدا الأديب، والشاعر، لا يحتاج فقط إلى هامش من الحرية كي يخط إبداعاته، بل يحتاج لما هو أهم من ذلك كله، يحتاج إلى أن يكون بين الناس الذين يكتب لهم وعنهم، ويستمد منهم ثقافته، وتجاربه، وانتماءه الحضاري، وهو غير متوفر في أمريكا، فنحن نعيش في مجتمع بينما ثقافتنا كلها لمجتمع آخر.
أضف لذلك فالحياة هنا في الولايات المتحدة لا يمكن اعتبارها نموذجا للحرية بمفهومها الشامل، لأن أمريكا بعد الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١) أصبحت بلد القمع والإرهاب الفكري حقيقة.

أقولها للأمانة وللتاريخ إن قرار الهجرة إلى الولايات المتحدة كان خاطئا، ودفعت ثمنه الكثير، نعم أعيش في أمريكا، لكن الوطن يعيش في داخلي أينما ذهبت. لعل أنيسي الوحيد الذي يخفف عني أحيانا ذاكرتي القوية التي أستطيع بها أن أستعيد زمنا كاملا مضى، ألتقي فيه بأحبة بعضهم رحل وآخرون لا أعلم أين هم الآن، أعانقهم ويعانقونني قبل أن أودعهم من جديد.

- إلى أي مدى يمكن أن يساهم الأدب والفكر في ترسيخ فكرة التحرر ومقاومة الاحتلال؟

- للأدب، والفنون دور بارز جدا ومؤثر في مقاومة الاحتلال، حيث كان يساعد في تنظيم الناس، وتحريضهم ضد الاحتلال البغيض. ولهذا كانت السلطات الصهيونية تعتقل شعراءنا المقاومين، وتلاحقهم لتمنعهم من الكتابة مثل الشعراء، توفيق زياد، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وراشد حسين، وكذلك الرعيل الأول مثل إبراهيم طوقان، وأبو سلمى، وعلي هاشم رشيد، وغيرهم كثيرون.

نحن في فلسطين كنا أول المتأثرين بالأدب الجزائري المقاوم، وقرأنا بشراهة رواية اللاز للطاهر وطار، وكانت المكتبات تمتلئ بالكثير من كتب الأدب العالمي المقاوم مثل أشعار نيرودا، والشاعر المصري الشعبي أحمد فؤاد نجم، والمقاومة السوفييتية ضد النازية.
الأدب المقاوم هو جزء من المعركة، كما هو الإعلام المقاوم، والفن المقاوم، والكاريكاتير، ...إلخ، والمقاومة نفسها.

- ديوان العرب الذي تشرفون عليه يستقطب كثيرا من الكتاب والقراء من مختلف الدول العربية، إلى ماذا ترجعون هذا النجاح؟

ديوان العرب بدأ عمليا عام (١٩٩٨) كان هدفنا منذ البداية إيجاد تجمع أدبي ثقافي، فكري، عربي، ذي مضمون إنساني، ديمقراطي يتقبل الآراء المتنوعة، ويكون ساحة لجميع الأفكار، والآراء في كل الدول العربية، لأن واقع الحال كان يقول إن السياسة تفرق العرب لكن الثقافة توحدهم، وهذا كان أول هدف لنا منذ البداية.
عملنا بجهود كتاب، ومثقفين متنورين، مستقلين، متطوعين، وتغلبنا على الكثير من الصعوبات التي واجهتنا، واستطعنا أن نبني شبكة علاقات واسعة من كتاب عرب في

عشرين دولة عربية من أصل (٢٢) دولة. كنا مستقلين اقتصاديا، فساهم ذلك في استقلال قرارنا، ولم يفرض أحد علينا شروطه، أو مطالبه.
أهم أسباب انتشارنا هو صدقنا وحرصنا على النهوض بالثقافة العربية بعيدا عن الحساسيات السياسية، والفئوية الحزبية.
لا بد من التنويه أن نجاح ديوان العرب ليس ثمرة جهد فردي، بقدر ما هو ثمرة جهد جماعي، لأسرة التحرير، والمجلس الاستشاري، ومراسلي ديوان العرب، وكتابنا المخلصين. وأمام كل هؤلاء الذي يعمل بصمت بعيدا عن الأضواء الدكتور جورج قندلفت المشرف الفني على الديوان.
لنا طموحات كثيرة أبعد من مجرد أن تكون ديوان العرب مجلة أدبية فقط، ونحن واثقون من تحقيق الهدف، والنجاح في مسعانا.

- كيف تقيمون تجربتكم في الإعلام الإلكتروني؟

تجربة غنية وواسعة، فكما أشرت سابقا كانت انطلاقتنا في ديوان العرب في تموز ١٩٩٨ عندما كانت المواقع العربية قليلة، وتوسعنا بخطى واثقة ومدروسة. الإعلام الألكتروني العربي لا يزال في بداية الطريق، وبعض الكتاب الشباب في الشبكة يعتقدون خطأ أن الشبكة أصبحت اليوم (٢٠٠٦) بديلا للمنشورات الورقية، غير صحيح بتاتا، فما زال انتشار الإنترنت في الدول العربية ضعيفا جدا جدا لضعف انتشار الإنترنت في الوطن العربي، وكلفته الباهظة.
في الولايات المتحدة يوجد أكثر من سبعين مليون مشترك، وفي الدول العربية كلها حوالي خمسة ملايين فقط مع أن عدد سكان الدول العربية أكبر من عدد سكان الولايات المتحدة بقليل. المشكلة في الشبكة ليست في إيجاد مواقع للنشر، فهذه أصبحت سهلة، لكن الذي يغفل عنه الكثيرون هو مقدرة الموقع على استقطاب القراء، أقول القراء العاديين، وليس المثقفين فقط، لأن الكاتب يريد الوصول بإبداعه للناس، للجماهير التي يكتب عنها ولها.
من المهم جدا أن يؤثر الموقع في قرائه ولا يجلبهم فقط للتسلية، وأن يشجع الكتاب الناشئين، ويوجههم ويقدم لهم النصح، وتوجيههم للأفضل، فكثيرة تلك المقالات التي يرسلها أصحابها بدون تنقيح، وبلغة ركيكة وأخطاء قواعدية كثيرة.

بعض كتاب الإنترنت يريد احتلال مكان نجيب محفوظ دون أن يكلف نفسه بتنقيح المادة التي ما إن ينتهي من كتابتها حتى يرسلها للمواقع لتنشرها له.

نحن من جانبنا ننصح دائما كتابنا الشباب، ونوجههم لما يساعدهم في تطوير كتاباتهم، نستشير أعضاء المجلس الاستشاري في بعض النصوص قبل نشرها وأحيانا نقترح على الكاتب تصويب بعض الأخطاء، أو الأفكار. معظمهم يرحب بذلك لكن بعضهم القليل لم يتعود على الاستماع لكلمات النقد، وتربوا على سماع كلمات الثناء فقط، وهؤلاء لن يعمروا كثيرا.

- من إصدار ديوانين شعريين إلى إصدار مجموعة قصصية بعنوان (لعيون الكرت الأخضر) ً هل هي مراحل للبحث عن الوجه الحقيقي للكاتب والذي سيرسو عنده؟ أم أن هذا التنوع في الأجناس الأدبية يدل على قدرات هائلة لدى الأستاذ؟

بالنسبة للكتابة القصصية فقد بدأت أمارسها منذ عامين تقريبا بتشجيع من الأديب السوري الدكتور أحمد زياد محبك عضو المجلس الاستشاري لديوان العرب، ومدرس الأدب العربي الحديث في جامعة حلب، حين كان يقرأ المقالات التي أكتبها، وبالفعل دخلت عالم القصة بتوجيه منه وعندي الآن مجموعتان جاهزتان للنشر خلال العام القادم إن شاء الله، وثالثة في الطريق. مشكلتي الأساسية التي أعاني منها هي الوقت، لكنني سأتغلب على كل ذلك.
مارست في الماضي لسنوات طويلة من حياتي كتابة المقالات السياسية على حساب الأدب، ربما لطبيعة القضية الفلسطينية، ولكني منذ عام تقريبا قررت التوقف عن ذلك والتفرغ نهائيا للأدب. لدي طموحات كبيرة، ولكني مهما كتبت سأظل أعتبر نفسي في بداية الطريق، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، سأظل أبحر في أكثر من مجال أدبي حتى أصل شاطئ أحدهم فأرسو عليه.

- شهدت الساحة الأدبية رحيل عملاق كبير في الأدب وهو نجيب محفوظ، كيف تلقيتم هذا النبأ؟ وهل تعتبرونه آخر العمالقة أم أن الساحة الأدبية العربية غير عقيمة من أن تنجب عملاقا آخر؟

- الأديب العربي المصري الكبير نجيب محفوظ توقف عمليا عن الكتابة والإبداع منذ سنوات قبل رحيله بسبب كبر سنه، وليس فقط بعد وفاته. توقفه عن الإبداع وليس فقط وفاته كانت خسارة لكل أمتنا وكل محبي الثقافة، والأدب، لقد نعيناه في ديوان العرب وأفردنا مساحة واسعة من الكتابات النقدية عن أهم كتبه، فقد كان بلا شك أديبا كبيرا، شكلت إبداعاته ثروة فكرية وأدبية للمكتبة العربية.

لا أعتبر نجيب محفوظ آخر العمالقة، فأمتنا التي أنجبته، وتعتز به أنجبت قبله المتنبي، وطه حسين وأحمد شوقي، وأنجبت الماغوط، وممدوح عدوان، والجواهري، وإدوارد سعيد وغيرهم الكثير، وأنا واثق أن جيل الشباب الجديد سوف يرفد الساحة الثقافية بمبدعين يستحقون أن يكونوا أحفادا حقيقيين لمبدعنا الكبير نجيب محفوظ.

- تزخر الساحة الأدبية الجزائرية بالعديد من الأسماء، هل قرأتم لبعضها؟

- بالتأكيد، قرأت لبعضهم، وأنا حريص باستمرار أن أنوع قراءاتي لكتاب من مختلف الدول العربية، لأكون في صورة أمة توحدها الثقافة، قرأت للطاهر وطار، وأحلام مستغانمي، وآسيا جبار، واحميدة العياشي، وياسمينة صالح وآخرون، لكني أعترف أنني تأثرت كثيرا برواية الطاهر وطار اللاز التي قرأتها على ما أذكر عام (١٩٧٨) وقد قرأتها أكثر من مرة. وكنت أردد مع بطل الرواية الحقيقي: ما يبقى في الوادي غير حجاره. كنا نعتبر الجزائر مثالا وقدوة، في المقاومة والأدب.

- عايشتم حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ من داخل القدس، وعايشتم الحرب السادسة على لبنان من أمريكا، هل كان الشعور نفسه أم أن البعد عن مكان الحرب يقلل من الإحساس بالمقاومة؟

- نعم هناك فرق كبير، بداية كنا أكثر قلقا في أمريكا، لأننا لم نستطع أن نقدم إلا القليل بكلمة هنا، أو قصيدة هناك، فبعد أحداث الحادي عشر من أيلول أصبحت السلطات الأمنية هنا تضيق الخناق على التحركات والتظاهرات التي تتضامن مع الشعوب العربية، ألم أقل لك أن الحرية المزعومة في أمريكا مجرد شعار لا أكثر.

- العودة إلى الوطن، هل هو حلم يراود الكاتب أم هو فكرة يعمل على التأسيس لها؟

- بالنسبة لي نعم أنا أحلم بالعودة منذ سنوات، لكن العودة لنا كفلسطينيين تختلف عن أي عربي آخر، نصف الشعب الفلسطيني ممنوع من العودة، وعندما يعود أحدهم لإحدى الدول العربية، لأنها الأقرب إلى الوطن وجزء منه نمنع ونطارد، وأحيانا يسمحون لنا البقاء كسياح، وأجانب يحملون جوازات سفر أمريكية، أو أوروبية، وليس باعتبارنا جزء من وطن وثقافة، وحضارة.

- العولمة والحداثة مفهومان يطفوان على السطح. كيف ينظر إليهما الأستاذ سالم ككاتب وإعلامي؟

- بداية دعني أميز بين العولمة، وبين الحداثة، فالعولمة في مفهوم من اخترعها وبدأ يروج لها (أمريكا) محاولة أمريكية للهيمنة على العالم بطرق مختلفة، فكرية، ثقافية إلخ، أمريكا تحاول أن تتسلل إلى غرفنا من خلال الفضائيات، والسينما والإنترنت بعدما فشلت بطرق أخرى، تحت مسميات العولمة، تريدنا أن نفتح لها أبوابنا لبضاعتها الثقافية، والفكرية، لتهيمن على أجيالنا القادمة، أما الحداثة فهذه يختلف عليها المثقفون ولا يوجد تعريف واضح متفق عليه للحداثة، بعض الكتاب وخصوصا في المغرب العربي يربطون الحداثة بما يطرح في الساحة الأدبية والفكرية الأوروبية، يحاولون فرضه على واقعنا بالقوة، نحن مع الحداثة التي تخرج من رحم مجتمعاتنا وحضارتنا، وثقافتنا، مطلوب من مثقفينا ألا يرهنوا تجاربهم ومطالعاتهم فقط بالأدب الأوروبي، مثل الفرنسي والبريطاني، علينا التعرف أكثر على ثقافات وآداب الشعوب الأخرى في أفريقيا، وشرق أسيا، وأمريكا اللاتينية، لنستطيع أن نزاوج بين الحضارات والثقافات عبر لغة جميلة تحتاج من يعرف كيف يعزف على حروفها.

- هل من كلمة أخيرة للشعب الجزائري؟

- كما كان الشعب الجزائري نموذجا لنا في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، لنا ثقة في أن ينهض من أعبائه وهمومه ليستكمل بناء الجزائر، ويكون لنا مثالا آخر في البناء والتقدم والتطور. إن أمة تريد أن تكون السباقة في العلم، والثقافة عليها أن تعرف كيف تكتب وتتألم وتغني، وتتعلم بلغتها لا بلغة عدوها.
اليهود الصهاينة استطاعوا أن يحيوا لغة ميتة، وجعلوها لغة رسمية في مؤسساتهم وجامعاتهم، وبنوكهم، وفي كل شوارعهم. وترجموا علوم العالم إلى لغتهم. فكيف لا نستطيع أن نتغلب عليهم؟!

حوار مع وكالة (إيليا بيت المقدس)

أيلول ٢٠١٢

حوار: محمد البريم، ونداء يونس

- حدثنا عنك؟ ومتى كانت أول محاولة لك في كتابة الرواية؟

- الحديث عن الذات شائك، ومتشعب ما لم يكن محددا بدقة ما يريد السائل أن يعرفه، لكن بكل بساطة أقول أنا عاشق قتلته الغربة.

فتشت كثيرا
ورحلت طويلا
وعرفت الآن أخيرا
في غير ترابك يا وطني
الحب يموت وينتحر العشاق
عادل سالم

بدأت في كتابة الرواية بعد أن خطوت خطوات في مجال القصة القصيرة، وكان ذلك عام ٢٠٠٧ وصدرت روايتي الأولى مطبوعة في العام ٢٠١٠ كطبعة أولى عن دار شمس للنشر في القاهرة وهي بعنوان «عناق الأصابع». وقد اتخذت قرار الانتقال لعالم الرواية لأن عالم الرواية أرحب، وأوسع وأكثر إبداعا.

- ماذا يعني لك الكتاب؟ وما أول كتاب قرأته؟

- وسيلة أساسية من وسائل المعرفة، والعلم، والإشباع الروحي الذي لا غنى عنه كما الطعام، وتقدم الشعوب الآن يقاس بما تبدعه من علوم وآداب لشعوبها.

من الصعب تذكر أول كتاب قرأته فقد كنت صغيرا جدا وبالتأكيد كان كتابا من كتب الأطفال التي كانت تقدمها المدرسة لطلابها المتفوقين. وعندما أصبحت في العاشرة وبعد افتتاح مكتبة الأمانة في المدرسة العمرية بالقدس حيث كنت أحد طلابها صرت أحد رواد المكتبة الدائمين أتردد عليها بشكل يومي للقراءة لساعات طويلة لأن وضعي المادي لم يكن يسمح لي أن أشترك بها وأستعير الكتب للبيت فكنت أقضي الساعات فيها أتنقل من كتاب إلى آخر.

- هل تتابع القراءة عبر الانترنت أم عبر الكتاب وأيهما تفضل؟

- اكتساب المعلومات في العصر الحديث أصبح يتم بوسائل مختلفة، منها ما هو سمعي، أو بصري، كالقراءة مثلا.
الذي يحدد الوسيلة هو المادة التي أرغب في قراءتها، فليس كل ما على الورق متوفر على الشبكة وهذا ينطبق على كل اللغات بشكل متفاوت، وبالنسبة للغة العربية فإن غالبية العلوم، والأدب، والكتب الأكاديمية لا تزال غير متوفرة على الشبكة لذلك فإن قراءتي تتوزع بين الجانبين. شخصيا أفضل القراءة الإلكترونية في الوقت الحاضر لأنها تعطيني الخيار في تكبير حرف النص لأستطيع قراءته بسهولة فكثير من الكتب حروفها صغيرة ويتعبني قراءتها.

- لمن تقرأ حاليا؟ ومَن من الكتَّاب الفلسطينيين والعرب يثير إعجابك؟

- أطالع كتاب «ظاهرة المحلية في السرد المغربي» للدكتور، والأديب المغرب مصطفى يعلى.
أما الكتاب الذين يثيرون إعجابي فهم كثر، ولا أرغب بذكر أسماء كي لا أنسى أحدهم فلا أفيه حقه. لكني أعتز وأفتخر بكتابنا الصاعدين الذين رغم كل المغريات ومحاولات التغريب يصرون على تقديم أجمل إبداعاتهم لشعوبهم.

- كم رواية أصدرت حتى الآن؟

- لدي أربع روايات جاهزة على الحاسوب منذ ثلاث سنوات طبع لي منها روايتان هما «عناق الأصابع» في طبعتين، ورواية «عاشق على أسوار القدس»، وهناك رواية ثالثة ستصدر الشهر المقبل بعنوان «قبلة الوداع الأخير»، ورواية رابعة ستصدر في العام المقبل بعنوان «الحنين إلى المستقبل».

- ما هو الباعث الذي دفعك لكتابة رواية «عاشق على أسوار القدس» وهل وجدت صعوبة في اختيار عنوانها؟

القدس عاصمة الشعب الفلسطيني السياسية، والثقافة وتتعرض لمحاول تهويد يومية، وطرد للسكان العرب، وكان لا بد أن نشحذ نحن الكتاب أقلامنا ليس فقط للدفاع عنها ولكن لنحفظ لأجيالنا القادمة صورة القدس الأصلية كما هي قبل التهويد، والتزييف الذي تتعرض له.
كنت في البداية سأطلق عليها اسم: «طريق بلا نهاية»، لأن طريق القدس ليس له نهاية من يريد القدس عليه أن يستعد للدفاع عنها من أطماع الغزاة حتى قيام الساعة. لكني غيرتها عندما قرر بطل الرواية أن يستشهد على أسوارها.

- كيف يساعد التنميط المتطرف في كلا الاتجاهين لصور الأشخاص والأزمنة والأماكن في روايتك؟

شخصيات الرواية ليس فيها تطرف فهي من الواقع تعيش بيننا، تأكل معنا، نسمع بها، نقرأ عنها. أما الأماكن فهي أزقة وحارات القدس القديمة، والحديثة التي دمرها الاحتلال أو التي ما زالت شامخة حتى اليوم. بعض الصور مرسوم في الذاكرة يصعب محوه، أو تجاهله، أو تغييره، لأنه يحمل تراث شعب ما زال يقاوم، وإن اختلفت طرق مقاومته.

- تصور الفلسطيني في أمريكا كأنموذج خلقي عال (تنميط جيد للصورة) والفلسطيني هنا إما حرامي سيارات أو متقاعس أو مرتش أو زانٍ أو في زمن أخر، زمن العصابات كما وصفته (تنميط سلبي)، ما الذي ترمي إليه من خلال هذه الصورة النمطية، وهل تخدم هذه الصورة فكرة العودة أم تخلق ألف سؤال حولها؟

- الرواية لم تتحدث عن واقع الجالية العربية، والفلسطينية في أمريكا فليس هذا هدفها، يمكنك أن تقرئي عن واقعها في مجموعتي القصصية: «لعيون الكرت الأخضر»، أو في مجموعتي: «يوم ماطر في منيابولس»، هناك ستجدين كل ما تبحثين عنه.

«عاشق على أسوار القدس» ركزت في أحداثها على ما ينتظر المقدسي (الذي كان يعيش في القدس بعد احتلالها عام ١٩٦٧) المغترب العاشق لبلده عندما يقرر العودة لأرض الوطن.
وهي لا تصور الفلسطيني بالإطار العام كما تشيران في سؤالكما لكنها تعرض أمامه واقعا جديدا وهو واقع متناقض يجمع بين ثناياه كل شيء، فهو لا يتحدث عن السلبي فقط يبدو أنكما نسيتما الأسير عزمي الذي التقى مع حسن في السجن، ودافع عنه باستماتة.
علينا عدم الهروب من واقعنا، فالإبداع الروائي يجب ألا يكون مدحا لنا كي نرضي ذواتنا، فالعاشق للقدس سيزيد عشقا لها رغم كل هذه المتناقضات، وهذا ما فعله سرحان.
هذه الصور يعرفها الذين يقررون العودة لأنهم على اتصال دائم بأهلهم هنا وعلى من يقرر العودة للعيش في القدس تحت حراب الاحتلال أن يعرف أنه ليس عائدا لجنات النعيم بل لمرحلة جديدة من المواجهة، والصمود مع مخططات الاحتلال الهادف لتفريغ المدينة من سكانها العرب. عندما يعرف ذلك ويعود فسوف ينجح في المواجهة.

- لماذا تم استعراض انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي للبشر بحيادية تامة وكأن ذلك يحصل بالضرورة الطبيعية، مشهد محاولة الاغتصاب، السجن مع جنائيين إسرائيليين، مشاهد الاعتقال المبرمج والحوارات العادية بين جنود الاحتلال للتعامل مع البطل وأسرته، هل تريد بذلك أن تنزع الصفة الإنسانية للمحتل وان تظهره بمظهر آلة الاعتقال الجهنمية؟

- كما قلت سابقا فأنا أعرض الواقع بأسلوب أدبي إنساني، وانتهاكات إسرائيل للشعب الفلسطيني أصبحت ظاهرة يومية ميكانيكية خطط لها بعناية بحيث انخرط كل اليهود بشكل عام في تنفيذها.
نعم جنود الاحتلال هم جزء من أداته القمعية، وهم الذين نفذوا الجرائم ضد أبناء شعبنا، وأهلنا، ودمروا قرانا.
هجرتهم من روسيا وإثيوبيا، وأوروبا لفلسطين تعني أنهم جاءوا ليحلوا محل شعبها وأن مستقبلهم، ورفاهيتهم لن تكون إلا على أنقاض هذا الشعب. ولهذا فنظرتهم لنا تخلو من أية إنسانية.

مشهد محاولة الاغتصاب بالسجن ظاهرة عادية موجودة في كل السجون في العالم حيث يتواجد سجناء صغار السن، وقد تعرض كثير من أسرانا لمثل تلك المحاولات من قبل جنائيين يهود، وعرب أيضا. وأعرف شخصيا حالات تعرضت لذلك.

- كيف تستحضر كافة تفاصيل الصراع اليومي مع المحتل رغم انك تعيش في أمريكا، ما هي مصادرك؟

مصادري متنوعة منها ما عشته بنفسي، فقد عشت معظم حياتي في القدس، وكانت علاقاتي متشعبة، وواسعة، وأمضيت حوالي ثلاث سنوات متنقلا ما بين سجون عدة منها: سجن نفحة، بئر السبع، كفار يونا، الرملة، المسكوبية وذلك ما بين ١٩٧٨ و ١٩٨٥. إضافة لزياراتي الكثيرة للقدس.

أضف إلى ذلك اتصالي الدائم مع الأهل والأصدقاء. وكثرة المغتربين المقدسيين حيث أقيم الذين يزورون القدس بشكل مستمر بحيث من الصعب أن تمر شهر لا يوجد فيه شخص يسافر إلى القدس فيعود محملا بأخبارها بالتفاصيل الصغيرة.
وما أقرأه يوميا عما يحدث في أرض الوطن، فعاشق القدس يبحث عن أخبارها في كل مكان.

- هل تعتقد أن وجودك في الغربة اثر على رؤيتك للحدث، أنت تعيب على السلطة لجوءها إلى المحتل لتحقيق حلم الدولة ولكنك قبلت بوساطة اليهودي الذي كان مجرم حرب، وحصل على وسام الدولة لخدمته دولة الاحتلال للحصول على بطاقة هوية للبطل؟

المفروض أن الموقف من الاحتلال لا تغيره الأمكنة، وموقفي من الاحتلال موقف الشعب الفلسطيني بصفة عامة دون الدخول في تفاصيل فرعية، وكما قلت لكما في سؤال سابق هذه الرواية تنقل الأحداث بغض النظر إن كان القارى يعدها أمرا إيجابيا أم غير ذلك، وفي الواقع هناك فرق كبير أن يقوم مواطن ما في توكيل محام ليدافع عنه في محاكم الاحتلال، أو يوسط أحد أذناب الاحتلال، أو شخصياته، لتحقيق تسهيل ما مثل السماح له بالسفر، أو الحصول على شهادة ميلاد، أو بطاقة هوية إلخ وبين أن تقوم سلطة سياسية تعد ممثلا سياسيا لشعب مقاوم بهذه الأعمال، فالأمر شاسع ولا مجال للمقارنة بينهما، وشخصية سرحان بطل الرواية ليست شخصية عمر بن الخطاب فهو

إنسان عادي ليس سياسا، ويقوم بما يقوم به أي مواطن عادي. كل سكان القدس مثلا يحملون البطاقة الزرقاء وهي بطاقة إسرائيلية تضمن لهم حق الإقامة وليس الطرد، لكن أن تصبح هذه البطاقة مطلبا وطنيا لسلطة سياسية كالسلطة الفلسطينية فهذا شيء آخر غير مقبول. وما قام به سرحان يقوم به كثير من المواطنين، هذا هو الواقع المؤلم، لكن الرواية أرادت أن تقول أن إسرائيل لم تستجب لأحد لمطالب إنسانية عادلة وهو حق سرحان بالعيش في القدس فكيف ستقبل بعودة النازحين واللاجئين؟

- هل تعتقد ككاتب أن للقدس زمنا خاصا الآن (زمن العصابات)، وهل يؤثر هذا الزمن على إمكانية جذب الفلسطينيين إلى مدينتهم سلبيا ام ايجابيا؟

- القدس تعيش في زمن المتناقضات لكن كل هذه المتناقضات تلتقي في النهاية قبلت أم رفضت في هدف واحد محاولة تعطيل المشروع الصهيوني في القدس المحتلة. إسرائيل ترغب بالتخلص من كل ما هو عربي إيجابيا كان أم سلبيا ولكن على مراحل. وأنا أعتقد وقد أخطئ أن المظاهر السلبية التي انتشرت بكثرة في القدس، نتجت عن اتفاقية أوسلو وما ترتب عنها حيث تم تغييب ثقافة المقاومة، والصمود، وطغت عليها مظاهر المصالح، وعدم الاكتراث، واللامبالاة التي انتشرت بين كثير من الشباب.

- لماذا هذه النهاية الدامية؟ لماذا تحكم على هذا الصراع من اجل الوقت بموت البطل؟ لماذا لم تترك النهاية مفتوحة كصراعنا المفتوح معهم؟ وكيف يخدم موت البطل الفلسطينيين الآخرين ليأتوا ويتنازلوا عن مكاسبهم من اجل القدس، لماذا لجأت إلى نهاية مغلقة؟

جنون قيس بن الملوح بعث فيه الحياة، وما زلنا نقرأ عنه بعد ألف عام من موته، هكذا هم العشاق يموتون من أجل من يعشقون.
هناك كتاب يقدمون للقارئ أبطالا خارقين، لا يموتون، يتغلبون على كل المصاعب وكأنهم سحرة، الواقع ينفي ذلك، عشرات الأبطال في ثورتنا استشهدوا من عز الدين القسام حتى كمال عدوان، وأبو جهاد، والرنتيسي، والشيخ أحمد ياسين، والقافلة تسير.
هؤلاء هم أبطالنا، عشاق الوطن، باستشهادهم ارتكب المحتل جرائم جديدة. الرواية تخاطب الرأي العام الإنساني، أن سرحان الخطيب سقط شهيدا وهو أعزل من السلاح، وأن عدونا يقتل أبناءنا لأنهم أكثر عشقا منه للوطن وليس لأنهم يقتلون ويخربون.

النهاية إذن ليست مغلقة، فهذه نهاية عشاق الوطن وما زال للوطن بقية عشاق يسيرون خلفه.
هذه النهاية تدفعنا دفعا للحقد على المحتل، وليس التصفيق للفرد. إنها تقول لهم جاء دوركم فاستعدوا فطريق القدس ليس له نهاية. مئات الآلاف من الشهداء سقطوا في مسيرة شعبنا الطويلة لكن ما زال آخرون يسيرون لنفس الهدف مع علمهم المسبق أنهم قد يلقون نفس المصير.
عمر بن الخطاب استشهد مقتولا لكن راية أمتنا لم تمت بموته بل رفعها آخرون وتابعوا المسيرة.

- لماذا اخترت دار الجندي للنشر والتوزيع رغم وجود عدد من دور النشر بأمريكا؟

- أنا أكتب باللغة العربية للشعوب العربية، لا أخاطب الأمريكيين بلغة غير لغتهم لذلك من الطبيعي أن أنشر الرواية في البلد التي كتبت عنها.

- كلمة أخيرة ترغب بقولها لدار الجندي للنشر والتوزيع بالقدس؟

- أتوجه لهم بالشكر وخصوصا لزميلي سمير الجندي، زميلي أيام الدراسة الابتدائية آملا له النجاح في نشر روائع الإبداع الأدبي الفلسطيني في الوطن وفي الدول العربية.

كما أشكر الزميلين محمد البريم، ونداء يونس على هذا الحوار الأخوي.

حوار مع الصحفية بيانكا ماضية
علينا مخاطبة أنفسنا، وشركاءنا في الوطن

جرى الحوار في نيسان ٢٠٠٧

- كانت لك تجربة مريرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي في القدس، هل لك أن تحدثنا عن هذه التجربة، وماصنعته في نفسك من رؤى شعرية وقصصية تلقي بظلالها على تلك الفترة؟

تجربة الاعتقال في السجون الصهيونية كانت تجربة مؤلمة وغنية في آن معا، فهي مؤلمة ليس لأنها تحد من حرية الإنسان الفلسطيني فقط ولكن لأنها تضعه في مواجهة يومية مع إدارة السجن التي تعمل وفق مخطط مدروس لقتل الأسير الفلسطيني والعربي داخليا وتفريغه من أفكاره، وانتمائه الوطني، وهي لهذا تخلق له المتاعب اليومية خلف القضبان حتى لا يهنأ، ولا يفكر، ولا يكتب، أو يقرأ، يريدونه أسيرا يقضي يومه باللعب والنوم. ولهذا فالأسير الفلسطيني دائما في حالة تأهب لمواجهة إدارة السجن كأنه في حرب متواصلة، لا مكان للراحة له فيها.

لقد سطر أبطالنا الأسرى في السجون الصهيونية آيات من البطولة وقدموا الشهداء في انتزاع حق امتلاك الورقة والقلم حيث كان ممنوعا في سنوات الستينيات ومطلع السبعينيات، وبعد القلم والورقة ظلت إدارة السجون تصادر المواد المكتوبة، لذلك كنا نوزع ما نكتبه بطرق سرية يصعب وصفها. وهي تجربة غنية أيضا لأنها توفر مادة واسعة للكتابة عن الأسرى ومعاناتهم وقصصهم، ومشاعرهم، وأحلامهم.

تأثير الاعتقال واضح على الكثير من الكتابات التي كتبتها سواء شعرا، أو قصة، وأخيرا الدراسة التي كتبتها عن الأسرى خلف القضبان التي صدرت العام ٢٠٠٦ (أسرانا خلف القضبان)، ولدي الآن مجموعة قصصية على وشك الانتهاء عن الأسرى خلف القضبان، سأحاول نشرها هذا العام وإلا ستنشر في مطلع العام القادم (عناق الأصابع).

- أين تضع تجربتك الشعرية، والقصصية في حيز المكان؟ وماذا أضافت رحلة التنقل إلى ذخيرتك المعرفية؟

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، رغم كل ما تحقق أقول لا أزال في بداية الطريق، ربما لم أبدأ بعد، أحلامي كبيرة وأمامي الكثير من المهمات، تنقلت في حياتي كثيرا وأصبحت مثل البدو الرحل، فعمري الان خمسين سنة، تنقلت فيها في حوالي ٤٥ بيتا، بحيث أصبحت أنشد الراحة والاستقرار، أتمنى أن أعيش في بيت لا أنتقل منه إلا إلى المقبرة.
هذا التنقل ضيع الكثير من وقتي وحرمني الاستقرار، وأثر على الكثير من مشاريعي، وكان علي أن أتأقلم على ذلك وأعود نفسي عليه. لا أنفي أن هذا التنقل زاد من خبرتي وأضاف إلى معرفتي الكثير ووسع رؤيتي للمستقبل.
أعترف أنني بعد هذه المحطات كلها اكتشفت نفسي من جديد وعدلت الكثير من قناعاتي السابقة.

- مكان ميلادك: القدس، البلدة القديمة، بجانب المسجد الأقصى، ماذا يصنع هذا المكان في ذاكرة الأديب عادل سالم؟

القدس، وخاصة البلدة القديمة لها مكان واسع في ذاكرتي، وهي لا تزال سليمة والحمد لله، أستعيدها كلما أحببت وأنا مستلق على فراش، أو جالس على شط بحيرة. ولدت في حارة القرمي، وفي أزقتها عشت أكثر من عشرين سنة من عمري على الأقل قبل أن أنتقل خارجها.

زيارة المسجد الأقصى كانت يومية لنا، ليس للصلاة فقط، وإنما للدراسة في أروقته بعيدا عن أصوات الأهل والجيران. فقد عشت بعيدا عنه مائتي متر فقط.

في شوارع البلدة القديمة خرجنا نتظاهر ضد الاحتلال الصهيوني، ومنها اعتقلت أول مرة عام (١٩٧٨)، وفي مدارسها تعلمت، وفيها أحببت أول فتاة، وفيها كتبت أول

قصائدي، وفي شوارعها نعيت صديقا قديما هو الشهيد محمود الكرد، الذي قتله الصهاينة عام (١٩٧٦) في شارع باب خان الزيت، فسال دمه وسجل تاريخ شعب مقاوم. وفيها اشتغلت خلال المدرسة، أبعد كل هذا ألا يحق لي أن أحتفظ بأغلى الذكريات عنها..

- أصدرت كتاباً هو دراسة توثيقية جاءت بعنوان (أسرانا خلف القضبان) ما الذي احتواه هذا الكتاب؟

يتألف الكتاب من ثلاثة فصول إضافة للملاحق والمراجع. الفصل الأول عن أهم أساليب التحقيق التي تمارسها المخابرات الإسرائيلية مع المناضلين العرب، والفصل الثاني حول ظروف الاعتقال والأسر داخل هذه السجون، والمعتقلات الصهيونية، حين تتوحد هناك إرادة الأسرى الفلسطينية، والأسرى العرب من سوريا، والأردن، ومصر وغيرها مؤكدة تلاحم هذه الأمة، وتراص صفوفها، والفصل الثالث (في رحاب الأسر) ينقل الكاتب فيه تجارب حية عايشها مع الأسرى خلف القضبان لقد أهديت هذا الكتاب للأسير الشهيد عمر القاسم الذي استشهد في سجن نفحة عام 1989 بعد أن قضى أكثر من ٢١ عاما خلف القضبان كانت حتى استشهاده أكثر مدة يقضيها أسير فلسطيني في السجون الصهيونية.
الكتاب يعتمد إضافة إلى المراجع والمصادر على اللقاءات الشخصية التي كان يجريها الكاتب مع العديد من الأسرى أثناء وجوده معهم في ثمانينيات القرن الماضي. وهو وثيقة دامغة تسجل انتهاكات إسرائيل المتكررة ضد شعبنا وأمتنا والإنسانية جمعاء.

- مجموعة (لعيون الكرت الخضر) القصصية التي نشرتها في العام (٢٠٠٦)، تدور موضوعاتها حول الجالية العربية المغتربة في أمريكا، كيف تنظر إلى دور هذه الجالية في تعاملها مع قضايا أمتها هناك في المغترب؟

حسب وجهة نظري (أنا أعيش هناك منذ أكثر ربع قرن، وأقاربي هنا يعدون بالمئات)، الجالية العربية مت زال دورها ضعيفا وهذا يعود لعدة أسباب منها ما يتعلق بحداثة هذه الجالية مقارنة بجاليات أخرى مثل اليهودية، أو الهسبانك (تسمية يقصد بها الأمريكيين من أمريكا الجنوبية)، أو السود مثلا، وثانيا لأن هذه الجاليات ما زالت تحمل معها كل خلافاتها القديمة، فكل جالية عربية من دولة ما متقوقعة على نفسها، وكل شخص يهتم بمصالحه الخاصة، والمسألة الثالثة والأهم منها جميعا أن الجالية

العربية لا تزال تعيش غريبة عن المجتمع الأمريكي ونخص المسلمين منهم بشكل خاص ولذلك فإن إمكانية التأثير في المجتمع ضعيفة جدا.

فاليهود مثلا يشاركون في كل مرافق الحياة الأمريكية يتزوجون من الأمريكيين ويختلطون معهم يذهبون لباراتهم، لملاعبهم، إلخ
لكن نحن نتصرف كأننا منعزلين عنهم تماما. بل هناك عرب يعيشون هنا منذ ثلاثين سنة، ليس لهم ولو صديق أمريكي واحد، ولو حصل واشتغل عربي مثلا في سلك المخابرات الأمريكية سينظر له أغلب العرب بأنه جاسوس، خائن للعرب، ويبتعدون عنه.

نعم لقد بدأ الكثير من أبناء الجالية في المشاركة، والتغيير وخصوصا من الجيل الثاني، والثالث من العرب الأمريكيين إذ يصعب القول أنهم مغتربون لأن الجيل الجديد لم يعد يفكر بالعودة لوطنه الأصلي، ويعتبر أمريكا هي وطنه النهائي، لكن هؤلاء ما زالوا قلة ومنهم من يتعرض للتحريض من قبل أهاليهم بعدم الاختلاط بالأمريكيين البيض والابتعاد عنهم.
تلك حقيقة قد يحاول بعضنا إنكارها لكنها موجودة رغم أنفنا.

- أسست مواقع إلكترونية متعددة، وديوان العرب واحد منها، وهو يستقطب الأدباء والمفكرين، والشعراء، والكتاب العرب من مختلف أرجاء العالم، ماهو تأثير التجربة الرقمية على الساحة الثقافية العربية برأيك؟

تأثير إيجابي في الإطار العام لكن ما زلنا نحن العرب لم نستفد منه سوى خمسة بالمائة فقط. ومعظم ما أراه هو انبهار من المواطنين العرب بالمحادثات وكتابة المقالات للتعبير عن الرأي، لم نمسك بجوهر الشبكة، هناك جامعات مثلا تقدم دورات ومحاضرات على الشبكة، فأين نحن من ذلك؟ أنا أتكلم عن الجميع وليس عن جامعة محددة واحدة.

هناك شركات تدير أعمالها وبرامجها على الشبكة، فأين نحن من ذلك؟
كل البنوك الأمريكية يمكنك عبر الشبكة إدارة حساباتك بنفسك فهل هذا ممكن لدى كل البنوك العربية؟ طبعا لا فالشبكة غير منتشرة عندنا أصلا في كل بيت.
نسبة المشاركين في الشبكة من الدول العربية لا تزيد عن خمسة في المائة حتى (٢٠٠٦).

لماذا تنتشر مقاهي الشبكة في الدول العربية؟ ببساطة لأن الناس لا تملك ثمن الجهاز ولا الاشتراك.
في المكتبات العامة في أمريكا وهي كثيرة وفي كل منطقة يوجد عشرات أجهزة الحاسوب في كل بناية مجانا لاستعمال الناس فأين نحن من ذلك؟
لنعد لحرية النشر على الشبكة العنكبوتية، أرى أنها فتحت آفاقا لتبادل الآراء والمعرفة، ولكن أغلب كتابنا للأسف استسهلوها ولم يعودوا يفكرون بتطوير لغتهم، وأساليبهم، فوجد جيل من الكتاب الشباب إن جازت التسمية غريب عن لغته، ضحل في أفكاره، يهمه فقط أن يقول شيئا ليصل الآخرين، ولا يعرف أن ما كتبه اليوم قد لا يقرأ غدا.

آلاف الشباب يدعي كل منهم أنه كاتب، ومفكر، وشاعر، وعندما يوجه لهم أحد نقدا لغويا، أو يرشدهم لأخطائهم يثورون عليه، ويشتمونه.
لكنها تبقى في الإطار العام نقلة كبيرة إلى الأمام، لم نمسك بزمامهما بعد. فنحن لا نبحث في الشبكة عن كل ما هو إيجابي بل عن كل ما هو سلبي فيها.

- ماهي الصعوبات التي تعترض مسيرة تجربتكم الثقافية الإعلامية في (ديوان العرب)؟ وأي العوامل التي تساهم في إنجاح هذه المسيرة؟

بالتأكيد أهم الصعوبات التي تواجه كل المؤسسات الثقافية العربية هي عدم وجود أموال كافية للقيام بالعديد من المشاريع الثقافية، والفكرية التي تعتبر من أهم أهدافنا، كما تحد القوانين العربية من إمكانية تسجيلنا رسميا في إحدى الدول العربية، لأن القانون يشترط فتح سجل في قسم الضرائب، وشروطا كبيرة يصعب توفرها، فيما سجلناها هنا في أمريكا بخمسة وثلاثين دولارا فقط وبدون عراقيل أو أية أسئلة.
ألا يدعو هذا للرثاء؟

- مامن شك في أن لهذا الموقع رسالة إلى الآخر الغربي، ماهو مضمون هذه الرسالة؟

أولا الآخر ليس فقط الغربي الذي يبهرنا بالتكنولوجيا حتى بدنا ننسى الآخر الأقرب في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا الجنوبية، بصراحة لا في ديوان العرب لم نتوجه بعد للآخر.

فلا يمكن مخاطبة الغربي باللغة العربية، لكن لنا طموح لا ندري متى يتحقق أن نترجم إبداعاتنا إلى لغات أخرى نستطيع من خلالها أن نطل عبرها بعض الشيء على

الآخرين، علينا قبل مخاطبة الآخر سواء كان غربيا، أو شرقيا، أو إفريقيا، أو أمريكيا جنوبيا، علينا مخاطبة أنفسنا وشركاءنا في الوطن، علينا أن ننجح في حوار أبنائنا الذين يعيشون معنا.

نحن يهمنا في الأساس تمتين جبهتنا الداخلية الثقافية التي يهملها الكثير منا، في كل مؤتمراتنا الثقافية ندفع آلاف الدولارات لدعوة كاتب من أمريكا، أو بريطانيا، هذا الاهتمام يجب أن يوجه للداخل بكل قومياته ومكوناته، علينا إيجاد مناخ ثقافي عربي يؤمن بأن العروبة ثقافة إنسانية، وحضارية منفتحة وتستوعب شركاءها في الوطن والدين، وليست ثقافة عنصرية تقوم على العنصر، أو الطائفة. السياسيون العرب أساءوا للثقافة العربية عندما ظلموا الآخرين باسم العروبة، وعلينا نحن المثقفين أن نصحح هذا الخلل ونعيد للداخل لحمته، نحن في ديوان العرب نمد أيدينا لكل شركائنا في الوطن الناطقين بالعربية ليتقدموا نحونا، فصدورنا مفتوحة لهم كما قلوبنا وأفكارنا، فلا مستقبل لأبنائنا بغير مستقبل أبنائهم ولا حرية لنا إلا بحريتهم وازدهارهم.

- بماذا تختم حوارنا أستاذ عادل في ظل ماتعيشه الأمة من صراعات داخلية وخارجية تؤثر سلباً على الإنسان لما يلقاه من حروب وآلام ودمار وسلب لحقوقه؟

أكثر هذه الصراعات تأثيرا على حياتنا هي الصراعات الداخلية، كما هو الحال في العراق مثلا أو لبنان، السودان، الصومال، اليمن، فلسطين، وغيرها. ليس أمامنا سوى طريق واحد لتقدمنا وازدهارنا، الانفتاح بين أبناء أمتنا بكل مكوناتهم، تقبل كل منا للآخر كما هو، والعمل معا لبناء وطن الأبناء، وطن الأحفاد، بعيدا عن توريث الأحقاد، والتعصب، والعنصرية، لن ينهزم أعداؤنا بدون تمتين جبهتنا الداخلية.

أقول لأبنائي وأبناء كل شعوبنا العربية، وأبناء كل سكان هذا الوطن الكبير من عرب وأكراد، وأمازيغ، وأفارقة، ومسلمين شيعة، وسنة، ودروز، ومسيحيين أقباط، وموارنيين، وكاثوليك، وأرثوذوكس، ويزيديين ووووو
لا تسمعوا لآبائكم إن دعوكم للتحارب، ومعاداة بعضكم بعضا.

لتصنعوا معا ما فشل الآباء في صنعه، المحبة والتسامح ولتتعانق أيديكم معا من أجل مستقبل باهر تكونون فيها روادا في الفكر، والأدب، والعلم، والفن وشتى شؤون المعرفة.

عادل سالم في سطور

- أديب عربي، ورئيس تحرير «ديوان العرب»، مقيم في الولايات المتحدة.

- ولد في البلدة القديمة من القدس في فلسطين في الأول من تموز، يوليو (١٩٥٧) في حي (القرمي) الكائن ما بين المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة. أمي تقول أنه كان يوم أحد والحاسوب يؤكد أنه كان يوم اثنين فإن صح كلاهما يكون مولدي في الثلاثين من حزيران يونيو ١٩٥٧ وقام والدي بالتبليغ عني في اليوم التالي لدى دائرة تسجيل النفوس.

- أبوه الحاج محمد عبد الرحمان وزوز من مواليد القدس عام ١٩٣٥ وتوفي في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٨، وأمه الحاجة آمنة عبد الجواد وزوز مولودة في الخليل عام ١٩٣٩ ولا تزال تقيم مع أولادها في الولايات المتحدة حتى صدور هذا الكتاب.

- اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرتين بتهم سياسية، عام (١٩٧٨)، وعام (١٩٨٢)، حيث أمضى (٣٣) شهراً خلف القضبان، تنقل خلالها بين سجون عديدة منها سجن بئر السبع، وسجن نفحة الصحراوي، وسجن الرملة، وسجن بيت ليد وغيرها. وساهم مع كتاب آخرين في تطوير الحركة الثقافية في السجن حيث شارك في تحرير بعض المجلات الاعتقالية المنسوخة باليد بالتعاون.

- فرضت السلطات الإسرائيلية عليه الإقامة الجبرية عام (١٩٨٧) في القدس لمدة ستة أشهر حيث منعته من مغادرة مدينة القدس وفرضت عليه الإقامة في البيت منذ مغيب الشمس حتى شروقها، وإثبات وجوده يومياً في مقر الشرطة في القشلة في البلدة القديمة.

- عاش عادل سالم طفولته حتى سن ١٩ عاماً في البلدة القديمة من القدس، متنقلاً بين أزقتها وشوارعها الضيقة. وتنقل بين عدة مدارس فيها هي: المدرسة العمرية الابتدائية، ومدرسة دار الأيتام الإسلامية في المرحلة الإعدادية، وأخيرا الكلية الإبراهيمية في المرحلة الثانوية خارج البلدة القديمة.

- ساهم في مرحلة من مراحل حياته (١٩٧٨ - ١٩٨٧) في العمل النقابي الفلسطيني حيث بادر بتأسيس وإحياء بعض النقابات العمالية في القدس وكان عضواً في مجلس الاتحاد العام للنقابات العمالية، وشغل لفترة عضوية اللجنة التنفيذية للاتحاد حيث كان مشرف الاتحاد الثقافي.

- شارك عام (١٩٨٨) في ورشة عمل في الأمم المتحدة عن واقع العمال الفلسطينيين تحت الاحتلال.

- شارك في محاضرة عن أوضاع العمال الفلسطينيين في الضفة والقطاع بدعوة من اتحاد العمال الكندي عام (١٩٨٨).

- شارك في العديد من الندوات الشعرية وتعرض لملاحقة السلطات الإسرائيلية عام (١٩٧٨) بعد قصيدة ألقاها في احتفال جماهيري بمناسبة الأول من أيار في قاعة سينما الحمراء في القدس كان عنوانها: «لن تسقط راية ثورتنا».

- من خلال ديوان العرب أسس لمسابقة أدبية عربية سنوية كانت الأولى في الشعر عام (٢٠٠٣)، والثانية في القصة القصيرة عام (٢٠٠٤)، والثالثة في أدب الأطفال عام (٢٠٠٥)، والرابعة في الشعر الحر عام عام (٢٠٠٧)، والخامسة في مجال الرواية العربية للشباب عام (٢٠١٠)، والسادسة في مجال المجموعة القصصية عام (٢٠١٢)، والسابعة في مجال القصة القصيرة جدا عام (٢٠١٥).

- ساهم في تأسيس تجمع أدبي فكري للكتاب الفلسطينيين لكنه استقال منه لاحقاً، لغياب النهج الديمقراطي في العمل.

- كتب في عدة صحف أميركية ناطقة بالعربية مثل عرب تايمز، وبيروت تايمز من عام (١٩٩١) حتى العام (٢٠٠٢) في شتى شؤون المعرفة والثقافة والأدب والشعر.

- أسس موقع ديوان العرب عام (١٩٩٨) الذي يحظى بسمعة طيبة في أوساط المهتمين بالشأن الثقافي والأدبي، ويشغل الآن رئيس التحرير.

- نشر العديد من قصائده ودراساته في مجلات، وصحف يومية، وشهرية مطبوعة مثل (الفجر الأدبي)، و(الكاتب)، و(الاتحاد)، و(البيادر الأدبي)، و(البيادر السياسي)، و(النهار)، و(الشعب)، و(فلسطين الثورة)، و(الحرية)، و(العودة)، و(عرب تايمز)، و(بيروت تايمز)، وغيرها.

الإصدارات الأدبية

الروايات:

- صدر له عن (المؤسسة العربية للنشر في بيروت) رواية «الحنين إلى المستقبل» عام ٢٠١٦. صمم الغلاف الفنانة رشا السرميطي.

- صدر له رواية «قبلة الوداع الأخير» عن المؤسسة العربية للنشر في بيروت في نهاية ٢٠١٢.

- صدر له عن «دار الجندي» في القدس رواية «عاشق على أسوار القدس» عام ٢٠١٢.

- صدر له عن دار شمس في القاهرة عام ٢٠١٠ روايته الأولى «عناق الأصابع»، رواية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، تقع الرواية في ٣٦٨ صفحة من الحجم المتوسط.

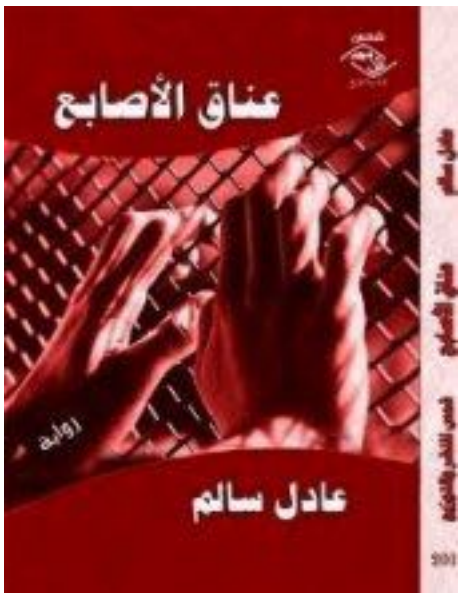

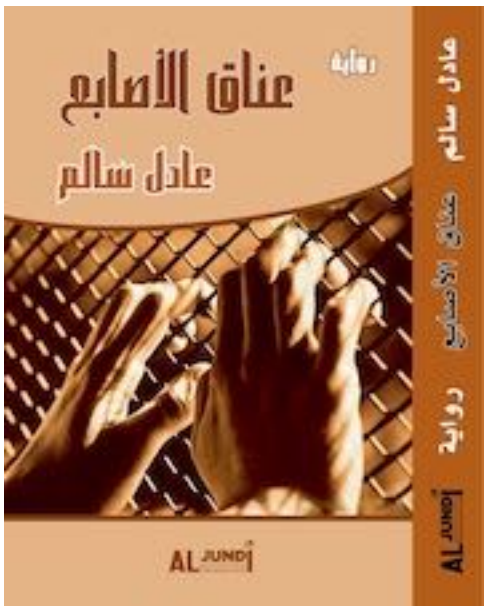

- صدر له عن «دار الجندي» في القدس الطبعة الثانية من رواية «عناق الأصابع» عام ٢٠١٢.

مجموعات قصصية:

- صدر له عن «دار الجندي للنشر» في القدس مجموعة قصصية بعنوان «الرصاصة الأخيرة»، تضم المجموعة التي جاءت ب ٢٨٨ صفحة من الحجم المتوسط ٣٥ قصة قصيرة منوعة داخل وخارج فلسطين المحتلة. كتبت خلال العامين الأخيرين، وقد صمم غلاف المجموعة الفنانة والقاصة الفلسطينية رشا السرميطي من القدس المحتلة.

وقد أهدى الكاتب مجموعته لحارات وأزقة القدس القديمة، أولى القبلتين، ودرة المشرقين.

- صدر له أيضا في العام ٢٠١٢ مجموعة قصصية جديدة عن مؤسسة شمس للنشر، بعنوان «يحكون في بلادنا».

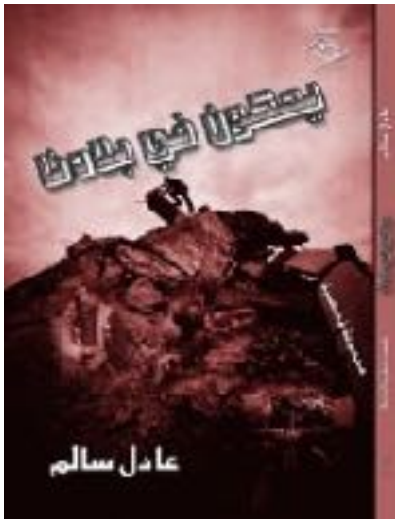

- صدر له في العام ٢٠١٢ أيضا مجموعة قصصية عن (المؤسسة العربية للنشر) في بيروت بعنوان «يوم ماطر في منيابولس»، وتضم المجموعة قصصا قصيرة عن واقع الجالية العربية في الولايات المتحدة.

- صدر له عن المؤسسة العربية للنشر في بيروت عام (٢٠٠٧) مجموعة قصصية بعنوان «ليش ليش ياجارة؟»، المجموعة تقع في ١٤٤ صفحة من الحجم المتوسط.

- صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «لعيون الكرت الأخضر»، صيف (٢٠٠٦) عن المؤسسة العربية للنشر في بيروت، والمجموعة في ٢٨١ صفحة من الحجم المتوسط وتدور حول الجالية العربية المغتربة في الولايات المتحدة الأمريكية.

دواوين شعر:

- صدر عن «المؤسسة العربية للنشر» في بيروت عام ٢٠١٥ ديوان شعر جديد بعنوان «الحب والمطر».

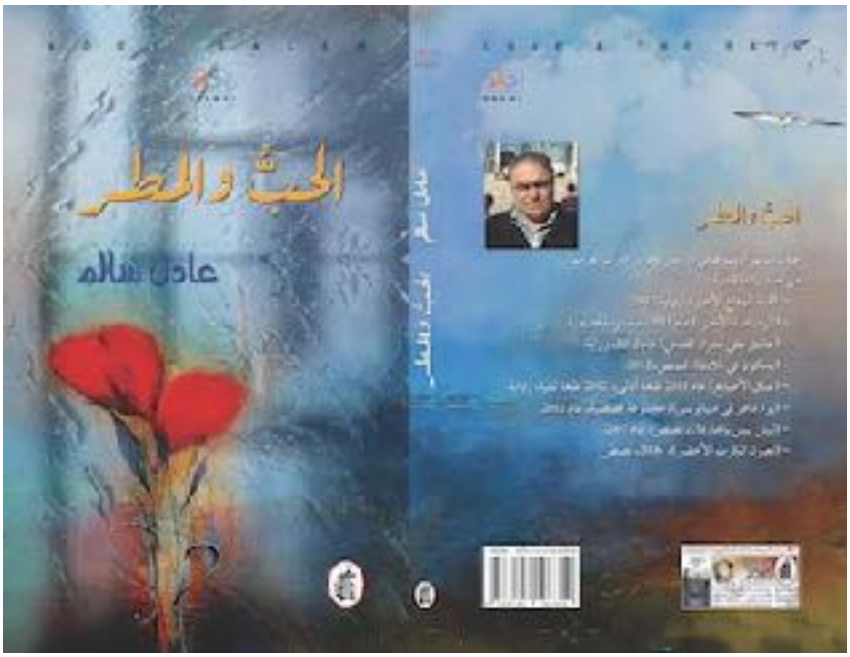

- أصدر ديوانين شعريين قديمين هما «عاشق الأرض» عام (١٩٨١)، و «نداء من وراء القضبان» عام (١٩٨٥).

إصدارات أخرى:

- صدر له عن دار «الكلمة» للنشر في مصر عام (٢٠٠٦) دراسة توثيقية بعنوان «أسرانا خلف القضبان»، الكتاب يقع في (٢٢٠) صفحة من الحجم المتوسط وهو دراسة توثيقية عن الأسرى العرب في سجون الاحتلال الصهيوني البغيض.

- أصدر دراسة بعنوان «الطبقة العاملة الفلسطينية والحركة النقابية في الضفة والقطاع من عام (١٩٦٧) إلى (١٩٨٧)» الدراسة عبارة عن كتاب من الحجم الكبير وعدد صفحاته (١٥٠) صفحة صادرة عن مركز الدراسات العمالية في رام الله عام (١٩٩٠).

- أصدر الدراسة السابقة نفسها عن المصدر نفسه باللغة الإنجليزية عام (١٩٩١).

- نشر العديد من المقالات، والدراسات القصيرة ونشرها في موقع الأدبي، وموقع ديوان العرب.

الفهرس - ثلاث صفحات

تحليق بالذاكرة		
التسلسل	العنوان	الصفحة
١	أمي والحاسوب	٣
٢	إلى ولدي الذي لم أره	٩
٣	المدرسة العمرية	١٢
٤	افتح الباب فالأحبة عائدون	١٩
٥	رحلة إلى الماضي مع سيجار (فوانتيه)	٢٢
٦	سامحني يا ولدي	٢٧
٧	كانون نار جنتي	٣١
٨	لولا الشعر ما حملت القلم	٣٤
٩	مدرسون علقوا بالذاكرة	٣٩
١٠	لجيل الآباء تحية	٤٥
١١	ماتت حنان	٤٧
١٢	ولدي الحبيب عمر	٤٩
١٣	وسام القدس للحاج عبد العفو مسودة	٥٢
١٤	معالم من القدس القديمة	٥٥
١٥	صباح الخير يا زوجتي العزيزة	٧٢
١٦	قنديل حكمت العتيلي	٧٨
١٧	لماذا يحن الآباء لأبناء جيلهم	٨٠
١٨	أحورا، أني أمرتِ أحورا	٨٤
١٩	أم كلثوم خلف القضبان	٨٧
٢٠	الأول من نيسان ١٩٨٥	٨٩

	تكريم عادل سالم في حيفا ٢٠١٥	
٢١	عادل سالم في حيفا بنالق (آمال عواد رضوان)	٩٢
	عادل سالم في الميزان	
٢٢	نبض مقدسي (الأديب: عدنان كنفاني)	١١٩
٢٣	قصائد الحب في عناق الأصابع (المحامي: محمد عليان)	١٢١
٢٤	إضافة نوعية للمشهد الروائي الفلسطيني (د. بو شعيب الساوري)	١٢٣
٢٥	عناق التوثيق، والخيال الأدبي (الأستاذ: إبراهيم جوهر)	١٢٥
٢٦	(عناق الأصابع) اهتمت بالمرأة (الروائية: نسب أديب حسين)	١٢٧
٢٧	وثقت (عناق الأصابع) معاناة أسرانا (الدكتورة: نجمة حبيب)	١٣٢
٢٨	إضافة نوعية للمكتبة العربية (الأديب: جميل السلحوت)	١٣٣
٢٩	اشتباك بالواقع عبر الشكل الروائي (الدكتور: أحمد الخميسي)	١٣٦
٣٠	قصة عشق تعدت حد الجنون (مريانا عفيف)	١٣٧
٣١	لغة الرواية سهلة، سلسة، جميلة (الأستاذ: موسى أبو دويح)	١٣٩
٣٢	(عناق الأصابع) ممتعة شيقة، ومشوقة (الكاتب: أحمد القاسم)	١٤١
٣٣	آراء قراء عن عناق الأصابع	١٤٢
٣٤	النهايات مدهشة (الدكتور: أحمد محيك)	١٤٣
٣٥	قبلة الوداع الأخير لعادل سالم (الدكتور: علي نسر)	١٤٤
٣٦	لعيون الكرت الأخضر (الدكتور: عادل الأسطة)	١٤٦
٣٧	العدة في أمريكا أيضا (الدكتور: عادل الأسطة)	١٥٤
٣٨	رصد لخسارات المنفى (الدكتورة: نجمة حبيب)	١٥٦
٣٩	لم يبق في الكون إلا الحب والمطر (الأديبة: سها جلال جودت)	١٦٠
٤٠	لعيون الكرت الأخضر، وعادل سالم (الدكتورة: أمل الجمل)	١٦١
٤١	قراءة في يوم ماطر في منيابولس (الكاتب: زهير كمال)	١٦٢
٤٢	دلالة المكان في أقصوصة العنكبوت (الناقدة: عائشة تركي)	١٦٥
٤٣	عاشق لأسوار القدس (الأستاذ: إبراهيم جوهر)	١٧٠
٤٤	عادل سالم في (لعيون الكرت الأخضر) (الأديب: نازك ضمرة)	١٧٢

حوارات صحفية مع عادل سالم		
٤٥	حوار مع الكاتب وحيد تاجا	١٧٨
٤٦	حوار مع الصحفي توفيق عابد	١٨٨
٤٧	حوار مع الصحفية لطيفة اغبارية (كانون ثاني ٢٠٠٨)	١٩٣
٤٨	حوار مع نادية أبو زاهر لحيفا لنا	١٩٨
٤٩	حوار مع الأديب إدريس ولد القابلة	٢٠٧
٥٠	حوار مع الفجر الجزائرية	٢١١
٥١	حوار مع الصحفيين، محمد البريم ونداء يونس	٢١٧
٥٢	حوار مع الصحفية بيانكا ماضية	٢٢٤
سيرة ذاتية وصور		
٥٣	عادل سالم في سطور	٢٣٠
٥٤	الفهرس	٢٣٨